



مركز الدراسات الشرقية

ORIENTAL STUDIES CENTER

جامعة القاهرة

اليهودية

رؤية فى الصراع بين العلمانية والدين

تأليف

يعقوب ملكين

ترجمة

د. احمد كامل راوى

مراجعة

د. عبد الوهاب وهب الله

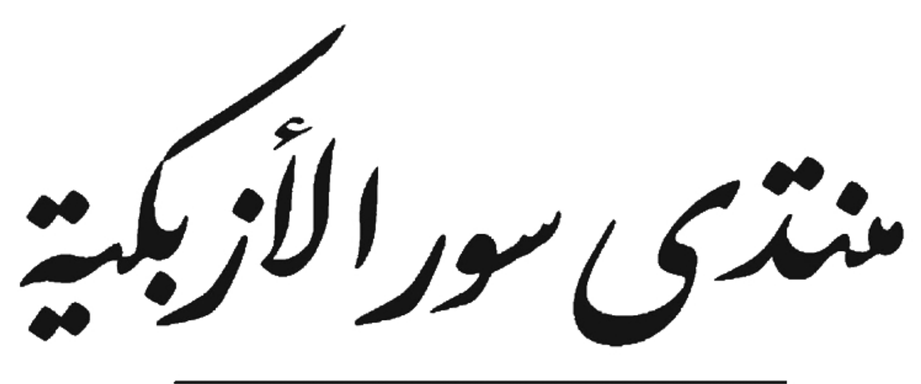
تقديم

أ.د. زين العابدين محمود أبو خضرة

سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية

العدد (٣٣)

١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م


منتدى سور الأزبكية

اليهودية

رؤية فى الصراع بين العلمانية والدين

تأليف

يعقوب ملكين

ترجمة

د. احمد كامل راوى



مراجعة

د. عبد الوهاب وهب الله

تقديم

أ.د. زين العابدين محمود ابو خضرة

سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية

يصدرها مركز الدراسات الشرقية - جامعة القاهرة

تحت إشراف أ.د/ زين العابدين محمود ابو خضرة

* الآراء الواردة تعبر عن وجهة نظر كتابها ولاتعبر بالضرورة عن رأى المركز

تصدر هذه السلسلة تحت رعاية

أ.د على عبد الرحمن يوسف

رئيس جامعة القاهرة

ورئيس مجلس إدارة المركز

و

أ.د. عبد الله التطاوى

نائب رئيس الجامعة

ونائب رئيس مجلس إدارة المركز

المحتويات

التناخ •انتصار عجل الذهب رمز للتعددية فى ديانة يهوا •ثقافة القرابين تعبير عن خوف المؤمنين بإله خاص •المعبد تجديد ثورى فى تاريخ اليهودية •تأثير ثقافات الشعوب فى اليهودية وإسهاماتها فى ثقافتهم •التناخ والتوحيد والسبت والمعبد اسهامات اليهودية فى ثقافات الشعوب •تأثير الميثولوجيا الصوفية على التعددية فى اليهودية •تعدد الألهة والإلهات يتغلغل فى الديانة اليهودية •الإيمان بإله فى صورة إنسان فى الميثولوجيا القبالية •أدب التناخ بوصفه مصدر إلهام لإبداعات يهودية معاصرة •الاعتقاد الإلحادى ينضم إلى تعدد المعتقدات فى اليهودية •فرضيات حول نشوء الآلهة فى المعتقدات الإلحادية منذ الهلينية •أسس الاعتقاد الإلحادى •فى اليهودية المتحررة بإسرائيل يعود التناخ ليكون أساس التعليم فى اليهودية •الانتماء القومى والإنسانية والتقاليد فى اليهودية المتحررة من الديانة •معتقدات وقيم إنسانية ليست دينية فى معظم إبداعات اليهودية المعاصرة

•تعليم من أجل إضفاء الطابع الإنسانى وتعليم معاد للإنسانية •تعليم ـ تأهيل للمجتمع ، تعليم للتثقيف والاستقلال الشخصى•تنمية الجوانب الإنسانية فى الثقافة القومية•اعتراف بهوية يهودية وعربية فى إسرائيل •تعليم يهدف إلى استيعاب قيم المساواة وضمان حقوق الفرد والمجتمع •التعليم ذو النزعة القومية خطر على إضفاء الجوانب الإنسانية •القيم الإنسانية ــ معايير لتقييم ونقد الفرائض والشرائع • تعليم إنسانى مشروط بثقافة واسعة ونشاط اجتماعى •الدور التعليمى لإبداعات كلاسيكية يخطئ أبطالها أخلاقيا •إسهام إبداعات الأدب الكلاسيكى الذى يخطئ أبطاله فى التعليم الإنسانى •حقيقة إنسانية وحقيقة وجدانية •حواء وبرومتاوس•تطوير قدرة الانطباع الوجدانى فى التعليم الإنسانى •علاقة تطوير قدرة الانطباع الفنى وتعلم اليهودية •النظرة إلى الغير والارتباط بالمخاطب والمخاطبة فى التعليم الإنسانى •التعليم فى الثقافة القومية وفى ثقافات الشعوب •تعليم الديمقراطية ومصادرها فى اليهودية •تنمية القدرة اللغوية

تقديم

يعرض الكتاب الذى بين أيدينا لمعتقدات بعض العلمانيين من اليهود الذين تتحدد رؤيتهم لليهودية فى خطها العام باعتبارها ثقافة، كما يحددون موقفهم الفكرى إزاء عدداً من القضايا المهمة التى استقر فى وجدان الجموع اليهودية على اختلاف ألوانها وانتماءاتها واتجاهاتها أنها قضايا قد تحددت وترسخت تعريفاتها وجذورها وأطوارها حتى باتت من المسلمات. فيميطون اللثام عن موقفهم إزاء عدد من المصطلحات مثلما يسمى بـ "الهوية القومية اليهودية" و"الشعب اليهودى" ويحددون موقفهم من الاختيار ما بين القيم الانسانية الاخلاقية العامة وبين الشرائع والفرائض بالإضافة إلى إيمانهم باختيار الأسلوب الذى يحقق اليهود من خلاله يهوديتهم، فهم لا يتفقون مع الرأى القائل بدستورية الشريعة اليهودية، ويرون أنها مجرد شرائع متطورة ومتغيرة تحتاج إلى النقد والإصلاح المستمر، وان "يهودية القرن العشرين تختلف عن يهودية عصر التناخ والعصر الهيلينيستى والبيزنطى وكذا يهودية العصور الوسطى" حيث تتسم بكثرة التحولات والتغيرات، وهم يخلعون سمة التدين عن الكثرة من يهود اليوم حيث "لايحافظون على أحكام الشريعة ولا يترددون على المعبد ولا ينصاعون لآراء الحاخامات " ويطلق العلمانيون على هذا الاتجاه "أتباع اليهودية المتحررة " الذين يتبنون فروض النقد الإنسانى وعاداته وتقاليده".

ويضع الكتاب الذى بين أيدينا تعريفاً محدداً لـ "من هو اليهودى" ويرى أن الانسان يعد يهودياً طالما ولد وتربى فى أسرة أو طائفة يهودية، وأن الانضمام إلى اليهودية أو إلى الشعب اليهودى غير مشروط بديانة الفرد أو بالتيار العلمانى أو الدينى الذى ينضوى تحت لوائه، كما يوجه نقداً لاذعاً إلى اتجاهات التعليم الدينى فى إسرائيل وعما إذا كان تعليماً توراتياً أو تلمودياً بالاضافة إلى انتقاده لقانون العودة والعلاقة بين الدين والدولة.

ويقسم الكتاب القيم اليهودية إلى قسمين : قيم يهودية إنسانية وقيم يهودية عنصرية وأن هناك صراعاً حاداً وعنيفاً بين هاتين المجموعتين من القيم، وينتقد مؤلف الكتاب تلك القيم اليهودية العنصرية التى تسمح بالتعالى على أبناء الشعوب الأخرى أو التى تمنح اليهود حق قتل الجماهير أو طردها من أرضها، وهى القيم اليهودية المتشددة ذاتها التى قضت بعملية قتل جماعى لعدد من المصلين المسلمين فى الحرم الإبراهيمى على يد متطرف يهودى تحول بعد ذلك إلى قديس مبجل من قبل الحاخامات، بل هى القيم التى أصدرت حكماً باهدار دم "اسحق رابين" رئيس الوزراء الإسرائيلى السابق لأنه عمل على دفع مسيرة السلام للأمام، ثم يطرح على القارىء سؤالاً ينطوى على رأيه فى المفاضلة بين مجموعتى القيم السالف ذكرها.

ويدلى مؤلف الكتاب بدلوه فى واحدة من أهم أركان الديانة اليهودية وهى فكرة الاختيار حيث يشير إلى أن اليهود "شعب اختيار" وليس "شعباً مختاراً" أى أن له حرية اختيار التيار الذى ينتمون إليه بما يميزه من مجموعة القيم ، ويصل المؤلف إلى " رفض مفهوم الشعب المختار" ويرى أنه يشكل خطر على عقلية المؤلفين وانسانيتهم وينم عنه تعصب دينى وأيديولوجى وسياسى ويرى ضرورة تحرر اليهود من هذا المفهوم وأن يحل مفهوم " شعب الاختيار" بديلاً له.

الكتاب يعرض للكثير من القضايا المهمة التى يستعصى حصرها فى صفحات المقدمة، ويدلى مؤلفه بآراء تتسم بالحدة والصرامة إزاء هذه القضايا ، ويستحق القراءة المتأنية الدقيقة لصفحاته كافة .

وتبقى فى النهاية كلمة شكر واجبة لمترجم هذا الكتاب الدكتور / أحمد راوى مدرس اللغة العبرية الحديثة وآدابها بقسم اللغات الشرقية بجامعة حلوان على ما تجشم من جهد فى ترجمة هذا الكتاب الذى يشكل حلقة مهمة فى سلسلة إصدارات مركز الدراسات الشرقية بجامعة القاهرة والشكر موصول للزميل الفاضل الدكتور عبد الوهاب وهب الله الذى عكف على مراجعة الكتاب حتى وصل به إلى الصورة الطيبة التى بات عليها والتى أرجو أن يفيد منه القراء والمتخصصون والباحثون عن الحقيقة فى حقل الدراسات الإسرائيلية.

أ.د. زين العابدين محمود أبو خضرة

مدير مركز الدراسات الشرقية

مقدمة المترجم

يقدم هذا الكتاب رؤية للصراع بين العلمانية والــدين ، فيمــا يتعلــق بالديانــة اليهودية، ويكشف عن الانقسامات والتصدعات الكثيرة والخطيرة داخل اليهوديــة، فيقدم موقف غالبية اليهود اليوم من اليهودية ويقدم تعريفا جديدا لها، فهم ينظــرون إليها على أنها ثقافة للشعب اليهودى تشمل بــداخلها ديانــة ذات تيــارات كثيــرة. وتعريف اليهودية كثقافة يوسع نطاق دلالة مفهوم اليهودية ويجعلها لا تتطابق مــع الديانة فهى ثقافة اليهود فى كل عصر، ثقافة ممثلة فى مجمل إبداعات فنية وأدبيــة وفكر وأنماط حياة وطقوس دينية وعلمانية ومبادىء سلوكية.

وتاريخ اليهودية على هذا الأساس هو تاريخ ثقافــة "الشــعب اليهــودى"(١) ويشمل تطور التيارات الدينية والعلمانية التي تحتويها بما في ذلك الإبداع الــديني والعلماني الذي نشأ بها في الماضي والحاضر.

وفي إطار النظرة إلى اليهودية على أنها ثقافة نجد تعريفًا جديدًا للمفــاهيم الأساسية السائدة لدى اليهود؛ حيث نجد أن الديانة بناء على هذا الفهم يُنظــر إليهــا على أنها أحد أشكال الثقافة، وتضم تيارات كثيرة متناقضة. ولقــد مــرت الديانــة اليهودية بتحولات جذرية في كل عصر مما نتج عنها توقف أبناء الطوائف الدينيــة نفسها عن الحفاظ على قسم كبير من فرائض الشريعة في معظم مجالات حيــاتهم، وأن معظم اليهود في العالم وفي إسرائيل صاروا غير متدينين فهم لا يحافظون على أحكام الشريعة ولا يترددون على المعبد ولا يسترشدون بالحاخامات ولا يرســلون أبناءهم إلى المدارس الدينية.

ويعترف الكتاب بفشل كل المحاولات التي أرادت بلورة الديانــة اليهوديــة كديانة واحدة متجانسة، ويشير إلى التعددية التي هيمنت عليها على مــر العصــور ويقدم وصفًا تفصيليًا لهذه التعددية الفكرية والدينية في كل عصر على حدة ، ويرى أنها مبدأ موجه في الفكر اليهودي ومميز له.

والكتاب الذى بين أيدينا يميط اللثام عن الصراعات الحادة بين التيارات الموجودة في اليهودية مما يجعل كل تيار وكأنه ديانة قائمة بذاتها ويرى أن هناك عوامل أيديولوجية واقتصادية وسياسية تحرك الصدامات بين التيارات المتعارضة. ويميط اللثام عن الاختلافات بين تلك التيارات والتي تتمثل في أساليب العبادة وطقوس الأعياد والمواقف الأيديولوجية تجاه التاريخ اليهودي والنظرة إلى الإله ودوره في حياة البشر وفي الاعتراف بحقيقة الآخرة والبعث ودور " الدولة اليهودية" والنظرة إلى المستقبل والنظرة إلى الشريعة وأحكامها.

ويوضح الكتاب الحروب الثقافية والفكرية التي صاحبت التيارات اليهودية المتناقضة على مر تاريخهم قديمًا وحديثًا ويرى أن تلك الحروب لا زالت تدور رحاها بين اليهود المعاصرين، فبعد قيام إسرائيل تفاقمت بالتدريج حدة الحرب الثقافية بين التيارات الدينية والعلمانية؛ حيث تدور الآن حول مراكز قوى وحول موارد اقتصادية ومالية كما أنها تأخذ كذلك شكل صراع بين أحزاب؛ حيث إن بعض أعضاء التيارات الدينية الممثلة في أحزاب سياسية ينصاعون لحاخامات غير منتخبين لكنهم يستطيعون التأثير في قرارات الكنيست والحكومة عن طريق المعينين من قبلهم.

ويكشف الكاتب عن أعمال العنف الدموية التي صاحبت تلك الحروب الثقافية والفكرية على مر العصور والتي وصلت في العصر الحالي اغتيال رئيس حكومة إسرائيل إسحاق رابين لأنه عمل على دفع مسيرة السلام للأمام.

ويبرز الكتاب حقيقة انفتاح اليهودية على ثقافات الشعوب الأخرى وتأثرها بها قديمًا وحديثًا، ويرى أن هذه التأثيرات قد أدت إلى ظهور أجيال يتمتعون بثقافات ولغات مختلفة. كما يعرض مفاهيم جوهرية لدى اليهود وينتقدها مثل مفهوم "الشعب المختار" والذي يعتبر اليهود أسمى من كل الشعوب وأنهم مختارون من قبل رب العالمين، فيرى العلمانيون أن هذا الاعتقاد يشكل خطرًا على عقلية المؤمنين به

وإنسانيتهم ويمثل تعصبًا دينيًا وسياسيًا يجب التحرر منه وليحل محله مفهوم جديد وهو "شعب له حق الاختيار".

ويشير الكتاب إلى وجود عناصر يهودية متطرفة دينيا وقوميا تعمل ضد الإنسانية كلها وتتسم بالتعصب الأعمى الذي يطال إنسانية الآخرين، مثل الطبيب اليهودي الذي قام بعملية قتل جماعي للمسلمين أثناء صلاتهم في الحرم الإبراهيمي. كما يعترف بوجود فرائض دينية في التناخ[٢] تحث على اللاإنسانية وتتناقض مع القيم الإنسانية والأخلاقية؛ مثل الفرائض التي تحث على قهر النساء والتعامل المهين مع غير اليهود واضطهاد الأقليات وإبادتهم.

ويعرض الكتاب للتخبط الذي يسود بين اليهود في موقفهم من الإله وتصورهم له فيقدم عرضًا تفصيليا للتصورات المختلفة والمتناقضة لصورة الإله في كل عصر وتغلغل فكرة التعددية الإلهية بين اليهود، وكذلك موقف اليهود المعاصرين من فكرة الألوهية.

ويوضح المؤلف مدى تأثير التيار الأرثوذكسي على السياسة الإسرائيلية وتوجهاتها بالرغم من كونه تيار الأقلية، ويرجع ذلك إلى انقسام اليهود غير المتدينين إلى معسكرين متخاصمين في نظرتهم للعرب والسلام والحرب، وبسبب احتياج كل منهما للأقلية الدينية الصغيرة سعيًا وراء الحكم.

ويكشف مؤلف الكتاب عن نظرة اليهود المعاصرين للصهيونية؛ حيث يعتبرونها حركة تحرر قومي لليهود تتميز بأنها سعت لتحرير اليهود من الانحطاط القومي والعيش كأقليات يمكن تحملها أو اضطهادها كما أنها تحميهم من تأثير الحركات المعادية للسامية وتصونهم من سلطة المؤسسات الدينية التي طالبت باستمرار التواجد فى دول المنشأ والانتظار السلبي حتى مقدم المسيح المخلص.

ويكشف مؤلف الكتاب عن ماضى اليهودية؛ من حيث تأثير الأبحاث والاكتشافات الأثرية وآراء المفكرين والمعتقدات والتفسيرات الجديدة للنصوص القديمة. مما يؤثر على المواقف السياسية ليهود إسرائيل وعلى نظرتهم إلى مسيرة

السلام وعلى رسم حدود الدولة؛ حيث يوجد من بينهم من يقدس كل مكان يمكن أن يُنسب إليه حدث تاريخى، بينما يرى آخرون فى الحدود الدائمة التغيير للاستيطان والممالك اليهودية فى الماضى مبررا لتسوية إقليمية مقابل السلام. كلاهما يعتمد فى نظرته على الماضى لكن بعيون الحاضر.

وقد أوقف المؤلف جزءًا كبيرًا من كتابه للحديث عن الخلاف بين الأغلبية السكانية العلمانية والأقلية الدينية باسرائيل ويرى أنه خلاف حول أيهما أسمى وأفضل : قوانين الديمقراطية أم الشريعة الدينية. واتخذ هذا الخلاف صورًا شتى، مثل الخلاف حول إعلاء القيم الإنسانية على فرائض الشريعة، والخلاف حول المساواة التامة بين النساء والرجال، والخلاف حول التعليم الإنسانى اليهودى، وحول قانون العودة، وقوانين التهود، وتعريف الانتماء إلى اليهودية، ومكانة المحاكم الربانية وحقوقها وتشكيلها، والتجنيد الإجبارى ، وفرض أحكام يوم السبت وشرائع دينية أخرى على العلمانيين، وغير ذلك من أوجه الخلاف المتصاعدة بين الجانبين .

وتجدر الإشارة إلى أن هذا الكتاب ينقسم إلى جزأين قدمنا أولهما فى هذه الترجمة، أما الجزء الثانى والذى يقدم رؤية نقدية معاصرة للعهد القديم فنسأل الله العون على ترجمته ليصدر قريبًا بمشيئته سبحانه وتعالى .

ونسأل الله أن يكون هذا الكتاب إضافة جديدة فى مجال الدراسات اليهودية كاشفا عن الفكر اليهودى المعاصر وتوجهاته وما يعتريه من خلافات محتدمة بين العلمانيين والدينيين من أصحاب الشريعة الواحدة .

والله ولى التوفيق .

د. أحمد كامل راوى

الفصل الأول

النظرة إلى اليهودية بوصفها ثقافة

فى ضوء معتقدات اليهود العلمانيين

يؤمن اليهود العلمانيون بحرية اختيار اليهود لسلوكهم فى اليهودية وبحقهم فى التحرر من هيمنة الديانة ومن وجوب الحفاظ على فرائضها، والتحرر من التفسير الدينى المقتصر على أدب التناخ والأعياد والتقاليد، وكل إبداعات الأدب اليهودى التى ألفت فى كل تياراته. وتعضد المعتقدات السائدة بين اليهود العلمانيين الإنسانيين النظرة إلى اليهودية على أنها ثقافة وليست ديانة.

- الإيمان بأن الهوية القومية اليهودية هى أن يكون الفرد عضوا فى الشعب اليهودى وغير مرهونة بديانة الفرد فاليهود هم أناس أعضاء فى الأمة اليهودية أو الذين ينضمون إليها بأى طريقة. وتتجلى يهوديتهم فى إدراكهم ليهوديتهم كما يدركها الأخرون، تماما مثلما يدرك الإنجليز أو الفرنسيون أن قوميتهم هى عضوية فى شعبهم ومشاركة فى ثقافته .

- الإيمان بأن الانضمام إلى الشعب اليهودى غير مشروط بالتهود الدينى، ولكنه يتحقق من خلال انضمام إلى أسرة أو طائفة يهودية، إنها عملية فردية مستمرة غير ملزمة وغير مشروطة بطقس دينى أو آخر وهكذا انضم رجال ونساء إلى الشعب اليهودى منذ عصر التناخ وحتى عصرنا.

- الإيمان بقيم إنسانية توافق مبدأ "هليل" القائل "ما تبغضه لاتفعله لغيرك" وهى حيوية لنكون إنسانيين ولقيام مجتمع يحدث فيه إضفاء الطابع الإنسانى، فالقيم الإنسانية هى وسائل لتقييم وتفضيل السلوك والقوانين، وهى قائمة على الإيمان بأن الإنسان هو مصدر السلطة ومبتكر الفرائض والقوانين، ومبتكر الإله.

• يشيع الإيمان بالقيم الإنسانية وبالإنسانية نفسها بوصفها قيمة سامية بين اليهود العلمانيين، المتحررين من الديانة، والمتدينين على حد سواء. وتخضع للاختبار داخل إطار هذه القيم: القوانين، وفرائض الشريعة، والأنظمة وسلوك الأفراد والجماعات. وتنبع أخلاقية الفرد - استيعاب القيم الإنسانية- من عملية دمج الفرد إنسانيا فى المجتمع: عن طريق التعلم فى الأسرة والطائفة، وفى ثقافة المجتمع الذى يعيش فيه.

• الإيمان بأن إنسانية الفرد مرهونة بانتمائه القومى؛ حيث إن العملية الإنسانية، تحويل الفرد إلى إنسان، تتم فى الأسرة والطائفة وفى المجتمع واللغة والثقافة القومية التى يتعلمها الفرد.

ولاتوجد ثقافة أسمى من الثقافة القومية ولكن كل أمة تحيا بين مجموعة أمم وثقافات، وكل ثقافة قومية تندمج وتتأثر وتشكل جزءا من ثقافة دولية. وعلى ذلك فإن الدراسات اليهودية تندرج تحت دراسات ثقافة الشعوب التى نشأت وتعيش فيها اليهودية.

• الإيمان بحرية اختيار الطريقة التى يحقق اليهود من خلالها كونهم يهودًا ويهوديتهم، فاليهود ليسوا "الشعب المختار"؛ بمعنى أنهم شعب كل أعضائه ملزمون باختيار طريقة تحقيق يهوديتهم؛ إحدى التيارات الكثيرة الموجودة فى اليهودية، واختيار أسلوب حياة أبنائهم وتعليمهم، والتعبير عن اختياراتهم.

• الإيمان بأن اليهودية هى ثقافة تشتمل على ديانة ولكنها ليست مطابقه لها، وذلك على نقيض الإيمان بأن اليهودية هى ديانة فقط. والإيمان بأن اليهودية هى ثقافة يؤثر فى النظرة إلى الديمقراطية وفصل سلطات الديانة عن الدولة، فهى تتحول إلى عنصر مؤثر فى السياسة والتعليم الإنسانى وفى مجموع مصادر اليهودية. وتشمل ثقافة الشعب اليهودى الديانة اليهودية بكل تياراتها: الصدوقيين، الفريسيين، الأرثوذكس، الإصلاحيين، المحافظين، الحسيدية([٣]) والمسيحانية وغيرها.

واليهودية ليست مطابقة لأى تيار منها؛ حيث إن اليهودية تشمل دائما تيارات يهودية كثيرة. وفى عصرنا يسود الاعتقاد بعظم التيارات المتضمنة فى اليهودية - اليهودية غير الدينية بكل تيارتها.

• يشيع الإيمان بأن الإله هو بطل أدبى بين يهود كثيرين، الذين يؤمنـــون بأن يهوا، مثل آلهة كل الشعوب ابتكره وشكله رجال ونساء فى إبداع أدبى قـــديم داخل ثقافة الشعب اليهودى. ومثل أبطال أدبيين آخرين فى هذا الأدب - موســى ، داود ، إرميا - عاش أيضا الإله يهوا كعنصر فعال فى ثقافة الشعب اليهودى وفـــى إدراك اليهود المتدينين الذين آمنوا ويؤمنون بوجوده حتى خارج حدود الأدب. أمـــا فى الثقافة اليهودية العلمانية فيواصل الإله لعب دور البطل الأدبى فى إبداعات تترك انطباعا على القراء حتى وإن لـــم يؤمنوا بوجود الإله فى الطبيعة أو خارجها وحتى إن لـــم يؤمنوا بان للإله سلطة يجب الانصياع لأوامرها.

• الإيمان بأن اليهود يحققون يهوديتهم من خلال آداء واجباتهم تجاه المجتمع ونشاطهم فى ثقافة شعبهم، وهذا يتعارض مع الاعتقاد بأنه يمكن تحقيق يهوديتهم من خلال الحفاظ على أحكام الشريعة فقط. ولقد آمن أنبياء كثيـــرون بتفضـــيل العـــدل الاجتماعى على أحكام الطقوس الدينية -مثل القربان والصلاة. ولا يوجَد تطابق بين التيارات اليهودية والتمسك بأهداب الديانة اليهودية فمعظم اليهود فى عصرنا "ليسوا متدينين" بالمعنى المعهود لهذا المفهوم فى الديانة لليهودية: فهم لايحـــافظون علـــى الفرائض والصلاة ولايترددون على المعبد ولا يرسلون أبناءهم إلى مدارس دينيـــة ولا يمتثلون لفتاوى الربانيين ولا يصوتون لصالح أحزاب دينية.

• الإيمان بأن للديانة اليهودية فى عصرنا تأثيرًا هامشيًا فقط علـــى حيـــاة معظم اليهود وثقافتهم. فللأحزاب السياسية الدينية بإسرائيل تأثير كبير على منحـــى الدولة بواسطة الائتلافات الحكومية. ولقد كان للديانة اليهودية بكل تياراتهـــا تـــأثير حاسم على ثقافة الشعب اليهودى حتى القرن التاسع عشر؛ وذلك فى الفترات التـــى

كان للديانات فى كل ثقافات الشعوب تأثير حاسم على منحى حياتهم وثقافتهم. ولكن منذ نهاية القرن التاسع عشر أخذ يتقلص بالتدريج تأثير الديانة على حياة معظم اليهود فى العالم وفى نهاية القرن العشرين أصبح لها تأثير ثانوى فى حياتهم.

• الإيمان بأن التناخ هو أساس اليهودية والقاسم المشترك الوحيد لكل التيارات اليهودية ويتعارض هذا مع الاعتقاد بأن التلمود(١) والشريعة هما مصدرا اليهودية وأساسها. وتعرض الأنتولوجيا التناخية تشكيلة إبداعات أدبية وتدوين أحداث وقضايا وتأملات وبلاغة وشعرًا غنائيًا-دينيًا وعلمانيًا- تمثل مجتمعة ثقافة الشعب اليهودى فى مرحلة تكوينه. وتتجلى ثقافة الشعب اليهودى فى هذا العصر القديم فى التناخ وتوصف به على أنها ثقافة تتصادم فيها تيارات دينية وأيديولوجات متناقضة ترفض بعضها البعض، مثل عبده يهوا المجرد والخاص، فى مقابل ديانة اليهود الذين عبدوا العجل وبعل وعشتروت.

• الإيمان بأن التعددية سمة مميزة لكل فترات الثقافة اليهودية، وهى تواصل للتعددية فى اليهودية والتى ظهرت فى ثقافة عصر التناخ. وتتمثل اليهودية ذات التيارات الكثيرة، فى كل عصر وجيل، فى تشكيلة إبداعات فكرية وأدبية وفنية تتجلى فيها معتقدات متناقضة مثل: التصوف والفلسفة العقلية فى العصور الوسطى، الحسيدية والهسكالاة فى العصر الحديث، والمحافظة على الدين والعلمانية فى عصرنا.

• الإيمان بعالمية القيم الإنسانية ووفقا لها فإن "قيم يهوا " هى قيم عامة إنسانية ذات طابع يهودى. وتتضح القيمة السامية لهليل فى مقولة "التوراه كلها"؛ حيث تستخلص القيم الإنسانية العامة والتى تتجلى فى الفرائض والتوراة والأنبياء: فى مبدأ تفضيل العدل الاجتماعى على أحكام الشعائر الدينية وهذه القيم تتوافق وتمتزج بوجه خاص مع شعار "كانط" القائل "إن المبدأ الإنسانى الأخلاقى العام هو فقط الأخلاقى، وإن كل إنسان هو غايه وليس وسيلة.

• الإيمان بوجود عناصر معادية للإنسانية فى اليهودية عملت وتعمل ضد الإنسانية- وهى متعصبة قوميًا وعنصريًا ، ويوجد فى التناخ القيم التى تعبر عن معتقداتهم وكذلك فى كل الآداب اليهودية التى نشأت منذ إتمامه. وتناقض هذه المبادئ المعادية للإنسانية مبادئ "هليل" فهى توصى بغبن النساء والتعامل المهين لغير اليهود وقتل سكان المدينة المهزومة بما فيهم النساء والأطفال (كما ورد فى سفر التثنية أو فى سفر يهوشع وصموئيل).

• الإيمان بالتعددية ليس فقط بوصفها سمة تميز ثقافة الشعب اليهودى، بل أيضا بوصفها مبدأ أساسيًا فى تطور الفكر والشريعة، ويعبر المبدأ التلمودى "هذه وتلك أقوال الإله الحى" عن اعتراف بشرعية الاختلاف وضرورته من أجل الاقتراب من الحقيقة. فكل خلاف يشجع ويطور النقد المتبادل ويكشف مفاهيم وصعوبات يجب التصدى لها. كما يوجد فى التلمود أيضا المفهوم الثورى "عدم الحسم" والذى ينهى الخلاف بالاعتراف بوجود قضايا لاحل لها. ووجود خلافات لا يمكن تسويتها.

• الإيمان بأن اليهودية ليست أيديولوجية بل مسار تدريجى. فلم تكن الشريعة دستورا بل كانت توراة متطورة متغيرة من خلال أفراد ابتدعوها، ومن خلال إصلاح مستمر، وهى مستمرة أيضا فى عصرنا فى التيارات التى تغير نص الصلوات والطقوس والعادات والفرائض وفقا لمعتقداتهم والظروف المتغيرة. ولقد تصرف بهذا الشكل حاخامات التوراة الشفهية(*) على عكس الأرثوذكس الذين فى المؤسسة الدينية الكهنوتيه الصدوقية.

• الإيمان بمبادئ الديمقراطية والتى تشمل الانصياع لحكم الأغلبية والدفاع عن الأقلية وآرائها. ويستند هذا الرأى إلى جذور فى ثقافة التلمود والتى تؤمن برأى الأغلبية؛ حيث آمنوا بأنه لا يوجد شخص يتحدث باسم الإله ولذلك اسندت صلاحية اتخاذ القرار لغالبية بشرية. لقد آمنوا بأن رأى الأغلبية البشرية هو الحاسم حتى لو

كان قرار الأغلبية مناقضًا لرأى الإله (كما ورد فى قصه موقد عخناى) وفى نفس الوقت يجب الدفاع عن رأى الأقلية والحفاظ عليه لأنه قد يأتى يوما ويتضح أنه رأيٍ صائب (حسب رأى رابى يهودا).

• الإيمان بأن حقوق الإنسان وقيم الديمقراطية توافق المبادئ التى تتجلى فى وثيقة تأسيس دولة إسرائيل. وبأن القوانيين الأساسية التى تشكل حجر الزاوية لدستور الدوله اليهودية تستمر فى تطوير الشريعة المفتوحة للتغيرات فى اليهودية. وأن قوانين كتلك وفصل السلطات، والتى هى من أسس الديمقراطية فى الدولة اليهودية من شأنها أن تعيد النظر مجددا فى كل أحكام الشريعة المعادية للإنسانية وتلغى صلاحيتها، مثل الفرائض التى تحث على غبن النساء واللاتى يمثلن نصف السكان أو الأقليات الدينية كالإصلاحيين والمحافظين أو أناس آخرين تسىء معاملتهم الشريعة كالصم والأبناء غير الشرعيين أو غير الصالحين للزواج.

• الإيمان بانفتاح اليهودية على تأثيرات ثقافات الشعوب وهو ما ميز اليهودية فى كل عصورها وهذا ما يتعارض مع الإيمان بميزة الانغلاق فى جيتوات روحانية عن طريق قصر التعليم على دراسة الأدب التشريعى التقليدى. ولقد شجع انفتاح اليهودية على تأثيرات ثقافات الشعوب على الإبداع الأصيل اليهودى منذ عصر التناخ وحتى عصرنا وأثرى اليهودية فى كل فترة من تاريخها وأفرز أجيالا ذوى ثقافة واسعة، لديهم ثقافات ولغات مختلفة، كما أتاح لليهودية التأثير فى ثقافات الشعوب الأخرى عن طريق الديانات التوحيدية التى تأثرت بها.

• الإيمان بتجدد الاحتفال بيوم السبت والأعياد التاريخية والخاصة بوصفها جزءًا من نمط حياة اليهود المتحررين من الديانة التشريعية. وتعد عملية التجدد والتغيير هذه هى تواصل لمراحل تطور وتغيير مرت على أعياد بنى إسرائيل منذ عصر التناخ وحتى عصرنا. وتدل على ذلك مئات القصص الجديدة حول الفصح والتى ابتكرت فى اليهودية المعاصرة بتياراتها الدينية والعلمانية. وأصبحت الأعياد

الدينية التى تطورت من أعياد القربان والطبيعة واسترضاء الـرب فـى عصـرنا فىاليهودية العلمانية إلى أعياد قومية وتاريخية بلا مغزى دينى.

• الإيمان بخصوصية الشعب اليهودى فهو شعب له خصوصيته مثل كـل الشعوب. والشعوب لها خصوصيتها ليس فقط بسماتها المميزة بل أيضا بتعريفها. فتعريف الشعب السويسرى غير تعريف الشعب الفالشى والأمريكى أو اليهـودى. وكما أن سيرة حياة الفرد تحدد شخصيته فالتاريخ الفردى للشعب وثقافتـه يحـدده ويميزه فى آن واحد.

• الإيمان بتراث تاريخى قومى واحد مشترك لـذوى المعتقـدات الدينيـة والمتحررة من الديانة، التى تتعارض مع بعضها البعض، والوعى بالتراث التاريخى وبالمصير المشترك يميز اليهودية عن جماعات فى الشعوب التى ساد فيها معتقـد دينى واحد (كاثوليكى، بروتستانتى، شيعى، سنى .إلخ) بجانب الإيمـان بموروثـات تاريخية قومية مختلفة (فرنسية، إيطالية، نرويجيـة، ألمانيـة، مصـرية، إيرانيـة وغيرها). ويتيح هذا التميز تواصل الاحتفال بأعياد تاريخية حتى بعـد أن فقـدت طابعها الدينى، كما يتيح دراسة اليهودية بوصفها ثقافة وتاريخًا، يشمل ديانتها، وذلك عن طريق يهود ليسوا متدينين لكنهم يبغون معرفة ثقافتهم القومية والتراث التاريخى الفاعل فيها فى عصرنا.

• الإيمان بأن الصهيونية هى حركة التحرر القومى للشعب اليهودى، وهى متميزة عن أى حركة تحرير قومى أخرى. فالصهيونية سعت لتحرير اليهود مـن الانحطاط القومى والعيش كأقليات يمكن تحملها أو اضطهادها ومن تأثير الحركات المعادية للسامية، من المعتدلة حتى الإجرامية، فى الماضى وفـى الحاضـر. ولأن الصهيونية هى حركة علمانية فى أساسها فقد سعت لتحرير اليهود من سلطة قيـادة المؤسسات الدينية اليهودية والتى طالبت باستمرار الشتات والانتظار السلبى حتـى مقدم السيح المخلص. ونجحت الصهيونية فى تحقيق هدفها بإقامة دولة يهودية لكل

اليهود الذين رغبوا أو أجبروا على الهجرة إليها. وقد أرست أركانها قبل الحدث النازى وظهرت حيويتها فى أعقابه.

• الإيمان بمسيرة السلام كشرط لنجاح الصهيونية، فالسلام مع الدول العربية والتى حاولت إبادة دولة إسرائيل وشعبها حتى بدأوا يسلمون بوجودها بجوارهم، وهو شرط لاستمرار نجاح حركة التحرر القومى للشعب اليهودى. وفشل هذه المسيرة من شأنه أن يعيد المخاطر التى واجهتها الصهيونية والدولة اليهودية.

الفصل الثانى
تعريف المفاهيم الأساسية
فى الحديث عن اليهودية بوصفها ثقافة

حيوية تعريف المفاهيم للحديث والحوار

إن تعريف مفهوم يعنى الدور الذى ننسبه إلى الكلمة التى تشير إليهـا فـى إطار نقاش معين. ومن المحتمل أن وصف وتمييز دلالات لمفاهيم أساسية سائدة فى حديث اليهود العلمانيين قد يساعد فى الحوار بينهم وبين أنفسهم، وبينهم وبين يهـود ينتمون إلى تيارات أخرى.

وتشمل المفاهيم الأساسية فى النقاش حول اليهودية على سبيل المثال مايلى: ثقافة، ديانة، يهودية، إبداع يهودى، مصادر اليهودية، يهودية متحـررة، تيـارات يهودية، إنسانية وقيم إنسانية، تعليم إنسانى، ديانة يهودية، مستوى ثقافى، قيم، قـيم يهودية، ثقافة قومية، انتماء قومى، تعصب قومى وعنصرى، تعددية فى اليهوديـة، وحدة الشعب، الإله بوصفه بطلا أدبيا، انفتاح على ثقافات الشعوب، شعب اختيار.

وبالطبع كان أبطال "كارول" على حق فى رواية "أليس فى بلاد العجائب" عندما قالوا: "إن الكلمات هى ملك لنا ومن حقنا منحها أى دلالة تخطر على بالنـا". كمـا صنف فيطجنشطين أيضا فى مقولته إنه بدون اتفاق حول الدور الذى نحمله للكلمات فى الحديث فلا احتمال لأن يفهم هذا ذاك. حيث إن "الدلالة" ما هـى إلا الوظيفـة المتفق على أن تلعبها الكلمة فى حديث معين (الكلمات هى مثل أدوات فـى"لعبـة" نحدد "دلالتها" أو وظيفتها. وفى وصفنا لوظيفـة الأدوات المشـتركة فـى اللعبـة وقواعدها تأخذ الأداة دلالة مختلفة فى لعبة الدّاما أو فى لعبة الشطرنج على سـبيل المثال).

ويعد توضيح المفاهيم وتحديدها أمرا حيويا فى فهم كل ادعاء ونقاش، حيث إنه فى كل حديث يمكن أن ننسب دلالات مختلفة لمفاهيم أساسية.

وسأتناول فى الفصول التالية عرض تعريفات ووصف دور ودلالة مفاهيم حسبما يفهمها كثيرون من اليهود العلمانيين، فى مشاركتهم فى النقاش حول يهوديتهم. وتعريفات من هذا القبيل قد تؤدى دورا حيويا فى كل حوار مبنى على اتفاق بالنسبة لمعنى المفاهيم الأساسية، حتى وإن كان الحوار بين أطراف أرآئها مختلفة.

وتعريف الدلالة يعنى أيضا التحديد، أى وضع حد حول معنى الكلمة والخروج من سياج المعانى التى لا نقصدها. ويقدم كل تعريف افتراضات مسبقه تؤائم معتقدات تتعلق بموضوع النقاش، وعلى سبيل المثال فإن تعريف اليهودية على أنها ثقافة يعكس اعتقادًا مناقضًا لتعريف اليهودية على أنها ديانة فقط، لأن هذا التعريف يوسع نطاق دلالة مفهوم اليهودية. حيث إن الديانة اليهودية هى ليست فقط مجموعة شرائع وأحكام، بل هى أيضا مجموعه إبداعات وظواهر وعادات يهودية - دينية وغير دينية- والتى تشكل مجتمعة البيئة الروحانية التى يتربى ويتعلم فيها أفرادِ الشعب اليهودى.

تعريف المفاهيم :

"ثقافة" شعب :

إننا نستخدم مفهوم "ثقافة" جماعة من الناس و"ثقافة الشعب اليهودى" بصفة عامة بمعنى: مجموعة متميزة من أنماط الحياة، واللغة، والإبداعات فى أساس التراث التاريخى والروحانى، والأعياد والرموز المشتركة، وسلوك التعليم وأنماطه، والنظرة إلى الأرض، والماضى المشترك ، والتقاليد والتجديدات التي تطرأ عليها. ومجمل ثقافة كهذه تميز وتوحد الطائفة، أو المجتمع القومى، أو مجموعة من الأمم.

وحيث أن اليهودية تشمل تيارات كثيرة تختلف عن بعضها البعض فى ثقافتها فنحن نفرق بين "ثقافة قومية" مشتركة لكل الشعب وبين ثقافة طائفة (مثل

الثقافة اليهودية اليمنية، أو الثقافة اليهودية الأمريكية) أو ثقافة تيار موجود داخل الشعب - مثل الثقافة اليهودية العلمانية أو الثقافة اليهودية الحريدية([٦]).

وتتميز الثقافة اليهودية الإسرائيلية عن ثقافات اليهودية، فبينما التيارات اليهودية فى الشتات مختلفة عن بعضها البعض فى شكل اندماجها فى ثقافة البلد والشعب الذى يعشون فيه، نجد أن الثقافة اليهودية الإسرائيلية متطورة بوصفها ثقافة قومية مستقلة ومتأثرة بالطبع بثقافات الغرب والشرق لكنها لا تحيا فى أى ثقافة منها. وتنبع خصوصية ثقافة اليهودية الإسرائيلية من إحياء اللغة العبرية كلغة حديث وإبداع ومن خلال لقاء متطور بين ثقافات يهودية تطورت فى عشرات الدول والثقافات.

وترتبط كل ثقافة قومية بمجموعة روابط مع ثقافات مجموعة من الشعوب، مثل ثقافة شعوب الغرب، وثقافات الشرق الأدنى وما شابه ذلك. وللإلمام بثقافة شعب يجب معرفة ثقافة الشعوب التى أثرث فى تطورها فى الحاضر والماضى. وتعد الديانة واحدة من الوجوه الكثيرة للثقافة، أحيانا نجد أن تأثيرها مهيمن فى كل مجالات النشاط الثقافى، كما فى الثقافة اليهودية حتى القرن الثامن عشر وأحيانا نجد أن تأثيرها ضئيلا كما فى التيارات اليهودية فى القرن العشرين .

إننا نميز بين "ثقافة " و"حضارة" وعلى حد تعبير بوبر فى كتاب "وجه إنسان" فإن "الحضارة" تُعد تشكيلا عقليًا لنظام علمي وعملي يحقق المنفعة، وهذا النظام يُطبق ويتحقق من خلال أنظمة وأدوات. أما "الثقافة" فهى رصد لحركة حياة الإنسان للتعبير عنها وتطلعاتها وتجربتها للحصول على شكل ماهيتها. وعلى نقيض هذه الحركة فكل شيء موجود ما هو إلا مادة لتشكيل صورة، إبداعاتها غير متكررة، ورموزها تفهم كحقيقة للنفس. وعلى عكس الحضارة فإن الثقافة لا تتجمع بل يجب ابتكارها مجددا فى كل عصر، وإبداعات الثقافة ليست وسيلة لغاية بل هى غاية فى حد ذاتها، دلالتها الذاتية تكمن فى داخلها وتملأ الحياة. وتشمل الثقافة

أشكالا من خلالها يشكل الإنسان ذاته بمواد وتقاليد يمنحها له المجتمع الذى يعيش فيه.

وإننا نجد تعبيرًا فى الإبداعات المثالية التى تمثل ثقافة معينة عن تفرد مبدعها مبدعها وتميزه وتفرد الإنسان وتميزه. ويعد الإبداع والتقاليد وجهين للثقافة ولكل منهما معًا قيمة ثقافية.

يهودية

اليهودية هى اسم الثقافة التعددية والمتطورة للشعب اليهودى، والتى تشمل ديانته وتياراتها، واليهودية لاتتطابق مع الديانة اليهودية فى أى صيغة من صيغها. وتاريخ اليهودية هو تاريخ ثقافة الشعب اليهودى ويشمل تطور التيارات الدينية والعلمانية التى فيها بما فى ذلك الإبداع الدينى والعلمانى الذى نشأ بها فى الحاضر وفى كل العصور.

عاش فى القرن العشرين معظم الشعب اليهودى بين شعوب أوربا وأمريكا والتى مرت ثقافتها بمراحل علمنة متطرفة، وحولت هذه العلمنة الحثيثة غالبية اليهودية إلى "ثقافة علمانية " متحررة من الديانة التشريعية. ومعظم الإبداعات اليهودية -"مصادر اليهودية"- التى نشأت فى القرن الأخير هى ثمار الإبداع اليهودى غير الدينى.

لقد سببت الصهيونية وتطور الكيان الثقافى والسياسى الإسرائيلى تحولا فى تاريخ الشعب اليهودى وثقافته فى القرن العشرين حتى قبل قيام الدولة. وبدأ تطور اليهودية فى دولة إسرائيل يؤثر على كل التيارات الموجودة فى اليهودية. و"اليهودية" فى القرن العشرين مختلفة فى مبادئها وسماتها المميزة عن اليهودية فى عصر التناخ (من فترة الترحال وحتى العودة إلى صهيون فى عهد الفرس) والعصر الهلينستى (من غزو المقدونى وحروب المكابيين(٢) وحتى ختام التناخ والمشنا) والعصر البيزنطى والعصور الوسطى وعصر النهضة الأوربية والتنوير اليهودى وعصر التحرر الذاتى وعن يهودية القرنين التاسع عشر والعشرين. وتأتى خصوصية

اليهودية فى القرن العشرين فى مقابل التيارات اليهودية فى الماضى ــ والتحول فى نظرتها إلى التمسك بالديانة والانتماء القومى: قطع العلاقة بينها، وفض الطوائف التقليدية والانتماء إلى المركز الروحانى والسياسى المتطور فى إسرائيل.

ولقد بدأ فى القرن التاسع عشر النظر إلى اليهودية على أنها ثقافة شعب وليست ديانة. وتطورت فى دوائر المثقفين والباحثين بغرب أوربا "علوم اليهودية" والتى تبحث ثقافة الشعب، ومنذ ذلك الحين وحتى نهاية القرن العشرين طرأ تحول دائم فى صور الواقع التاريخى للتيارات اليهودية فى الماضى. وعلى ضوء الأبحاث، والفكر والإبداع المتحرر من الديانة التشريعية التى تطورت فى هذه الفترة ظهرت يهودية الماضى فى ضوء جديد.

ويظهر فى اليهودية الإسرائيلية- العلمانية فى معظمها- فيض إبداعات غير مسبوق، ونشاط تعليمى يهودى مكثف والذى تشمل أطره معظم الشباب اليهودى فى العالم، والعدد الأكبر لمؤسسات يهودية خاصة بالتعليم العالى، حيث أكبر تركيز للمؤسسات والأعمال البحثية فى مجالات اليهودية، ودور نشر للكتب اليهودية، ومسارح يهودية، وشركات إنتاج أفلام سينمائية وتليفزيونية لليهود. ومع ازدياد تسريع هذا التطور ومع تراكم الخبرة والإبداعات التى نشأت وتنشأ فى إسرائيل يزداد تأثير اليهودية العلمانية الإسرائيلية في كل التيارات اليهودية فى كل البلدان.

إبداعات يهودية

الإبداعات اليهودية هى إبداعات متأثرة بانتساب مبدعيها إلى اليهودية أو تنضم إلى مجمل الإبداعات التى تحسب ضمن ثقافة اليهودية الخاصة بعصر أو تيار من التيارات الموجودة فى الشعب اليهودى.

وتتمثل ثقافة شعب معين فى إبداعاته الخاصة وتتقبلها أحيانا شعوب أخرى على أنها جزء من إبداعاتها الكلاسيكية (مثل الإلياذة، أوديب، إبداعات التناخ، إبداعات شكسبير) وتؤلف مجموعات من بين الإبداعات اليهودية "مصادر اليهودية" وتمثل عصورا فى تاريخها. فتشكل مجموعة الإبداعات التى جمعت فى الأنتولوجيا

التناخية نموذجا لمجموعة تمثل ثقافة الشعب اليهودى من فترة نشأته وتاريخه فى هذه الفترة، كما تنعكس فى وعيه وذاكرته الجماعية.

وطالما أن الديانة كانت العنصر المهيمن فى ثقافة شعب بنى إسرائيل فى العصر القديم -كما لدى كل الشعوب الأخرى- فتشكل معظم الإبداعات فى الأنتولوجيا التناخية وثيقة تدل على تمسك مؤلفيها بالديانة.

وأدرجت فى عملية جمع التناخ وتحريره أيضا إبداعات علمانية - مثل نشيد الأناشيد ولفائف أستير؛ حيث لا يذكر فيها اسم الإله، والأبطال والمؤلفون لا ينتمون إليه مطلقا.

وتمثل الإبداعات اليهودية الواردة فى التناخ- معظمها بالعبرية وأجزاء معينة بالأرامية- التعددية التى سيطرت على ديانة أبناء الشعب اليهودى وثقافته فى هذا العصر. وتُعرض فى كتابات مؤرخى هذه الفترة وفى خطابات الأنبياء والقصص والدراما الفلسفية (أيوب)، والأشعار والفكر، والقوانين والأحكام، التيارات والاتجاهات المتنوعة التى نشطت فى ثقافة أبناء الشعب اليهودى وفى مجالات الشعائر والديانة، والإبداع الفنى والأدبى، والأعياد والطقوس، والفن والآراء.

ويمكن أن تمثل مختارات تشبه تلك التى جاءت فى المجموعة التناخية مجمل اليهودية بوصفها ثقافة للشعب اليهودى فى كل فترة من فتراتها. وتتمثل يهودية الحاضر فى إبداعات يهودية فى الشعر والأدب القصصى والدراما والسيناريوهات وفكر وأبحاث وعلم التأريخ وما كتب فى القانون وفى فن الرسم والنحت، والموسيقى والمسرح والسينما وفى كل اللغات والبلدان التى نشأت فيها إبداعات يهودية معاصر.

ديانة

الديانة هى إحدى أشكال الثقافة: وهى مجموعة عبادات دينية وأحكام شرعية ومعتقدات. وتضم الديانة بصفة عامة الإيمان بوجود إله فوق البشر وهو موجود فى الطبيعة وخارجها وهو مصدر السلطة والأوامر -الأخلاقيه وغير الأخلاقية-. وفى

معظم الديانات ينسبون للإله قوة العقاب والثواب، حسب رغبتهم أو وفقا للتعاليم المسموعة من قبل الذين يتظاهرون بالحديث باسم الرب ويمثلونه. وفى معظم الديانات يثق أبناء الجماعات المتدينة فى كلام المتحدثين باسم الإله؛ وكأنه قد مُنحت لهم سلطة عن طريق الإله بالوساطة بينه وبين البشر: مثل الكهنة، الحاخامات، القساوسة، الأنبياء وغيرهم.

وتلزم الديانة فى معظم الحالات أعضاء طوائفها بالإخلاص لمؤسساتها ولزعمائها وممتلكاتها الاقتصادية والانصياع لكل تعاليمهم والدفاع عنهم وعن سلطتهم أمام كل معارضيهم.

يأخذ الانصياع لزعماء الديانة أحيانا أشكالا متطرفة -مثل الانصياع للبابا والذى حسب اعتقاد كثيرين من أفراد الطوائف الكاثوليكية لا يمكن أن يخطأ، أو الانصياع لحاخامات زعماء سياسيين، ولأعضاء برلمانيين منتخبين فى الديمقراطية. والانصياع لزعيم دينى أو حاخام ليس مرهونا برأى المنتخبين الذين يختارهم الجمهور ليكونوا مشرعين فى البرلمان، ويلغى هذا المبدأ الديمقراطى الذى بفضله تم انتخابهم لمنصبهم.

وفى معظم الحالات تشجع الديانة مشاعر الخوف من العقاب بعد الموت أو الخوف من مخلوقات ومن ظواهر فوق طبيعية وغير متوقعة موجودة وراء العالم الذى ندركه بحواسنا ووعينا. وفى المقابل تشجع معظم الديانات أعضاء جماعتها وطوائفها على الإيمان بأنهم أسمى من كل أبناء الديانات والمعتقدات الأخرى وأسمى من غير المتدينين، فى نظرهم وحسب تفسيرهم.

وفى حالات كثيرة يؤمن أفراد وزعماء متدينون أن لهم الحق أو من واجبهم فرض أحكام ديانتهم على غير المتدينين أيضا أو على أبناء الديانات الأخرى أو على منْ تناقض عقيدته عقيدتهم.

ديانة يهودية

تحتوى الديانة اليهودية على تيارات كثيرة، والتى تـؤدى بنسـب مختلفـة وبأشكال مختلفة أحكام الشريعة. وهذه التيارات متناقضة ومتصارعة مـع بعضـها البعض، مثل تيارات الأغلبية المحافظة والإصلاحية وتيارات الأقلية الأرثوذكسية. والمشترك بين كل التيارات فى الديانة اليهودية هو التمسك بأحكام الشريعة (وفـق صيغ مختلفة) والاشتراك فى صلوات وأدعية للإله، ودراسة إبداعات أدبية يهوديـة دينية قديمة، وإيمان بتراث تاريخى مشترك كامن فى التناخ، وعضوية أو زيـارات للمعبد فى إطار التيار الذى ينتمون إليه.

ونشطت الديانة اليهودية كعنصر مؤثر فى ثقافة الشعب اليهودى وفى غالبية إبداعاته حتى قبل حوالى مائتى عام. وتتسم الديانة اليهودية بكثرة التحولات التـى طرأت عليها فى كل عصر من تاريخها وبكثرة التيارات والاتجاهات المتعارضـة والتى نشطت بها فى الماضي أيضا -منذ زمن موسى وهارون حتى عصرنا. ولقد حاول كثيرون منذ ختام التناخ والمشنا والتلمود بلورة الديانة اليهودية كديانة واحدة ومتجانسة اعتمادا على نظام أحكام شريعة ثابتة، طبقا لأراء الغالبية الموجودة فـى التلمود.

اتخذ لدى معظم الطوائف المتدينة اليهودية مبدأ الانصياع لأحكام الشـريعة والصلاة، إذ أن الفروق بين النصوص الملزمة هى أحيانا فروق حاسمة فى تأثيرها على حياة المؤمنين (مثل الفرق بين السماح بتعدد الزوجات وتحريمه، صيغ الصلاة، النظرة إلى السحر، النظرة إلى التوراة الشفهية وإلى كتـاب (شـولحان عـاروخ) "المائدة المرتبة" وصيغ تفاسيره). والديانة اليهودية بوصفها ديانة فرائض فعليـة لا تلزم الإيمان بظاهرة إلهية محددة.

ولقد طرأت فى القرنين السابع عشر والثامن عشر تحولات جذريـة علـى اليهودية وديانتها مع ظهور عوامـل تغييـر جـذرى وهـى: انتشـار القبـالاه[٨] والمسيحانية[٩]، وسبينوزا والفلسفة اليهودية، والحسيدية والحركة المعارضـة لهـا،

وحركة الإصلاح ، والحركة الأرثوذكسية الجديدة، وحركه التنوير اليهودى[١٠]، والمحافظون المعتدلون والمحافظون المتعصبون، والمعادون للصهيونية، والحركات العلمانية القومية والحركات الدينية الصهيونية.

وتقلص على خلفية تلك التغيرات تأثير شريعة الديانة اليهودية الراسخة فى التقاليد المقدسة. ففى القرن التاسع عشر وعقب التحرر الذاتى الروحانى زادت مسارات العلمنة لدى الشعب اليهودى كما فى معظم شعوب أوربا.

إن حركات الهجرة الجماعية وتفكيك البلدة اليهودية فى نهاية القرن التاسع عشر وتجمع السكان اليهود فى مدن الثقافة الغربية قد غير شكل الديانة وشجع مسارات العلمنة فى اليهودية.

مرت الديانة اليهودية وأحكام الشريعة بتغيرات بعيدة المدى فى معظم الطوائف الدينية فى الشتات فى الغرب؛ حيث ألغت غالبية الطوائف المقصورة النسائية بالمعبد، وفى هذا الجزء ظهرت نساء تشغل منصب حاخام ومرتل ومفتى وقاضى شرعى، كما طرأت تغيرات فى صيغ الصلوات والشعائر وتوقف أبناء الطوائف الدينية عن الحفاظ على قسم كبير من أحكام الشريعة فى معظم مجالات حياتهم.

إن معظم اليهود فى العالم وفى إسرائيل ليسوا متدينين: لا يحافظون على أحكام الشريعة، ولايترددون على المعبد، ولايسترشدون بالحاخامات، ولايرسلون أبناءهم إلى المدارس الدينية.

عاد التيار الأرثوذكسى فى دولة إسرائيل ليكون قوة مؤثرة بفضل انقسام اليهودية غير الدينية إلى معسكرين متخاصمين فى نظرتهم إلى العرب والسلام والحرب، وبسبب احتياج كل منهما إلى الأقلية الدينية الصغيرة من أجل الحكم فى الديمقراطية الإسرائيلية. ويمثل فى إسرائيل، فى نهاية القرن العشرين، أعضاء الجماعات الدينية حوالى ٢٠ % من السكان فقط، كما فى بداية عهد الدولة.

يهودية متحررة

اليهودية المتحررة هى يهودية متحررة من الديانة التشريعية. يهودية يهود علمانيين مثلما أن "اليهودية الحريدية" هى يهودية يهود أرثوذكس متطرفين، ومثلما أن "يهودية الصهيونية الدينية" هى يهودية الأرثوذكس الجدد الإسرائيليين، منهم من يتجه نحو الحريديين ويقترب منهم ومنهم معتدلون يبتعدون عنهم.

وتُعد اليهودية المتحررة أكبر التيارات ولكنها الأقل مؤسستيا وتنظيميا عن باقى التيارات اليهودية. فهى عبارة عن جمهور بدون طوائف. ويعيش معظم اليهود فى العالم فى أنماطها ومعتقداتها لكنهم تقريبا ليسوا منتظمين فى طوائف قائمة على مؤسسات (ماعدا أكثر من مائتى كتلة للحركة الكيبوتسية العلمانية فى إسرائيل وحوالى ستين جماعة علمانية فى أمريكا).

وتعبر حياة اليهود المتحررين عن المعتقدات والآراء السائدة بينهم فيما يختص بمبادئ السلوك وحقوق الإنسان والواجبات تجاه المجتمع والشعب. إنهم يعبرون عن سلطة الإنسان باعتباره إنساناً فى النقد، وفى تغيير التقاليد وتجديدها، وتشكيل القيم التي من خلالها يمكن تقييم وتفضيل الشرائع والعادات أو رفضها.

وبتوجيه تلك المعتقدات يتحرر اليهود العلمانيون من أحكام الشريعة غير المستحسنه لديهم، لكنهم يتبنون عادات وتقاليد أو فرائض تخضع لاختبار النقد الإنسانى. إنهم اجتازوا اختبار القيم الأخلاقية المفيدة لجوهر حياة الفرد والأسرة والطائفة.

ويحافظ اليهود العلمانيون على تقاليد يهودية مفيدة ومبهجة، مثل: وجبات السبت والاحتفال ببهجة العيد للأسرة والأصدقاء، وإيقاد الشموع أثناء المآدب الاحتفالية، وأحيانا أناشيد ونصوص تقليدية مع تغيير فى شكلها ومضمونها، حسب المناسب فى نظرهم والملائم لمعتقداتهم، وتغيرات مثل كتابة قصص فصح جديدة، وابتكار قصص ليوم الخامس عشرمن شباط أو لعيد الاستقلال.

واليهودية المتحررة هى يهودية غالبية اليهود وغالبية المبدعين فى العالم فى القرن العشرين في إسرائيل والشتات. وقد ابتكرت معظم الإبداعات اليهودية بعصرنا فى إطار اليهودية المتحررة وانضمت إلى ثقافتها؛ حيث يُستخدم بعضها فى نظم تعليمها، وتشكل نماذج مختارة منها أسس السلوك المشتركة فى حديث اليهود العلمانيين المثقفين فى اليهودية العلمانية بإسرائيل، ونماذج لذلك: إبداعات هيانا، وبيالك، وتشيرنحوفسكى، وألترمان، وشالوم عليخم، وعجنون، ويزهار، وبوبر، وبرينر، وسيجل، وديننسيجر، وماهلر، وبرنشطين... وغيرهم.

على التعليم فى اليهودية المتحررة السعى لتعريف المتعلمين ثقافة شعبهم وثقافة الشعوب التى يعيشون فيها، مثلما فى كل واحدة من تيارات اليهودية. وتؤدى الثقافة التى يتم إكسابها فى أطر اليهودية المتحررة إلى تعريف متعلميها باليهودية وثقافة العالم معا وبالإنسانية على أنها نظام ثقافة وقيم أخلاقية إنسانية عامة ويهودية على حد سواء.

مصادر اليهودية

وطالما أن اليهودية ثقافة متطورة ومتغيرة فى كل عصر فإن مصادرها موجودة في الإبداعات التى تمثل كل العصور والتيارات والحركات فى الشعب اليهودى. وبتطور الثقافة اليهودية يستمر العمل بإبداعات قد ابتكرت قبل مئات السنين بجانب إبداعات ابتكرت فى الحاضر.

إن التعرف على المصادر اليهودية يوجب الخروج عن "خزانة الكتب اليهودية" ذلك اللفظ الذى تحول إلى لقب يطلق على أدب التلمود والمدراش (١)، الأدب الذى يُقال عنه أنه يمثل جوهر اليهودية.

تضم مصادر اليهودية القديمة والجديدة كل الإبداعات التى تمثل الثقافة اليهودية فى كل وسائل الإعلام التى نشأت بها. ولقد تطورت هذه الإبداعات فى الأدب والفكر وفى الصور الجبسية وفى الموسيقى بالمعابد القديمة، والرسم والنحت

فى فترة الهياكل الثلاثة الأولى ليهوا ومن الفترة الهيلينستية وحتى عصرنا، وفى الموسيقى والمسرح، وفى السينما والتليفزيون.

صارت ثقافة الشعب اليهودى فى القرن العشرين ثرية بإبداعات كثيرة أكثر من الثلاث آلاف سنة التى سبقتها فى تاريخها. ويتجلى هذا الثراء فى تشكيلة الإبداعات التى ابتكرت فى ثقافة الشعب اليهودى باللغات المختلفة وفى تيارات الطوائف المختلفة وفى كمية الإبداعات الموجودة بين أيدينا.

إن المنطلق فى التعليم اليهودى فى أى تيار من تيارات اليهودية هو معرفة العادات والقيم والإبداعات الأدبية والفنية السائدة والتى تمثل ثقافة الحاضر ومن خلالها يتعرف الدارس على الثقافة اليهودية التى يدرسها. وعند بلوغه، وبالقدر الذى يتيح له الفرصة والحرية لفعل هذا، فإن الدارس يكون معرضا لكل تيارت اليهودية فيتعرف على تيارات أخرى فى اليهودية وثقافات أخرى.

على اليهودية المتحررة من الديانة التشريعية أن تسلك هذا النهج. وينبغى فى كل فصول الدراسة وفى كل الموضوعات أن تختار من مصادر اليهودية التى نشأت فيها فى خلال المائتى عام الأخيرة؛ حيث تشكل هذه المصادر منطلقا لتعريف الدارس بثقافة المجتمع العلمانى الذى يعيش فيه، وللطريق الذى يوضح مصادر اليهودية بتياراتها وفى العصور الأخرى والتى تحدث وقعًا وتؤثر فى اليهودية المعاصرة .

"الانتماء إلى اليهودية" ـ "من هو اليهودى"[١٢]

الانتماء إلى اليهودية كناية عن ثقافة الفرد فى الشعب اليهودى. ويعد الإنسان يهوديا طالما أنه ولد وتربى فى أسرة أو فى طائفة يهودية أو طالما أنه انضم إلى الشعب اليهودى من خلال انضمامه إلى أسرة أو طائفة يهودية. والانتماء إلى اليهودية أو الانضمام إلى الشعب اليهودى ليس مشروطًا بديانة الفرد أو بالتيار العلمانى أو الدينى الذى ينتمى إليه، وعلى ذلك فإن الانتماء إلى اليهودية أو الانضمام للشعب اليهودى مشروط بعملية تهود ما.

ولأن الشعب اليهودى هو شعب له خصوصية، مثل كل الشعوب، ليس فقط فى سماته بل أيضا فى تعريفه فإن الانتماء إلى اليهودية له كذلك خصوصية. فمنذ أن منحت الإمبراطورية الرومانية "جنسية رومانية" لأبناء القوميات المختلفة، ومنذ أن بدات دول قومية تمنح "جنسية " لمواطنيها فهناك من يتبادلون مفاهيم "انتماء قومى" و"جنسية فى دولة".

وفى إسرائيل على سبيل المثال يوجد اليوم أكثر من خمسة ملايين مواطن هم يهود إسرائيليون بجانب مليون مواطن ليسوا يهودا وهم "فلسطينيون إسرائيليون" و"دروز إسرائيليون" و"مسيحيون إسرائيليون".

ولا تنقص الهوية القومية لليهود والفلسطينين من كونهم إسرائيليين، تماما مثلما أن الانتماء للقومية الفالشية لاتنقص من كونهم مواطنى بريطانيا، والانتماء للقومية الفرنسية للكويبك لا ينتقص من كونهم "كنديين".

إن الهوية القومية و"الانتماء إلى اليهودية" فى هذا الإطار غير مرهون برغبة أو باختيار فهو يتحدد من خلال الأصل الأسرى ومسيرة التعلم فى مجتمع قومى. وفى حالات تشذ عن القاعدة فقط فإنه يكون نتيجة انضمام الفرد إلى الشعب طواعية، وهو يتم بصفة عامة بانضمامه إلى أسرة أو طائفة فى هذا الشعب.

إنسانية، قيم إنسانية

الإنسانية هى القوة الكامنة الموجودة فى كل مخلوق بيلوجى يُسمى إنسانا. وتتبع إنسانية الإنسان من القدرة على الفعل، والتى تتحول إلى مجموعة خصائص مكتسبة للذين يتربون فى مجتمع إنسانى، تماما مثلما أن سمة الذئب هى صفة مكتسبة لكل من تربى فى قطيع ذئاب (حتى وإن كان رضيع بشرى وترك بينهم).

والإنسانية هى أيضا نتاج لتحقيق قوة كامنة خاصة بالإنسان والتى تحل فى العملية الإنسانية عن طريق تعلم فى مجتمع قومى وفى مجتمع الشعوب التى عايشتها أمته. ومن هنا فإن إنسانية الإنسان مشروطة بتعليمه فى ثقافة قومية؛ لأنه لا يوجد فى الواقع ثقافة أسمى من الثقافة القومية.

إنسانية مرتبطة بقومية فردية.

يرتبط التعليم فى الثقافة القومية بوعى وانفتاح على ثقافة الأمم التى يعيش فيها الشعب الذى يتعلم فيه الإنسان. وهذا الاستنتاج نابع من أنه لا يوجد فى الواقع شعب لا يعيش فى مجتمع شعوب أخرى ولاتوجد فى العالم ثقافة لم تتأثر ولم تشكل جزءا من ثقافات شعوب أخرى. ويشذ عن هذا، على سبيل المثال، قبائل منعزلة منذ عصور، مثل قبائل البابوئه التى أكتشفت فى فيجى عن طريق أبناء الشعوب الأخرى فى القرن العشرين فقط.

وتعد الإنسانية هى مجموع الصفات التى يكتسبها الإنسان فى سياق العملية الإنسانية- عن طريق الخضوع لسلطة المجتمع وعملية التثقيف- والتى تشمل استيعاب قيم إنسانية بفضلها يستطيع المجتمع العيش كمجتمع تتحقق فيه إنسانية الإنسان وفيه تتحسن باستمرار ماهية حياته.

إنسانية

تتحول الإنسانية إلى معيار لتقييم وتفضيل القيم، وأشكال التعليم، والعادات والتقاليد، والشرئع والأحكام. ويمكن أن تمثل مقولة بروتاجورس "الإنسان هو معيار كل الأمور" القيم الإنسانية طالما أنها تتحدث عن فرد إنسانى، أى "صاحب قيم إنسانية". ولايستطيع الفرد العنصرى أو المتطرف قوميا وعنصريا أن يكون معيارا لتقييم وتفضيل أخلاقى، لأن قيمه تتنجاهل واجباته تجاه الغير وللإنسانية عامة، ولأن سلوكه على هذا النحو يؤدى إلى معاداة لإنسانية المستعبِدين والقاهرين والمستعبَدين والمقهورين فى داخلها. ويؤدى استعباد النساء إلى معاداة لإنسانيتهن وإنسانية مضطهديهن، ويؤدى استعباد شعوب وقهرها إلى معاداة إنسانية المحتلين ومن وقع عليهم الاحتلال.

واللاإنسانية هى فقدان القدرة على التمييز بين الخير والشر لدى الإنسان- وهذا الوضع يمكن أن يُعرف فى علم النفس بالسيكوباتية. وتتجلى اللاإنسانية فى السلوك الذى لايضع الغير فى الاعتبار سواء أكان فردًا أم أبناء جنس معين أم

شعب، كما تتجلى اللاإنسانية فى الأنانية المفرطة والتى تضر بقدرة المجتمع فى أن يلعب دورا إنسانيا وبشكل يمنع غالبية الأفراد من تحقيق القوى الإنسانية المميزه لهم.

وتؤدى اللاإنسانية للحكام والمحكومين فى الأسرة وفى شعب أو فى جماعة الشعوب على مدى طويل إلى انهيار المجتمع وقدرته على التماسك من ناحية الاقتصادية ونظام الحكم كما حدث فى مجتمعات حكمها طغاة أنانيون وسيكوباتيون، مثل الحكم النازى والبلشفى والحكم فى كمبوديا وفى العراق.

قيم إنسانية

القيم هى معايير لتقييم وتفضيل السلوكيات والشرائع. ومن هنا تأتى احتمالية وجود قيم إنسانية وقيم معادية للإنسانية.

والقيم الإنسانية هى قيم توافق قيم "هليل" السامية والتى تقول "ما تبغضه لا تفعله لغيرك" وقيم "كانط" القائلة "لاتنظر إلى الإنسان على أنه وسيلة بل هو غاية فى ذاته، ولا تنظروا إلى مبدأ على أنه أخلاقى إلا إذا كان صالحا لكل البشر". وهذه المبادئ الثلاثة هى قيم سامية (وبناء عليها تُقيم وتُفضل القيم الأخرى) متسقة.

وبناء على ذلك تضم القيم الإنسانية مبادئ المساواة بين الأجناس والشعوب، ومبادئ حرية التعبير واستقلالية الفرد، ومبادئ واجب الفرد تجاه المجتمع، وحقوق الفرد فى كل مجتمع، ومبادئ واجبات المجتمع تجاه الفرد، ومبادئ الديمقراطية كأسلوب حكم مفضل على كل بدائلها.

إن معيار تقييم القيم وتفضيلها هو العملية الإنسانية نفسها؛ حيث إن القيم التى تساعد على تحقيق الإنسانية هى فقط الجديرة بالتقييم والتفضيل وما يؤدى إلى اللاإنسانية يجب رفضه.

والإنسانية هى إيمان بقيم إنسانية وبسلطة البشر فى تحديد قيم ومبادئ من أجل ضمان حقوق كل البشر وخلق أوضاع اجتماعية وتربوية تؤدى إلى إنسانية الفرد.

قيم يهودية

القيم اليهودية هى قيم إنسانية عامة ذات طابع يهودى، مثل القيمة السامية لهليل والتى وفقا لرأيه تقول "(يكون الإيمان) بالتوراة كلها" ويعد مدلول هذه القيم هو القاسم المشترك لوصايا موسى وتفضيل الأنبياء للعدل الاجتماعى على واجبات العبادة والصلاة ولاعتراض إبراهيم على ظلم العقاب الجماعى، ولاعتراض أيوب على من ينسبون الخطيئة لكل من يتعرض لكارثة، وينسبون العدل للإله أيضا حتى عندما يفعل مكيدة مع الشيطان، ويؤدى إلى كارثة للأبرياء مثل الكارثه التى أدت إلى موافقة الإله والشيطان على أذى أيوب وأولاده وأحفاده.

إن القيم الإنسانية العامة والتى تساعد على الإنسانية وماهية الحياة مشتركة بين أبناء شعوب كثيرة، مثل اليهود المتدينين والعلمانيين. والقيم المعادية للإنسانية، التى تساعد على اللاإنسانية، من شأنها أيضا أن تكون قيما يهودية دينية وعلمانية.

ولقد وضع التراث اليهودى التاريخى والأدبى أساسا لقيم الحرية والمساواة والعدل عندما جعل ملحمة التحرر من العبودية فى مصر قصة لتكوين الشعب اليهودى ومبررا جوهريا لشرائع العدل والحكم. (مثل: إذا نزل عندك غريب فى أرضكم فلا تظلموه، كالمواطن منكم يكون لكم .. وتحبه كنفسك ، لأنكم كنتم غرباء فى أرض مصر. لاوين ١٩)

إن "إريك فروم" ،الذى يرى فى الإنسانية تطلعا لوحدة الجنس البشرى ولحرية الإنسان، يرى فى أسطورة الخروج من مصر ومركزيتها فى ثقافة الشعب اليهودى أساسا لنظام القيم الإنسانية فى اليهودية .

تتصارع القيم اليهودية الإنسانية مع القيم اليهودية اللاإنسانيه العنصرية التى تسمح لليهود بالتعالى على أبناء الشعوب الاخرى، وتسمح باستعلاء الرجال على النساء، أو القيم التى تمنح اليهود حقا لطرد الشعب المنهزم من أرضه أو قتله كما يرد فى سفر يشوع، وحقا لإعلان غايات الأحزاب السياسية اليهودية العلمانية والدينية المعاصرة.

ولقد أدت القيم اللاإنسانية إلى قتل جماعى لمجموعة من المصلين عند قبر آباء الأمة اليهودية على يد طبيب قاتل من مستوطنة كريت أربع، وقد تحول إلى قديس مبجل من قبل الحاخامات وغيرهم. ووجهت تلك القيم حاخامات لإصدار حكم بإهدار دم رئيس جكومة إسرائيل "إسحاق رابين"، وشجعت بذلك قتل رئيس حكومة الدولة اليهودية على يد قاتل يهودى متدين لأنه عمل على دفع مسيرة السلام للأمام.

قيم فى مقابل فرائض

على التعليم الإنسانى اليهودى استيعاب "قيم يهودية" إنسانية تتطابق مع القيم الإنسانية العامة وحمايتها من القيم اللاإنسانية المتعصبة قوميا وعنصريا.

يختلف "القانون" أو "الفريضة" فى الطبيعة عن "القيمة" لأن القانون هو أمر يسمح أو يمنع أو يلزم بسلوك معين، أما "القيمة" فهى معيار لتقيم وتفضيل القوانين والفرائض والشرائع والسلوكيات ؛ أى أنها تتبلور فى الإيمان بالإنسانية أو باللاإنسانية. أما القوانين والفرائض فهى أوامر لمشرع حاكم أو رأى للأغلبية، وقد شرعها الناس فى ظروف معينة، والتى يجب أن يعاد النظر فيها مع كل تحول فى الظروف والمعتقدات.

لقد شُرعت فرائض تقديم القرابين، على سبيل المثال، طبقا لرأى موسى بن ميمون فى الوقت الذى كان الشعب اليهودى يعبد آلهة كثيرة خاصة بشعوب أخرى قد أمنت بوجوب تغذية الآلهة ومنحها رائحة لحم محروق وظلت هذه الفرائض موجودة حتى بعد الثورة الدينية التى قام بها موسى؛ حيث إنه من الصعب التوقف دفعة واحدة عن هذه العاده حتى وإن كانت قائمة على معتقد قد ثبت بطلانه وعدم صحته. وكان يمكن بالتدريج فقط وقف هذه العادة عديمة المغزى فى نظر مؤمنين بإله ليس له جسد أو شكل أو أعضاء وليس فى حاجة أو رغبة لأن يذبحوا ويحرقوا من أجله مخلوقات حية. ويأتى موسى بن ميمون(١٣) فى نقاشه لهذه القضية بمثال يوضح رؤيته: لو جاأوا لبنى إسرائيل، عقب منح التوراة لموسى وقالوا لهم توقفوا

عن تقديم القرابين كانوا سيندهشون مثل يهود عصرنا لو اقترح عليهم فجأه التوقف عن الصلاة والحفاظ على فرائض الشريعة.

وتؤكد رؤية موسى بن ميمون الفرق بين القيم والفرائض. فالقيم نابعة من اعتقاد الإنسان ذى الادراك والبديهة. ويجب الانصياع للفرائض التى يشرعها الناس (والذين يتظاهرون أحيانا بالحديث باسم الإله) طالما أن العادة أو القانون الديمقراطى يوجب ذلك.

إن فرائض الشريعة الخاصة بسلطات الدين، مثل قوانين الدولة لايمكن أن تعد قيما أو قيما يهودية. ويعد تفضيل الفرائض على القيم تنازلا عن الجوهر الإنسانى للتوراة اليهودية كلها كما رأها هليل. وطالما أن الفرائض مناقضة للقيم يستمر الفرد، علىسبيل المثال، يحقر فى صلواته النساء اللاتى هن نصف الجنس البشرى ونصف الشعب اليهودى بصفة عامة، وذلك عندما يشكر فى صلواته اليومية إلهه على أنه لم يخلقه امرأة .

إن الذى يظلم النساء وفقا لتقاليد مقدسة فى نظره ووفقا للشريعة، فى قوانين الطلاق والزواج وانتخابات قضاة وحاخامات وزعماء للطوائف، فإنه يتصرف بشكل مناقض للقيم اليهودية التى تطابق قيما إنسانية عامة خاصة بمساواة كل البشر- ذكر وأنثى على حد سواء. والذى يبعد المقصورة النسائية بالمعبد والبعيدة عن الرجال وعن كتاب التوراة (لقد كانت المقصورة فى الهيكل بالقدس عبارة عن فناء داخلى يقف فيه رجال ونساء معا) يتصرف وفق مبادئه المتعصبة للرجال والمناقضة للقيم وبدون مبرر شرعى. وإذا كان حقا الهدف فقط هو فصل الرجال عن النساء خوفا من "نجاستهن" فى فترة الحيض فلماذا يجلس الرجال فى ما يسمى اليوم مقصورة النساء ويتركون النساء يقفن بجوار كتاب التوراة ومنصة المرتل ؟

إن الاعتقاد السائد بين المتحررين من الديانة بأن القيم أسمى من فرائض الشريعة يناقض تماما الاعتقاد السائد بين تيارات الديانة التشريعية والتى ترى أن فرائض الشريعة أسمى من القيم الإنسانية، بما فيها القيم التى تبنتها اليهودية .

ويعد هذا التناقض بين الاعتقاد بسمو القيم وبين الاعتقاد بسمو الفرائض هو أساس الفجوة الشاسعة بين اليهودية العلمانية واليهودية الدينية. فجوة بين الديمقراطية التى تُقيم قوانينها ونظام حكمها فى محكمة العدل العليا والتى تحكم وفق القيم الإنسانية وبين اليهودية الدينية التى تتبع الشريعة والتى تتصرف وفق فرائض مقدسة وفتاوى لحاخامات غير منتخبين من قبل النظام الديمقراطى. وحقا كما قال يشعياهو ليفوفيتش على ذلك :"إنه لا يعتبر نفسه إنسانا طالما أنه يقدس كل فريضة حتى إن كانت عنصرية وتدعو للقتل؛ كالفرائض التى تدعو لقتل شعب العماليق نساء وأطفالا حتى وان لم ينصع لها.

مستوى الثقافة ومستوى الإنسانية وتأثيرهما فى نوعية الحياة

يرتقى مستوى إنسانية الفرد وثقافته كلما ارتقى مستوى تحقيق القوى الإنسانية الكامنة داخله فى النشاط الروحانى والتجريبى، وفى مستوى استيعاب القيم الإنسانية وفى مستوى اندماج الفرد فى الثقافة القومية والعالمية التى يعيش فيها. وفى عصرنا يتعرض معظم الناس لوسائل إعلام وفيض من المعلومات، ورموز وإبداعات مشتركة لثقافات مختلفة بجانب الإبداعات والأحداث والظواهر التى تمثل الثقافة القومية التى يعيشون بها.

عندما يكرس الناس كل وقتهم ونشاطهم لمجال تخصصهم الضيق - فى العلوم أو فى التكنولوجيا أو فى الأعمال- تبقى القوى الروحية الكامنة الخاصة بهم معطلة نتيجة عدم النشاط. أما إذا كان الناس مشتركين فى نشاط روحانى وفنى يدمجهم فى ثقافة ويطلعهم على إبداع ثقافة شعبهم وبيئتهم، فإن القوى الروحية والنفسية الكامنة لديهم تنشط وتتحقق. ويثرى العالم الروحانى بالتجارب والتحديات وبالاطلاع وبموضوعات النقاش التى تربطهم بالمجتمع، والذى يحول تخصصهم بينهم وبينه.

إن رفع مستوى الثقافة يحسن نوعية حياة الأفراد داخل الأسرة وفى محيط الأصدقاء والطائفة التى يعيشون فيها. وكلما ازداد وعيهم بالإبداعات التى تمثل

ثقافتهم كلما زاد اندماجهم فى النشاطات الروحانية والاجتماعية والتربوية، وبــذلك تثرى وتتنوع حياتهم. ويكون نتيجة ازدياد عناصر المتع وأنواعها الحسية والروحية هو ثراء الحديث بين الأصدقاء وأفراد الأسرة وتنــوع الموضــوعات وعناصــر الانطباعات والمشاعر فتشمل موضوعات لاتتعلق بعوامل اقتصادية أو صحية ، كما أوضح أرسطو فى كتاب "علم الأخلاق".

كان أرسطو أول من أشار إلى الارتباط بين علم الأخلاق وماهيه الحيــاة؛ حيث إن الأفراد الذين يتصرفون مع أنفسهم وغيرهم وفق المبادئ التى تمليها عليهم قيمهم الإنسانية هم أناس يحرصون على تحقيق الحد الأقصى من قدراتهم الروحية والأسرية والاجتماعية، ويثرون حياتهم بنشاط ممتع ومتحد حتى وإن كانوا يفتقرون إلى الممتلكات المادية.

إن نوعية الحياة مشروطة بنشاط روحانى واجتماعى ويتاح هذا فقط عندما يحيد الخبراء عن مجال تخصصهم الضيق ويشاركون باقى أفراد المجتمع فى نشاط ثقافى مشترك بينهم.

والمشاركة الفعالة فى حياة اليهودية بوصفها ثقافة عاشت وتطورت كجزء مــن ثقافات الشعوب، تدعم ثراء كهذا الذى يرفع مستوى الثقافة وماهية الحياة. والثقافــة التى تحول أناسا مدركين لثقافتهم ومصادرها تتيح اندماجا فعالا فى الحياة الروحيه لطائفتهم.

قومية وهوية وتضامن

إن القومية تعنى عضوية فى شعب بهدف تحقيــق هويــة الفــرد القوميــة واندماجه فى ثقافة شعبه. وفي حين أن الهوية القومية هى حقيقة لايتسبب فيها الفرد، بصفة عامة، فإننا نجد أن التضامن القومى هو نظام لنشاطات اجتماعية روحانيــة وتعليمية مرتبطة بمعرفة ثقافة الأمة ومشاكلها والمواقف التى تتخذ لحلهــا. ويلــزم التضامن القومى الإلمام بمطالب وواجبات ذلك التضامن مع أبناء المجتمع القــومى ومعرفة الحقوق الناتجة عن العضوية فى الشعب.

ويشكل مستوى ثقافة الفرد مقدار انتمائه القومي: وإدراكه واندماجه في الثقافة القومية والعالمية، وإدراكه للإبداعات التي تمثلها، وقدرته على المساعدة في تعليم أبنائه وأبناء الطائفة التي يعيش فيها وفي الثقافة القومية وقدرته على تعليم القيم الأخلاقية التي تتيح وجود المجتمع القومي والدولي ومعرفة تعبيراتهم في التراث الثقافي للشعب.

وتتحدد قومية الإنسان عن طريق عوامل غير متعلقة برغبتة، وهي تشكل قوى كامنة وتحد لنشاط ثقافي واجتماعي وسياسي يمكنه تحقيقه.

لقد آمن كثيرون أن القومية قد اختفت كعامل في حياة الفرد والمجتمع؛ بسبب اتجاهات عولمة الاقتصاد والتكنولوجيا والحاجة إلى الجماعة الدولية التي تتعاظم في مقابل ضعف الدول ذات الانتماء القومي. وعلى الرغم من كل هذا شاهدنا في نهاية القرن العشرين تعاظم القومية سواء بتطلع شعوب صغيرة للاستقلال السياسي لأقصى حد عن طريق تشجيع الوعي بمصادر الثقافة القومية وخصوصيتها في مقابل ثقافات أخرى، أو بترسيخ التضامن القومي في الحياة الثقافية والروحية.

بجانب التعرض المتزايد لوسائل الإعلام الدولية وللإبداعات الترفيهيه المألوفة لدى أبناء الأمم المختلفة يتنامى في عصرنا أيضا نشاط ثقافي في أطر قومية من خلال البحث عن الجذور والمصادر في ثقافة الشعب.

ويعد إحياء اللغة العبرية وثقافتها في إسرائيل، والتي تجمع بها اليهود من عشرات الدول والثقافات، والذين يعلمون أبناءهم التضامن مع ثقافة الشعب اليهودي، هو أحد أبرز التعبيرات في مجال إبدعات الصحوة القومية في القرن العشرين. ويعد الانشغال بقضية دلالة "الهوية اليهودية" للإسرائيلين أو ليهود الشتات هو شكل من أشكال نشاطات تضامن اليهود مع شعبهم، في عصر فقد فيه الانتماء إلى اليهودية شكله الديني من وجهة نظر معظم اليهود ذوي الهوية القومية اليهودية. والانتقال من هوية إلى تضامن قومي مشروط بالانتقال من السلبية إلى الفاعلية الثقافية والتعرض

لفيض متنوع من إبداعات ثقافية يهودية فى كل مجالات الإبداع فى اليهودية الإسرائيلية والذى يؤثر على بؤر الإبداع والتعليم فى التيارات اليهودية فى الشتات.

تعليم إنسانى يهودى

يسير التعليم الإنسانى والتعليم الإنسانى اليهودى بصفة عامة فى اتجاهين متناقضين ظاهريا:

١ - إنه يسعى لتحقيق إنسانية الإنسان أثناء تكيفه مع مجتمعه وثقافته، من أجل استيعاب القيم الإنسانية السائدة به، ولمعرفه الإبداعات التى تمثله ولإدراك واجبات الفرد وحقوقه طبقا لقوانين هذا المجتمع.

٢ - إنه يسعى إلى استقلال الفرد الروحانى وتطوير الشخصية المتميزة له، والاهتمام بقدرته الإبداعية والنقدية تجاه كل المسلمات فى المجتمع، وكل الإبداعات الكلاسيكية التى تمثل ثقافته، وتجاه التقاليد والتراث الدينى والثقافى والقوانين والفرائض التى تسير الحياة على نهجها.

وفى الواقع لا يتناقض الاتجاهان مع بعضهما البعض. فكما يقول أرسطو يؤمن دارسون كثيرون بالتعلم الإنسانى أن عليهم المساعدة فى تحقيق القوى الكامنة المستترة فى كل إنسان: قوى إنسانية لعضوية فى مجتمع إنسانى، وقوى كامنة فردية تتيح له المساهمة فى مجتمع إسهاما متميزا.

تساعد تنمية الاتجاهات النقدية والإبداعية المجتمع على تطوره وإثراء حياته الثقافية، وانفتاحها على آراء وإبداعات جديدة، وعلى التمحيص المتجدد والمتكرر للقوانين وللمسلمات في ضوء الظروف المتغيرة. ويرى "ارسموس" أن الثقافة شرط لحرية إنسانية الإنسان، وطالما أن الإنسان أكثر ثقافة فهو أكثر إدراكا للواقع الذى يعيش فيه وللقوى الكامنة والخيارات المعروضه بها وللتغيرات التى تطرأ عليه وأساليب التعامل معها.

وتُعد الثقافة شرطا ضروريا للتعليم الإنسانى إلا أنه ليس كافيا؛ فبدون استيعاب القيم الأخلاقية التى تؤلف معيار التقييم والتفضيل، يمكن للثقافة أن تضر

بإنسانية الفرد، وذلك عندما تزوده بالأدوات التى تـدعم قدرتـه علـى التصـرف كعنصرى أو كمتعصب لقوميته.

إن التعليم الإنسانى اليهودى، مثل التعليم الإنسانى لدى كل شـعب غربـى آخر، يسعى إلى أهدافه عن طريق تنوع النشاطات الثقافية، وتفعيل دارسـيه فـى الإبداع والبحث والنقاش، مع الإلمام بثقافة الحاضر والتـراث الثقـافى للشـعب والشعوب.

وتلعب الإبداعات الفنية والأدبية والفكرية دورا مركزيا فى التعليم الإنسانى؛ لانها تجعل الفرد يلتقى مع التراث الثقافى لمجتمعه ومع نماذج إبداعيـة جديـدة لا مثيل لها ومع نقد اجتماعى وأخلاقى.

إن أبطال الإبداعات المثالية ليسوا مثاليين فى سلوكهم؛ فحيـاتهم مكتظـه بالآثام والخطايا طبقا لمعيار القيم الإنسانية، فأبطال الأدب مثل: إبراهيم، والإلـه، ويعقوب وداود، ومدأه، وأوديب، وماكبث، ولير، وفاوست كلهم يرتكبـون خطايـا جسيمة حسب معيار هذه القيم.

وتتمثل القيمة التربوية للإبداعات التى تشكل أبطالا كهولاء، فى الشكل الذى يعرضه العمل لهم، عندما يلتقى به متلقيه ليس فقط مع أشكال التعـابير المتميـزة والمثيرة للمتعة الحسية والجمالية، بل أيضا مع معضلات إنسانية وأخلاقية دائمة فى مجال التصارع بين الفرد والمجتمع، وبين الفرد ونفسـه وقيمـه، وبـين الإدراك والانفعال.

يؤدى الإبداع الكلاسيكى الذى يمثل الثقافة وظيفة مزدوجة وحيويـة فـى التعليم الإنسانى؛ فهو يساعد على إلمام الدارس بالقواسم المشتركة لثقافة المجتمـع الذى يعيش فيه ويثير لديه النقد والتفكير فى المشاكل التى يواجهها.

ولا تشمل الإبداعات التى تمثل الشعب والشعوب التى يعيش فيها الدارسون إبداعات كلاسيكية (سامية فى نظر منتقديها عبر أجيال كثيرة) على الداوام فحسب؛ بل تشمل أيضا إبداعات كثيرة معاصرة.

والتعليم الإنسانى هو مسيرة دائمة من المعرفة من خلال الاحتكاك بالإبداعات الفكرية والفنية الماضية والمعاصرة فى كل المجالات . وعن طريق مثل هذا التعليم فى اليهودية يتعرف الإنسان على ثقافة الشعب اليهودى الثرية والتى تعتبر جزءا من ثقافات الشعوب التى يعيش بينها.

تعددية فى اليهودية

تتجلى التعددية فى اليهودية فى كثرة التيارات والمعتقدات والآراء فى كل عصور تاريخها، بداية من أدب التلمود وحتى تطور المباديء التعددية التى أرست الفكر والحوار فى اليهودية، والتى تعترف بشرعية الخلاف وفائدته طالما يقرب من الحقيقة ويخضع المواقف المتعارضة لاختبار المبدأ الذى يقول "هذه وتلك أقوال الإله الحى".

وتتجلى التعددية فى ثقافة الشعب اليهودى فى فترة الهيكل الأول ليهوا فى القدس وفي هياكل يهوا فى بيت إيل وبدان فى أسفار التناخ التى تعرض وتصف تعدد الديانات والمعتقدات والعبادات لآلهة كثيرة قد انتشرت بين الشعب اليهودى فى ذلك الحين. وتصطدم النظرة إلى يهوا على أنه إله مجرد بالنظرة إلى إله إسرائيل على أنه عجلا ذهبيا. كما تصطدم آراء حول العدل الإلهى فى أقوال الأنبياء بآراء مناقضة لها، كما فى قصص إبراهيم وأيوب والجامعة.

وظهرت فى يهودية العصر الهيلينستى حركات وفرق مستقلة تختلف عن بعضها البعض- يهود متأغرقون ومعارضون لهم، وصدوقيون، وفريسيون، وحسيديون، وأسانيون، ومسيحيون يهود، وقناؤون ومعارضون لهم. ومع ازدياد التشتت فى بلدان أفريقيا وأسيا وأوربا ازداد أيضا توزيع الصلاحيات فى اليهودية، كما نشأت فى فلسطين معارضة على مؤسسة الحكم الدينى الكهنوتى للصدوقين، واندلعت فى فترة المكابيين مرة أخرى حروب أهليه بين اليهود الذين يتبنون ثقافة الغرب والمعارضين لهم.

وتقترب المؤسسة الدينية الصدوقية من أنماط حياة االغرب وتؤمن بالشريعة المكتوبة والمقدسة وتعارض أى إصلاح أوإضافة. وترفض المعارضة الإصلاحية الفريسية اتجاهات الهلينية والمحافظة الجامدة وتطالب بمواصلة تطور الديانة اليهودية والشريعة والعقيدة عن طريق التوراة الشفهية.

وفى الحرب مع روما تطورت كذلك معارضة ضد أحزاب الحرب- فنجد شخصيات مثل يوحنان بن زكاى وتلاميذه والقائد العسكرى اليهودى، المؤرخ يوسف بن متتياهو، ينتقلون إلى الجانب الرومانى ويباركون قائد الجيوش الرومانية، ويحظون بحمايته والاستمرار فى إبداعهم اليهودى تحت الحكم الرومانى. أما الأحزاب المؤيدة للحرب فتنقسم وتحارب بعضها البعض وتؤدى بالمملكة اليهودية إلى الدمار.

ومبدأ "هذه وتلك أقوال الإله الحى" هو مبدأ تلمودى يرمز إلى تحويل التعددية من سمة لليهودية إلى مبدأ موجه فى فكرها. إنه يعبر عن الإيمان بأنه لا يمكن لإنسان الحديث باسم الإله، وعلى ذلك يجب الإصغاء لكل أطراف الخلاف، والحفاظ أيضا على رأى الأقلية فربما يتحول فى المستقبل ليكون رأيا للأغلبية ويحسم القرار النهائى، والاعتراف بوجود خلافات لا يمكن أن تُحسم والإعلان عن ذلك يُعد أحد المفاهيم الثورية فى تاريخ الديانات وعلم اللاهوت.

وتتميز الشريعة بأنها ليست كالدستور؛ وإنما كالتطور، فهى مسيرة لا تتوقف بهدف استنباط الحقائق والعدل، ومنذ العصور الوسطى وعصر النهضه الأوربية تتنوع وتتعاظم التعددية المتمثلة فى كثرة الطوائف التى تعيش فى قارات وثقافات مختلفة، بالإضافة إلى كثرة التيارات الفكرية والدينية: العقلانيون، والمتصوفون، والمسيحانيون، والحسيديون والمعارضون لهم، والمتنورون والاندماجيون، والمرتدون عن الديانة طوعا أو كرها. ويتزايد فى العصر الحديث معدل تطور التعددية فى اليهودية بالانقسام إلى يهودية علمانية ودينية وبالتيارات التى تنشط فى الشتات وفى طوائف بعيدة عن بعضها البعض. ويلتقى فى إسرائيل

أبناء الطوائف والأجناس والتيارات اليهودية. وتقوى العلاقة بين فئات اليهودية التعددية بسبب النظام الديمقراطى فى إسرائيل والذى يزيد من تعلق التيارات والفئات باليهودية. ومن المحتمل أن تؤثر كل فئة وتيار فى اليهودية على السياسات وعلى تشكيل الحكومة، وعلى الاقتصاد وأمن كل المواطنين فى دولة إسرائيل.

إن وحدة الشعب مشروطة بانعدام وحدته وتجانسه، وبكثرة السبل التى من خلالها يستطيع الفرد أن يحقق انتماءه لليهودية دون أن يفصل نفسه عن اليهودية .

تعددية ليست نسبية

التعددية هى الاعتراف بتعدد المعتقدات وكثرتها والآراء والتيارات وأنماط الحياة والديانة فى ثقافة الشعب اليهودى. والتعددية سمة لليهودية منذ تأسيسها فى عصر التناخ، كما تعد أيضا مبدأ موجهًا فى اليهودية منذ عصر التلمود ومبدأ "هذه وتلك أقوال الإله الحى".

والتعددية ليست مثل النظرية النسبية التى تنسب قيمة مساوية لكل معتقد ورأى، ولكل موقف إنسانى ومعادى للإنسانية. وتشجع التعددية اليهودية الخلاف والنقاش بين أصحاب الآراء المختلفة الذين يؤمنون بتفضيل رأيهم على رأى معارضيهم ويسعون لإثبات صدق موقفهم بحزم وقوة وبشكل مغال وغير متردد كما حدث بين مدرسة هليل ومدرسة شماى، وكما يتصرف منذ ذلك الحين وحتى اليوم كل المختلفين فيما بينهم فى اليهودية.

وتتجلى النسبية فى عصرنا فى التخلى عن الإيمان بتفضيل موقف واحد على الآخر، والتخلى عن الإيمان بقيم مطلقة يقوم عليها المجتمع، وتلزم النسبية تسامحا أيضا تجاه العنصرية والتعصب القومى.

إن التعصب القومى والعنصرى هو نوع من أنواع الاستعلاء الذاتى الذى يعتبر قومًا أو جنسًا أو جماعة عرقية أو دينية والتى ينتمى إليها العنصرى، هى الجماعة التى اختيرت لتكون الأسمى وصاحبة الحقوق التي تفوق حقوق أبناء الجماعات الأخرى فى المجتمع الإنسانى، مثل النازيين "الأريين" أو المتعصبين

قوميا. ويتجلى التعصب القومى والعنصرى كعناصر معادية للإنسانية وهدامة للمجتمع وموضوعه، من خلال الإيمان بقيم تتجاهل حقوقًا لأفراد من مجتمعهم؛ لكن ليسوا من بنى جنسهم أو من قوميتهم أو من عرقهم أو يتبعون رأيهم.

إن قيمًا عنصرية، مثل معاداة السامية، تُعد بالتأكيد سيئة وبصورة ليست نسبية؛ حيث لا توجد نظرية نسبية تستطيع أن تبررها حتى وإن استوعبها المؤمنون بها عن طريق آبائهم ومعلميهم وتراث ثقافتهم.

وتهدد العنصرية و التعصب القومى ماهية حياة كل خلية أسرية وطائفية- مثل حركة طالبان فى أفغانستان، الخاميل الحمر فى كمبوديا أو النازية فى ألمانيا. وكل عنصرى يبعد نفسه عن ثقافة المرفوضين- فى نظره- ومجتمعهم، تتدنى حياته الروحانية والانطباعية، ويهدد خطر السيكوباتية إنسانيته.

ولقد حظيت النسبية الثقافية التى بدأ "هردر" تطويرها فى القرن التاسع عشر، باعتقاده بأنه لا توجد "ثقافة وضيعة" أو "سامية" عن الأخرى، بالانتشار فى نهاية القرن العشرين عقب نظريات الحداثة وما بعد الحداثة.

وهؤلاء الذين يرفعون شعارا ويعادلون ثقافة القسوة بثقافة المجتمع المفتوح فى الغرب يتنازلون عن إيمانهم بقيم إنسانية كمعيار لتقيم المرغوب والمرفوض، والشر والخير.

ومن أجل وجود التعليم الإنسانى لابد من الصراع ضد العنصرية وكل الذين يبررونها من النظريين، وعلى ذلك فهو لا يسعى للتوفيق بين آراء ومعتقدات؛ وإنما للحوار بين الذين يتمسكون بها.

وحدة الشعب ــ تراث تاريخى واحد ومعتقدات كثيرة

يسود فى اليهودية بوصفها ثقافة، دائما وفى كل التيارات، الاعتقاد بتاريخ قومى مشترك. وتطور هذا الاعتقاد بجانب معتقدات مختلفة ومتصادمة داخل الديانة اليهودية وخارجها. ويسود فى الثقافات التى تطورت تحت تأثير الديانتين المسيحية

والاسلام اعتقاد دينى واحد بجانب معتقدات تاريخية قومية مختلفة عن بعضها البعض.

و لقد سادت فى كل عصر من عصور اليهودية معتقدات متناقضة مع بعضها البعض فيما يتعلق بالإله وكونه إلها مطلقا وماهيته ووجوده، وباليهودية بوصفها ديانة ملزمه أو بوصفها ثقافة متطورة، وبالانتماء إلى اليهودية وتعريفها وشروط الانضمام إليها، وبفرائض الشريعة وسمو القيم الإنسانية على الشريعة، وبانفتاح اليهودية على تأثيرات الثقافات والديانات الأخرى، وبالتعليم اليهودى وأهدافه وسماته. ولا يقوض تعدد المعتقدات والتيارات الاعتقاد المشترك لليهود فى التيارات اليهودية المختلفة بوجود تاريخ قومى مشترك، وأن التناخ هو أساس اليهودية وأنه إيداع يشكل وثيقة تاريخة قديمة.

وتتجلى وحدة الشعب اليهودى فى موضوعات خلافية مشتركة؛ حيث تشارك كل التيارات اليهودية فى تلك الخلافات السائدة بها. وتتحول العلاقات الوطيدة بين المتجادلين والمتعارضين فى الموضوعات الخلافية المشتركة لتصبح أيضًا من عناصر وحدة الشعب اليهودى .

ومن تلك النماذج: الخلافات فى إسرائيل حول أساليب الحفاظ على يوم السبت، وأشكال الاعياد وسماتها، وحول التناخ أم التلمود أيهما أساس التعليم اليهودى، وحول "من هو اليهودى"، وقانون العودة(١١) هل هو تصحيح للتفرقة أم هو تعبير عن حق مقدس فى أرض فلسطين، وحول العلاقة بين الدين والدولة، وحول حق الإصلاح فى الشريعة (مثل: حاخامات التوراة الشفهية، والإصلاحيون فى عصرنا) أو حول التحرر من كل فرائضها.

وتاخذ الخلافات بين المعتقدات لدى الشعب اليهودى فى إسرائيل شكلا سياسيا وتلزم بانتماء واندماج كل المشاركين فى الديمقراطية الإسرائيلية، علمانيين ومتدينين على السواء. وهذه الخلافات، مثل كل الخلافات الأخرى فى اليهودية،

تعضد فى إسرائيل الاحتكاك والاتصال بين تيارات اليهودية المختلفة والتى تعمق الإدراك بكونهم جزءا من شعب واحد.

انفتاح اليهودية على تأثيرات ثقافات الشعوب

لقد تأثرت اليهودية بثقافات الشعوب الأخرى طيلة تاريخها، وظلت فى إبداعات دينها وسماته، وفي ثقافتها- منذ التناخ وحتى عصرنا- آثار واضحة لتأثيرات ثقافات بلاد ما بين النهرين، وكنعان وفنيقيا، ومصر، واليونان، والإسلام، والمسيحية، وثقافات الهند، وفارس، وثقافات سلافية، وثقافات علمانية فى أوربا، وأمريكا.

وقد شجعت هذه التأثيرات- فى كل عصر من عصور اليهودية- إبداعا يهوديا أصيلا. وعقب "نقد المقرا" أميط اللثام عن أصالة الإبداعات التناخية، من خلال مقارنتها بإبداعات الثقافات القائمة على أساس أساطير شعوب الشرق؛ حيث تأثرت بها كذلك إبداعات تناخية أصيلة. ومثل كل الإبداعات فى ثقافة العالم تأثرت بالطبع الإبداعات التناخية بالثقافات الأقدم، وبثقافات جيرانها، ولكن بالمقارنة تبرز أصالة شكل إبداعات التناخ ومضمونها، ورسالتها الدينية والمثالية، مثل أصالة قصة الخلق التى تُعد بمثابة صيغتين متناقضتين مع بعضهما البعض. والبناء القصصي لأسطورة بلاد ما بين النهرين المؤمنة بتعدد الآلهة قد نسجه مؤلفو الإبداع ومحرروه، والذى يشكل أساس التوحيد أيضا وكذلك المعتقد الإنسانى الذى يساوى بين أبناء "أدم" وبناته، والذي خُلق أصلا كذكر وأنثى وعلى صورة إلهه.

و يتجلى هذا الانفتاح المتواصل على تأثيرات الثقافات فى عصرنا فى تطور اليهودية والثقافة الإسرائيلية العلمانية التي تأثرت بكل الثقافات التى دخلت معها فى علاقه يومية وابتكرت فى نفس الوقت إبداعات أصيلة خاصة بها. خلق هذا التركيب من الانفتاح على التأثيرات والأصالة فى الإبداع فى الماضي البعيد، جسورًا ثقافية بين اليهودية وثقافات الشعوب الأخرى. وتنسب الذاكرة القومية المختزنة فى التناخ إلى الملك سليمان رؤية تعددية ثقافة عاصمة المملكة اليهودية، فهو يبنى ويفتتح فى

القدس فروعا لكل ديانات الشعوب المجاورة وثقافاتها، يتزوج منهم، ويحول القدس ليس فقط إلى عاصمة التوحيد الأولى فى العالم، بل أيضا إلى المدينة الأولى لتعـــدد الأديان (بالطبع لا توجد حقائق تاريخية فعلية حول ما رُوى عن سليمان، لكن توجد دلالة لوصف يخص المملكه والذاكرة القومية؛ حيث تنسب إليه كل هذا وتراه ملكًــا مثاليًا للعصر الذهبى فى تاريخ اليهودية).

وبفضل انفتاح اليهودية على التأثرات وأصالة إبداعاتها فقد حافظت علـــى تواصلها وتميزها عن ثقافات الشعوب ودياناتها، وفى نفس الوقت حافظـــت علـــى العلاقات معهم. ويتمثل تأثير اليهودية فى ديانات كل الشعوب وثقافاتها فـــي تـــأثير المسيحية والإسلام فى الإمبراطورية الرومانية فى بداية القرن الأول الميلادى.

إسهامات اليهودية فى ثقافة الشعوب

وفى الجزء الذى توحد من العـــالم وأصـــبح كيانـــا سياســـيا واحـــدًا فـــى الإمبراطورية الرومانية اتيح الانتشار لصيغ المعتقدات اليهودية بين "أتقياء يهـــوا" الذين قبلوا مبادىء معتقد التوحيد الأخلاقى اليهودى، ولكن لم يأخذوا على عـــاتقهم فرائض الشريعة.

وكان لدى جماعات أتقياء يهوا التى كانت مشتتة بجانب جماعات يهودية فى أنحاء الإمبراطورية الرومانية الاستعداد لقبول صيغ مسيحية لليهودية. وتشير صيغة "باول" إلى أن واجب الإيمان جاء عوضا عن واجب الحفاظ على فرائض تم تبنيها بسهولة من قِبل الذين يميلون للإيمان بتوحيد أخلاقى بدون واجـــب الحفـــاظ علـــى فرائض الشريعة.

وتوحيد كهذا، يهدف إلى تحقيق العدل والبر وضمان الخلاص، وكان أحـــد إسهامات اليهودية للشعوب التى تبنته عن طريق اليهودية المســـيحية. والأســـطورة الجديدة، والتى تحول فيها يسوع، معلم الحسيدين اليهود من الناصرة إلى ابن للإلـــه وقربان بشرى يكفر عن كل الآثام، ويخلص روح المؤمنين، وبذلك قد خفـــف مـــن

انتشار الديانة الجديدة التى ابتدعها "باول" والتى امترجت فى أسطورتها عناصر وثنية كثيرة.

إن الإيمان بالديانة المسيحية الجديدة التى كانت مبنية على كتابات يهودية مقدسة أدى إلى نشرها فى أقاليم مختلفة من الإمبراطورية الرومانية. وعندما تحولت المسيحية إلى ديانة رسمية للإمبراطورية وانتشرت فى ثلاث قارات تحيط بالبحر المتوسط انتشرت أيضا المؤسسات التى نشأت فى اليهودية: المعبد كنقيض للهيكل، والسبت والصلاة كبديل للقربان، ودراسة الكتابات المقدسة وتفاسيرها.

ولم تقم المسيحية بالحفاظ على مجموعة أسفار الكتاب المقدس المعترف بها ونشرها فحسب؛ وإنما على الإبداعات اليهودية الأخرى التي أخرجتها اليهودية الربانية من تراث اليهودية، وظلت خارجها عبر أكثر من ألف وخمسمائة عام، وعادت إليها فقط فى عصرنا مثل: أسفار العهد الجديد، الأسفار الخارجية(٥) "بما فيها أسفار المكابيين، وكتب الفلسفة الخاصة بفيلون السكندرى، وكتب عن تأريخ اليهودية، وكتب المحاربين ضد المعادة للسامية الخاصة بيوسف بن متتاهو.

وتحول يوم السبت من قاعدة يهودية متميزة إلى قاعدة عالمية عامة عبرت عن رؤية جديدة للزمن: الزمن الإنسانى الذى ينقسم إلى أسابيع من العمل تنتهى بيوم راحة إجبارية تنطوى مبادؤه على مساواة لم يسبق لها مثيل؛ حيث إن حق الراحة ووجوبها يحل على كل بنى البشر، أزواج وعبيد وإماء، وآباء وأبناء، ورجال ونساء، ويضم إضافة إنسانية تخص راحة للبهائم العاملة.

وخُصص يوم السبت لتحرير الإنسان من كل الأشغال على أن يتوجه للراحة من كل أعماله وأشغاله، وعلى مدار السنين تكدست نواهى العمل والنشاط بصورة كبيرة فى شرائع السبت الدينية، حتى إنه فى عصرنا لم يعد يلتزم بها معظم الشعب اليهودى، وتحول من جديد يوم السبت إلى عيد للراحة والفراغ والتسلية والمتعة.

الإله بوصفه بطلا أدبيا

ابتكر الناس الإله وصوروه فى إبداعاتهم ومعتقداتهم التـــى تغيـــر هيئتـــه، وجوهره، ومضمونه. وفى وعى المؤمنين وإحساسهم بوجود الإله بوصـــفة كيانـــا فاعلا فى الطبيعة أو فيما وراء اللانهاية لا يُعد بالنسبة للأغلبية خالقًا فحسب؛ وإنما حاكمًا كذلك، يأمر ويراقب بنى البشر ويعاقبهم بقسوة وبشكل غير متوقع. وعلـــى ذلك فهو يثير لدى المؤمنين به خوفا ورغبة فى إرضائه بالتضـــحيات أو بالحفـــاظ على الفرائض.

وفى الحياة الروحية عند من لا يؤمن بالإله ككيان موجود، خالق وحاكم أو مراقب، يكون الإله بطلا أدبيا ابتكره النـــاس مبـــدعو القصـــص الأســـطورية أو الإبداعات الأدبية والفنية التى شكلت آلهة فى صور متعددة ومنحوها أدورا متنوعة فى الثقافات المختلفة. ويعيش أبطال الأدب الآلهة فى إبداعات إلى جانـــب أبطـــال الأدب الأخرين، وأحيانا فى هيئة إنسان أو حيوان.

ويرى الأدب اليهودى فى التناخ، وعلى إثره الديانة اليهودية بكل تياراتها، الإله دون ماض، ولا توجد قصة حول حياته أقدم من التى تتجلى فـــى القصـــص المختلفة حول بنى البشر الذين انتسبوا للإله فى التناخ. وعلى عكس آلهة الـــديانات الأخرى لا يوجد للإله فى التناخ تاريخ أسرى وسيرة ذاتية شخصية.

كما يُعرض الإله أيضا فى اليهودية فى مجموعة مفاهيم ومعتقدات- لـــدى المتدينين والعلمانيين. ولاتلزم الديانة اليهودية الإيمان بإله محدد ومعين، ولذلك تمت فيها محاولات كثيرة (قد رفضتهاغالبية التيارات) لتقليد المذهب الكاثوليكى من خلال إيجاد المبدأ المُلزم "أنا مؤمن".

وذات مرة رأى موسى وجه الإله وظهر له، فى اللقاء المصيرى، أمام النار التى لا تحرق، رآه موسى مجردًا من كل صورة وشكل، مثل: "أكون الذى أكـــون" كموجود يكون كما يكون، وكيان لايمكن تحديده بمصـــطحات الحاضـــر ، ولكـــن بمصطلحات المستقبل فحسب، وقوى كامنة لما يحدث فى العالم. (ما هو قريب من

مقولة أرسطو "مُحرك غير محرك" والتى قبلها فلاسفة مسلمين ومسيحيين فى العصور الوسطى بصيغ مختلفة، والذين انقسموا "بين حقيقتين" حقيقة الإدراك لأنهم كانوا مقتنعين مثل "أفلر" أنه يجب أن نؤمن فقط بما نفهم بشكل عقلانى).

وفى مقابل تصور موسى للإله نجد تصور أديب سفر التكوين؛ حيث نجد إلهًا على صورة إنسان يسير فى جنته طوال اليوم، ويحل ضيفا على إبراهيم على وجبه، أو يتصارع كإنسان مع يعقوب، أما هارون ومعظم الشعب الذى معه فقد تصوروه فى شكل عجل. ورأه إلياهو على هيئة صوت اسكون. أما فى الأسطورة الجديدة التى بدأت فى التطور من الأدب التصوفى فى عصر التلمود وبخاصة فى العصور الوسطى -فالإله هو قيصر جالس على عرش ملكه محاط بوزراء وملائكه مثل الروح القدس.

والإله فى الآداب الفكرية، مثل أعمال موسى بن ميمون، هو إله مجرد ليس فقط من كل محسوس بل أيضا من كل تصور يستطيع الإنسان إدراكه. أما الإله لدى سبينوزا فهو مطابق للطبيعة. وفى نظر الملحدين الذين تأثروا بفكره لا يوجد إله إلا فى الأدب والفكر الذى يهتم به. كما رأى المفكرون المتدينون مثل موسى بن ميمون أن الإله الموصوف فى قصص التناخ على هيئة الإنسان وشكله، والمجازات المروية فيها، لا تعدو كونها نتاجا خياليًا للبشر، بمعنى: أن الإله فى قصص التناخ حسب هذه الرؤية ما هو إلا بطلا أدبيا ابتكره الأدباء الذين شكلوه كمثال، ولا يستطيع فهم نسيج وحدته إلا الفلاسفة فقط.

ولأن الإبداعات الأدبية تمنح حياة مستقلة "لأبطال الأدب" التى تشكلهم، فإن الاله يواصل العيش كبطل أدبى أيضا بين الذين لايؤمنون بوجوده خارج إطار تلك الإبداعات.

إن التعامل مع الإله على أنه بطل للأدب اليهودى القديم يميز مدرسة "التناخ بوصفه أدبا قصصيا" والتى تتجدد فى عصرنا (أورباخ ، ودينشيس ، وكرمود،

وألتر، وبلوم، وميلس، وتلمون، وزيكوفيتش، وهوفمان، وبرى، وغيرهم كثيـــرين). وتعتبر مدرسة "التناخ بوصفه أدبا قصصيا" أيضا الإله أحد أبطالها الأدبيين.

إن ابتكار الإله على يد البشر وعلى هيئتهم وشكلهم يُعـد تعبيـرًا للسـعى الإنسانى لفهم المتعذر فهمه، كما إنه تعبير عن جنون العظمة الإنسانية وتطلعها فى أن تصور نفسها وتتشبه بقوة قادرة على خلق الطبيعة والمخلوقات، والسيطرة عليها أو تدميرها.

لم يمت الإله فهو يواصل العيش أيضا فى وعى المؤمنين وفكـرهم بأنـه موجود فقط فى الأدب والفن. وكتبت بالجرافيت فى ستينيات القرن العشرين علـى جدار فى باريس عبارة "مات الإله موقع عليها نيتشه، وفى أسفلها أضافوا عبـارة "مات نيتشه تحت توقيع الإله".

إلحادية إنسانية فى اليهودية

إن الاعتقاد الإلحادى الإنسانى يرى أن الإنسان هو مصدر السلطة والقـيم وعن طريق الإخلاص لها يمكن قيام المجتمع، وتحقيق إمكانية السـعادة وتحسـين ماهية حياة الفرد والكيان الاجتماعى. ويرى المعتقد الإلحادى أن الإنسان مبتكر الإله وعلى ذلك فهو لا يشمل الإيمان بالحفاظ على الفرائض التى ابتكرها البشر كذلك.

إن معتقدات الملحد الإنسانى تلزمه بتعليم يحثه على النقد وليس الانصياع، ووضع الغير فى الاعتبار وليست الشرائع المقدسة التى تضر به، وعلـى معرفـة الإبداع الثقافى والفكرى والكلاسيكى المتجدد فى كل جيل والـذى يكشـف القـوى الكامنة فى الإنسانية وتحقيقها على مرأى منا.

إن جوهر الإلحادية الإنسانية هو الإيمان بمسئولية الإنسـان عـن أفعالـه واختياره للأسلوب الذى يوافق القيم الأخلاقية، وتشكيل حياته، وخلق واقع روحانى فى إبداعاته الثقافية، واقع يشمل ابتكار الإله بوصفة بطلا أدبيا. ويرى إلحاديون مثل "برتراند راسل" أن الإيمان بالإله ليس فقط إيمانا بمفهوم لا فائدة منه لتفسير الكون، بل إنه أيضا اعتقاد ضار يفضل المصلحة الإلهية على المصلحة الإنسانية. وتوجـد

بجانب المعتقدات الإلحادية الإنسانية معتقدات إلحادية معادية للإنسانية، على غرار وجود معتقدات دينية إنسانية أو دينيه معادية للإنسانية.

ويواصل كثير من اليهود المؤمنين بالإلحادية أو باللأدرية إقامة بعض من فرائض الشريعة، بدون تبرير منطقى أو أخلاقى، بل من منطلق احترام التقاليد والإيمان بقدرتها على توحيد الشعب. فيقوم معظم الملحدين اليهود بختان أولادهم الذكور، ويقيم بعض منهم الطقوس التقليدية للبلوغ إلى سن التكليف بالوصايا(٦) فى المعبد (حتى وإن كانت هذه الزيارة هى الأولى والأخيرة لهم فى المعبد)، ويعقدون قرانهم لدى حاخام ويوقعون على تعهد بتعويضات طلاق سخيفة فى "عقد النكاح" المكتوب بالآرامية ولايفهمون المكتوب فيه. ولاتتناقض كل هذه الأفعال مع المعتقدات الإلحادية الإنسانية طالما أنها تحقق لهم إرضاء ولا تضر بالغير.

ويرى المؤمنون بالإله وبأنه يأمر ويجب الانصياع له، أن الملحدين "كفار" وحسب رأى الكثيرين منهم فهم يستحقون الموت (مثل رأى أفلاطون وموسى بن ميمون). ويدل هذا العداء للإلحاد على انتشاره فى العصر القديم سواء فى المجتمع اليهودى أو فى ثقافات الشعوب فى الزمن الغابر. وتدل وثائق أخرى على وجود معتقدات إلحاديه فى بداية الألف الثانى قبل الميلاد.

ويوجب الاعتقاد الإلحادى الإنسانى انصياعا للقوانين الديمقراطية وملائمتها مع القيم الأخلاقية. وعلى ذلك يسعى الملحدون الإنسانيون والمتدينون لإبطال صلاحية فرائض الشريعة التى تتعارض مع أسس إنسانية مثل القوانين التى تمثل ظلما لحقوق النساء اللاتى يمثلن نصف الإنسانية والشعب أو فرائض وشرائع تضر بحقوق أبناء الأقليات وكرامتهم، والمثليين أو "الذين ليسوا أهلا للزواج " طبقا للشريعة.

تعصب دينى وأيديولوجى

التعصب هو اعتقاد دينى أو علمانى يلغى الإيمان بكل القيم الأخلاقية، وقيمة ميزة الحياة على الموت (كتعصب الانتحارين "من أجل الحرية" كما فى قلعة مسادا)

أو حق الناس فى التمسك بآرائهم ونشرها حتـى وإن كانـت لا تتفـق مـع آراء المتعصب. نماذج لذلك: معتقد مؤيدى الطغاة المتدينين فى إيران وفى أفغانستان أو الطغاة العلمانيين فى ألمانيا النازية أو فى روسيا البلشفية، والذى بسببهم اعتقل ونفى وقتل أناس لأنهم كانوا "كفارا" فى نظر المتعصبين.

"اقتلوا كل واحد أخاه وكل واحد صاحبه وكل واحد قريبـه.. ووقـع مـن الشعب فى ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف رجل. وقال موسى أملأوا أيديكم اليوم للـرب حتى كل واحد بابنه وبأخيه فيعطيكم اليوم بركة". تلك الأقوال قد وضـعها أديـب التناخ على لسان موسى (الخروج ٣٢ : ٢٧ - ٢٩) عندما قاد الحرب الأهلية ضد الذين آمنوا مثل هارون أنه يمكن تجسيد يهوا الرب فى شكل تمثال لعجـل. وقُتـل ثلاثة آلاف من المؤمنين بتفسير هارون لتوراة إسرائيل على يد جنود موسى؛ ذلك الرجل الذى فى قصص أخرى فى الانتولوجيا التناخية ينسب له التوحيد الأخلاقـى والفرائض التى تعبر عن مبادئ أخلاقية إنسانية عامة بما فيها وصية "لا تقتل".

ومن هنا يمكن تفسير التعصب الذى يؤدى إلى القتل فمن المحتمل أن يُوجد فى نفس البشر إلى جانب المثل العليا لدى المتدينين والعلمانيين سويا.

ويعادى المتعصب إنسانيته لاعتقاده بمعاداة إنسانية الغير التى تحـل فـى وعيه، مثل اللاإنسانية التى حلت فى نفس الطبيب القاتل فى الحرم الإبراهيمى فـى الخليل والذى قتل مصلين أثناء صلاتهم، وكأنهم ليسوا بشرا. وتحل اللاإنسانية فـى المتعصب عندما يرى الغير، الذى لا يوافق أو لايتصرف أو لا يعيش وفق معتقده، لا إنسانيا فى نظره.

لم تقلل مسارات العلمنة من مخاطر التعصب فمنذ الثورة الفرنسية وحتـى الثورة النازية والبلشفية ظهرت قسوة التعصب الأيديولوجى العلمانى وهى ليست أقل من التعصب الدينى. ويعد الجمع بين التعصب السياسى والتعصب الـدينى أخطـر أشكال التعصب فى التاريخ -كما أظهر المتعصبون فى القدس عندما تسـببوا فـى دمارها فى بدايه الألف الأول، وكما أظهر المتعصبون فى دولـة إسـرائيل حيـث

أرادوا قتلا جماعيا للعرب فى الحرم القدسى وقتلوا رئيس حكومة إسرائيل اليهودى كدلالة على نواياهم المستقبلية.

وتحويل الإيمان بزعيم أو بفكرة دينية أو علمانية إلى قيمة عليا ينزع من المؤمنين قدرة التمييز بين الخير والشر، وكأنما أعادهم التعصب إلى جنة عدن السيكوباتيين عديمى الضمير والحياء أو مشاعر ذنب وكأنما لم يطعموا بعد من شجرة معرفة الخير والشر.

تعد لاإنسانية المتعصب وضحاياه هى القاسم المشترك لكل أنواع التعصب الدينى والأيديولوجى والقومى والعنصرى والطبقى والثقافى. كما أن قتلة أطباء النساء الذين وافقوا على إجراء إجهاض شرعى يشبهون من هذه الناحية قتلة الذين يؤمنون بأن يهوا مجسدا فى تمثال عجل، كما يشبه القتلة والمحرضين على قتل رئيس حكومة إسرائيل الذى قدم مسيرة السلام وفضلها على سلامته من هذه الناحية قتلة اليهود المعادين للسامية فى أوربا .

وغالبا ما يتجلى التعصب أيضا فى الاخلاص الأعمى للزعيم الذى يتظاهر بالحديث باسم الإله أو فكرة، وأحيانا يدعمه فكر "علمى" (عنصرى أو طبقى) منفصل عن قيم أخلاقية إنسانية عامة، وينكر صلاحية مبدأ "كانط" الذى يقول 'إن مبادئ الأخلاق العالمية هى فقط التى يمكن اعتبارها أخلاقية.

تيارات يهودية

يعد التيار فى اليهودية حركة اجتماعية دينية أو ثقافية لدى الشعب اليهودى تختلف عن الحركات الأخرى فى كل أو بعض السمات التالية: المعتقدات التى تنتشر بين هذه الحركة، والمؤسسات التعليمية والمناهج الدراسية والتى يتم اختيارها حسب تلك المعتقدات، وأطر اجتماعية وطائفية خاصة، ووسائل إعلام توضح الواقع فى ضوء المعتقدات الشائعة فى هذا التيار، وزعمات وأحزاب سياسية تمثله، وأنماط حياة تميز الناس الذين يعيشون فى هذا التيار والتى تتجلى فى الملبس والمأكل والحياة الجنسية والأسرية، وفى الإبداعات الأدبية والفنية والفكرية التى تنشأ وتنتشر

داخل هذا التيار فى الشعب اليهودى وفى الإبداعات التى تعتبر فـــى نظـــر معظـــم أفراده من مصادر اليهودية.

تشكل التيارات فى الشعب اليهودى "التوجهات اليهودية" المختلفة التى تعيش جانبا إلى جنب فى اليهودية وفى ثقافة الشعب اليهودى، مثل: تيار الأغلبيـــة هـــو "اليهودية المتحررة من الديانة التشريعية" والمسمى بـــ "اليهودية العلمانية"، وتيارات الأقلية المتدينة: "اليهودية الحريدية" و"اليهودية الدينيـــة الصـــهيونية " و"اليهوديـــة الأرثوذكسية الأميريكية الجديدة" و"اليهودية الإصـــلاحية" و"اليهوديـــة المحافظـــة" و"اليهودية القرائية" و"اليهودية السامرية" وغيرها.

وفى القرن الثامن عشر بدأت تتبلور الأرثوذكسية فـــى تيـــارات اليهوديـــة الحريدية. وكان هذا الاتجاه يسعى لفرض الشريعة بجمودها وتفاســـير حاخاماتهـــا ولكتاب "شولحان عاروخ" (المائدة المرتبة)، بالتوافق مع معتقدات التيارات الحسيدية والمعارضة لها والتى ظهرت فى اليهودية الحريدية. ولقد أحيت اليهودية الحريدية الأرثوذكسية المبدأ الصدوقى القرائى "الجديد محظور من التوراة". ولقد تطـــورت اليهودية الحريدية ردا على حركات التجديد والتنوير والإصلاح التى ظهرت فـــى اليهودية الدينية وفى اليهودية المتحررة من الديانة التشريعية، فى ثقافات الطوائـــف اليهودية بأوربا وأمريكا و أفريقيا وأسيا.

كما ظهرت أيضا فى اليهودية العلمانية تيارات مختلفة، مثل تيار اليهوديـــة اليديشية والمضاد للصهيونية فى شرق أوربا قبل الحدث النازى فى مقابـــل تيـــار اليهودية الصهيونية الإسرائيلية الذى يحيا فى الثقافة العبرية فى فلسطين قبل الدولة.

ويعد تنوع التيارات لدى الشعب اليهودى تعبيرا عن التعددية التى سادت فى ثقافتة فى كل عصر. وتشكل جميعها منظومة متكاملة للتيارات اليهودية .

شعب اختيار

إن الشعب اليهودى هو "شعب اختيار" بمعنى أنه الشعب الذى يختار أفراده أسلوب انتمائهم لليهودية وليهوديتهم، ويختارون التيار الذى ينتمون إليه ومجموعة الإبداعات التى تمثل حسب وجهه نظرهم ثقافة الشعب اليهودى. واختارت غالبية الشعب اليهودى، التى تركزت فى أوربا وأمريكا الانتقال من تيار اليهودية الحريدية إلى تيار اليهودية المتحررة من الديانة التشريعية، وعلى الفور واجهت خيارات جديدة بين تيارات تلك اليهودية. كما اختارت غالبية الشعب الذى تركز فى إسرائيل أيضا اليهودية المتحررة من الديانة التشريعية والثقافة العبرية الجديدة التى أفرزتها. واختارت أقليات صغيرة من الشعب اليهودى ولازالت تختار العيش حسب الثقافة اليهودية الحريدية الشرق أوربية حيث الحديث باليديشية، وارتداء ملابس العصور الوسطى الخاصة بالنبلاء البولنديين، والتى صارت فى نظرهم ملابس يهودية مقدسة، وتعلم الدراسات التلمودية فقط وتجاهل ثقافة القرن العشرين بقدر الإمكان.

والاعتقاد الدينى بأن الشعب اليهودى هو شعب اختيار بمعنى "شعب مختار" من قبل إله الكون، ولذلك فهو أسمى من كل الشعوب الاخرى، هو اعتقاد يشكل خطورة على عقلية المؤمنين به وإنسانيتهم. وهو مثل كل اعتقاد يتسبب فى الحط من إنسانية الغير والذى يشكل الإنسانية كلها. ويرتبط التعصب الدينى والسياسى بفكرة "شعب مختار" من قبل إله الكون كله والذى اختير ليكون سبب الخلاص للعالم .

وكثرة تيارات اليهودية يجعل كل يهودى يواجه خيار العيش فى واحد منها، أو تركه والانضمام إلى آخر، أو أن يخلق لنفسه أسلوبا خاصا يحقق من خلاله انتمائه لليهودية. وطالما أن معظم اليهود فى العالم وإسرائيل اختاروا الانتماء إلى اليهودية المتحررة من الديانة التشريعية فقد تحرر معظمهم من المفهوم الخاطئ والخطير "شعب مختار" وبدأوا يؤمنون بحرية اختيارهم لحياتهم كيهود وللتيار اليهودى الذى يعلمون أبناءهم فيه.

اختار معظم الآباء اليهود فى إسرائيل (الثلثين) إرسال أبنائهم لمدارس غير دينية فاختاروا بذلك التيار الذى يريدونه لأبنائهم.

واختار معظم الآباء اليهود فى الشتات (المتدينون المرتبطون بالمعبد والعلمانيون الذين لا يرتبطون بالمعبد) تعليم أبنائهم فى مدارس غير يهودية لا يدرسون فيها ثقافة الشعب اليهودى، وأدبه الكلاسيكى المتمثل فى التناخ. واختار بعض الآباء اليهود فى الشتات (حوالى الثلث) بالفعل إرسال أبنائهم (حتى سن الثالثه عشر) عدة ساعات فى الأسبوع لتعليم يهودى فى المعبد، لكن فى معظم الحالات لا تشمل هذه الدراسات الاطلاع على الثقافة اليهودية المعاصرة والمتطورة واكتفت بدراسة عدة نصوص تناخية أو نصوص مرتبطة بالصلاة وبعض كلمات باللغة العبرية. وأدى هذا الاختيار إلى أن غالبية اليهود الذين نشأوا فى الشتات عرفوا ثقافة شعب الدولة التى ينشأون فيها (مثل الثقافة الإنجليزية، الفرنسية، الأمريكية) دون أن يعرفوا ثقافة الشعب اليهودى -الدينية أو العلمانية.

واليهود الذين يرغبون فى الاندماج والتنكر ليهوديتهم يحققون هم أيضا اختيارا. فطالما أنهم يعلمون أنهم يهود ومدركون بأن المحيطين بهم يرون أنهم يهود فهم مضطرون لاختيار الشكل الذى يعيشون به حياة يهودية أو يتجاهلون يهوديتهم وينكرونها أو يخفونها عن المحيطين بهم وعن أولادهم كما فعل آباء كثيرون فى أوربا بعد الحدث النازى.

يوجد من بين المندمجين وحتى من بين الذين يستبدلون ديانتهم بديانة مسيحية من يختارون التمسك بعادات وتقاليد معينة تربطهم بماضيهم اليهودى، كما فعل كثيرون من اليهود، أفراد غيروا دينهم اليهودى إلى المسيحية فى أسبانيا، والذى يطلق عليهم أيضا "المرغمون على تغيير دينهم" ، وفى معظم الحالات كانت لديهم إمكانية الخيار بين الهجرة والارتداد عن دينهم. وعندما اختاروا قبول المسيحية أتيحت لهم مناصب فى مختلف المهن والتى جعلت كثيرين منهم يصلون إلى قيادة الحكم ومحاكم التفتيش الكاثوليكية حتى ثار ضدهم حقد وتعصب "المسيحيين

الحقيقيين" والذين اشمئزوا من "المسيحيين الجدد" (اليهود) فأسسوا بذلك العنصرية في أوربا. وارتد يهود كثيرون في غرب أوربا في القرن التاسع عشر مثل "هيانا" و"ماهلر" عن ديانتهم إلى المسيحية لأن تغيير الديانة كان شرطا للحصول على الدكتوراه أو للحصول على وظيفة عالية في المؤسسة الثقافية بغرب أوربا حتى بعد حركه التحرر الذاتي.

يعى اليهود فى إسرائيل يهوديتهم على أنها هويتهم القومية، واللغوية، والثقافية، والاجتماعية والسياسية. فهم لايواجهون الاختيار بين الانتماء لليهودية وبين الاندماج. فالأفراد الذين يستطيعون الاندماج فى داخلهم هم يهود آخرون.

ويجب على اليهود فى إسرائيل أيضا الاختيار: اختبار أحد تيارات اليهوية الإسرائيلية فيحققون به يهوديتهم عن طريق اختيار مدرسة لأولادهم ، واختيار نمط حياة دينى أو متحرر، واختيار إجابة على السؤال "من هو اليهودى؟" والتى تحدد النظرة إلى قانون العودة والمشاركة فى تشكيل طابع الدولة اليهودية.

التيار العلمانى فى اليهودية

يبرز التيار العلمانى فى اليهودية فى معظم أشكال تيارات اليهودية كلها. وزادت فى القرن التاسع عشرمراكز اليهودية العلمانية وبخاصه فى المدن الكبيرة بأوربا والتى تدفق إليها يهود من البلدات التى تجمع فيها غالبية الشعب اليهودى حتى ذلك الحين. وفى القرن العشرين زاد تطور التيار العلمانى ونموه فى تجمعات اليهود فى أوربا والأمريكتين، والتى عاش فيها غالبية الشعب اليهودى. وظهرت فروعه بين كل الطوائف فى أسيا وشمال أفريقيا عقب انتشار حركه التنوير وشبكة تعليم جمعية "إليانس يزرائيليت".

وأسست حركات الهجرة من أوربا إلى أمريكا وجنوب أفريقيا وفلسطين مراكز جديدة لليهودية العلمانية فى النصف الأول من القرن العشرين. ويتطور فى فلسطين المركز المزدهر لليهودية العلمانية مع إحياء الثقافة العبرية فى النصف

الأول من القرن العشرين ويتحول منذ قيام الدوله إلى المركز الروحى والثقافى الذى تنتمى إليه كل تجمعات اليهودية فى العالم.

ولقد نشأت فى التيار العلمانى معظم الإبداعات اليهودية المعاصرة وظهرت به الحركات الاجتماعية والسياسية الجديدة والتى أعادت تشكيل حياة اليهود فى الشتات وفى فلسطين. وحدث فى اليهودية العلمانية المتحررة من الديانة التشريعية تطور غير مسبوق فى التاريخ اليهودى لأنظمة التعليم اليهودى اللادينى فى الشتات وفى إسرائيل، ابتدأ من رياض الأطفال وحتى مؤسسات التعليم العالى. وفى تلك الأنظمة قد امتزحت الدراسات العلمية، والعلوم الإنسانية ودراسة الإبداعات الثقافية العامة واليهودية. وكانت اللغات الأساسية لدراسة فى اليهودية العلمانية العبرية واليديشية والفرنسية والإنجليزية.

ظهرت فى اليهودية العلمانية تيارات وأيديولوجيات تتعارض مع بعضها البعض وضمت مئات آلاف من الأفراد مثل: البوندى(١٧) والشيوعى والمؤيد لجعل اليديشية لغة قومية والمعادى للصهيونية، والحركة الصهيونية والحركة العلمانية الإسرائيلية التى رسخت مجددا العبرية كلغة حديث وإبداع للشعب اليهودى.

نشأت منظمات عالمية للشعب اليهودى لم تقم على أساس دينى مثل المنظمة الصهيونية، والمؤتمر اليهودى العالمى وأحزاب يهودية علمانية عالمية.

لقد كان أكبر وأهم مشروع للتيار العلمانى هو إقامة كيان يهودى فى فلسطين وإحياء الثقافة العبرية، ولقد شكل هذا التيار قبل الحرب العالمية الثانية حوالى ٥% فقط من الشعب اليهودى إلا أنه تحول سريعا إلى عنصر مؤثر للغاية فى يهود العالم وفى ثقافتهم وفى الحركات السياسية والتعليمية التى نشطت بها.

كان معظم اليهود فى فلسطين عشية قيام الدولة ينتمون إلى اليهودية العلمانية. وفى ظل قيادتها تطور الحكم الذاتى لليهود فى ظل السلطة البريطانية قبل قيام الدولة. حيث نشأ نظام تعليم بالعبرية، وجامعات وكليات ومدارس، و رياض الأطفال، ومؤسسات ومنظمات ثقافية مستقلة، وأكاديمية للغة العبرية، ومسارح

أكاديمية للفنون، ومتاحف، ودور نشر، ونقابات لدفع الثقافة الإسرائيلية العلمانية للأمام (مثل نقابة المعلمين ونقابة المصورين، ونقابة الأدباء) وصحف يومية، ومجلات بالعبرية، ومحطة راديو بالعبرية وستوديو لانتاج أفلام سينما إسرائيلية. وقامت جماعات ثقافية علمانية لأول مرة فى التاريخ بحركة كيبوتسية، وابتكروا أنماطا للعيد ولاستقبال يوم السبت ولطقوس الاحتفال ببلوغ سن التكاليف وللزواج ولمراسم الحداد، تتميز بأنها أنماط متحررة من الديانة التشريعية.

وعملت مؤسسات ديمقراطية منتخبة فى الحكم المحلى والقطرى بفلسطين قبل قيام الدولة بنظام جمع تبرعات وضرائب مستقل، وكذلك تكون جيش لحركة سرية مؤلف من عشرة آلاف جندى وجندية تخضع لسيادته المؤسسات المنتخبة، وقوة من الشرطة تحت إمرة قيادة بريطانية فى معظم التجمعات اليهودية تتشكل من جنود وضباط يهود، بعضهم من قبل المؤسسات المنتخبة للحكم الذاتى اليهودى العلمانى. ولقد أيدت الأحزاب الدينية الصهيونية التى شكلت أقلية من السكان اليهود أيضا مؤسسات الحكم الذاتى اليهودى العلمانى، مع أن الحريديين قاطعوا معظمها.

ولقد دُمرت فى أحداث النازية(١٨) غالبية مراكز التيارات اليهودية فى أوربا بما فيها مراكز التيار العلمانى الذى انتمى إليه معظم اليهود فى أوربا بكاملها. وفى السنوات التى أعقبت ذلك أيضا تفككت فى الولايات المتحدة حركات التيار العلمانى فى اليهودية ومؤسساتها التعليمية فتوقف معظمها عن النشاط، كما توقفت صحفها اليومية عن الإصدار.

خلق التيار المتحرر من الديانة التشريعية فى فلسطين كيانا يهوديا مستقلا وثابتا حيث شكل قاعدة لدولة يهودية علمانية وديمقراطية لأول مرة فى التاريخ. ويعيش اليوم بها أكثر من ثلث يهود العالم ومعظمهم شباب يهودى أقل من سن الثامنة عشر. وسيتجمع فى بداية الألف الثانى من الميلاد معظم يهود العالم فى دولة إسرائيل، بينما ظل أعضاء كل التيارات الدينية يشكلون حوالى خمس السكان اليهود فقط.

ضعف فى بنية التيار العلمانى فى اليهودية

على عكس تيارات أخرى فى اليهودية ليست للتيار العلمانى زعامة تمثل مصالحه كتيار فى الثقافة والتعليم اليهوديين. فليست له نظريات تعليم خاصة وصيغ شائعة لدى معظم المعلمين الذين يدرسون به. وقليليون فقط بينهم يصيغون لأنفسهم معتقدات يعيشون ويتعلمون طبقا لها. وفى التيار العلمانى قليلة هى الجماعات الثقافية المنظمة التى تهتم بالمتطلبات الروحانية التعليمية الاجتماعية والخاصة بأعضائها. ولا تشكل الجماعات العلمانية المنظمة القليلة (فى كيبوتسات، وفى جماعات المعابد العلمانية بالولايات المتحدة، وفى بعض الجماعات المستقلة التى تعمل فى الشتات) نماذج تقليد. فمعظم اليهود الذين يعيشون فى أنماط حياة التيار اليهودى العلمانى ليسوا منظمين فى أية أطر اجتماعية وثقافية. ومراكزهم الجماعية (والتى تسمى مراكز للثقافة والشباب والرياضة) هى مراكز خدمة الهوايات والثقافة البدنية وليست مراكز نشاط روحانى تعليمى للجماعات العلمانية.

لايوجد فى التيار العلمانى مؤسسات لتثقيف وتأهيل "معلمى للشعب" (والتى حاول بوبر تطويرها) تستطيع أن تلعب دورا حيويا من أجل تكوين جماعات ثقافية فى الشعب اليهودى وتفعيلها. ونتيجة لذلك ينقص التيار العلمانى زعامة محترفة تعمل على تفعيل جماعات ثقافية وتعليمية ، مثل الحاخامات الكثيرين الذين ينشطون فى التيارات الدينية، وحفنة المرشدين والحاخامات العلمانيين الفاعلين فى التيار العلمانى.

وأدى الضعف التنظيمى والسياسى لتيار اليهودية العلمانية إلى أن تيار التعليم ونظام المدارس غير الدينية فى إسرائيل والذى يشكل غالبية مطلقة فى اليهودية الإسرائيلية، قد أصبح الوحيد الذى يفتقد إلى شبكة تعليمية مستقلة تحت قيادته. وفى حين أن لكل تيار من التيارات الدينية فى إسرائيل استقلالا ذاتيا تعليميا، يدعمه دافع الضرائب، ويديره المعينون من قبل التيار الدينى والسياسى الذى ينتمون إليه (شاس، أجودت إسرائيل، ديجل تواره، همفدال) فليس للتيار غير الدينى زعامة

تحت إشرافه، وعلى مدار جيل يسيطر عليه وزراء للتعليم تعينهم حكومة إسرائيل، لكنهم يُختارون من خلال ممثلى التيار الدينى أو بتأثيره.

حرب ثقافية

الحرب الثقافية في اليهودية تعنى صراعا بين تيارات فى الشعب اليهودى لها معتقدات مختلفة أو متعارضة. فبصفة عامة يتطلع زعماء هذه التيارات لإكساب مبادئهم وأنماط الحياة اليهودية الخاصة بهم لأفراد التيارات الأخرى. وهناك عوامل أيديولوجية واقتصادية وسياسية تحرك هذه التصادمات بين التيارات المتعارضة مع بعضها البعض فى الثقافة والمجتمع والدولة اليهودية، وتشكل تلك التصادمات حربا ثقافية. ويتجلى الاختلاف بين تيارات اليهودية فى الاختلاف بين أنماط حياة المنتمين إلى التيارات المتصارعة فيما بينها؛ فهو اختلاف فى أساليب العبادة وطقوس الأعياد وفى المواقف الأيديولوجية تجاه التاريخ اليهودى وفى النظرة إلى الإله ودوره فـــى الحياه الإنسانية وهو اختلاف فى الاعتراف بواقعية أو عدم واقعية الآخرة والبعث ، وفى وظائف الدولة اليهودية وفى انفتاحها على تأثيرات الشعوب. إنه اختلاف أيضا فى النظرة إلى المستقبل ودور المسيح المخلص وفى النظرة إلى الشريعة وتبريـــر إقرارها أو التسليم بالتحولات التى يجب إحداثها بها. زد على هذا إنه اختلاف أيضا فى النظرة إلى فرائض الشريعة، وبأى مدى هـــى أسـمى مـــن قـــوانين الدولـــة الديمقراطية، وهو اختلاف أحيانا فى الملبس وفى لغة الحديث (مثل الاختلاف بـــين تيارات الحريدية وباقى التيارات فى اليهودية).

ارتبطت الحروب الثقافية بتاريخ الشعب اليهودى منـــذ نشـــأته. ذلـــك لأن اليهودية بطبيعتها ثقافة ينتشر بها الإيمان بتاريخ قومى مشترك بجانـــب مجموعـــة معتقدات مختلفة أو متصادمة، ولاتهدد الحروب الثقافية وحدة الشعب اليهودي. فهى تهدد وحدته فقط فى حالات نادرة، عندما تتحول إلى عنف وتتدهور إلـــى حـــروب أهلية.

استمرت في معظم سنوات التاريخ اليهودى حروب ثقافية بدون عنف. وعاشت الطوائف اليهودية التى انضمت إلى التيارات المختلفة منفصلة عن بعضها البعض وأحيانا فى نفس التجمع السكانى. والانتقال من سلطة مركزية للمؤسسة الدينية الكهنوتية والسنهدرين إلى لامركزية مفرطة فى الشتات اليهودى وإلى إستقلال الطوائف، وحاخاماتها وزعمائها، قد أتاح فى الماضى ويتيح أيضا فى عصرنا تعايشا سلميا للتيارات المختلفة والتى تخوض حربا ثقافية بينها.

ويعيش ذوو المعتقدات المتناقضة بشكل مغال مع بعضهم البعض، مثل طوائف الحريديين، والعلمانيين الإصلاحيين والمحافظين فى الولايات المتحدة، منفصلين ولا يحتكون أو يصطدمون مع بعضهم البعض طالما لا يوجد لهم مصالح توجب اللقاء بينهم.

تكثر فى دولة إسرائيل المصالح المشتركة والمتعارضة لأبناء التيارات المختلفة وزاد الاحتكاك بينهم. وتؤثر تناقضات المعتقدات والمواقف بين زعماء التيارات المختلفة وأعضائها على اللقاء الدائم بينهم فى المؤسسات التشريعية والمؤسسات التنفيذية للدولة، وفى الحكم المحلى والجهاز القضائى.

وعلى ذلك تتفاقم فى إسرائيل الحرب الثقافية بين الأقلية الدينية والأغلبية العلمانية. وهى تأخذ شكل صراع بين أحزاب؛ حيث إن بعض من التيارات الدينية ممثلة فى أحزاب سياسية وهؤلاء ينصاعون لرأى حاخامات غير مُنتخبين لكنهم يستطيعون التأثير على قرارات الكنيست والحكومة عن طريق المعينين من قبلهم. وتظهر اندلاعات عنف نادرة فى مظاهرات، وفى إتلاف ممتلكات، وفى مهاجمة عنيفة على أفراد، ويظهر فى إسرائيل حجم التناقضات والفجوة الشاسعة بين المعتقدات السائدة فى التيارات المتصارعة فى يهوديتها.

ما هو جوهر الحرب الثقافية فى إسرائيل؟ إنه الخلاف بين الأغلبية السكانية اليهودية والأخرى حول سمو قوانين الديمقراطية على كل شريعة دينية، أو سمو الشريعة على كل سلطات القانون والقضاء للديمقراطية الإسرائيلية. ومن هذا

الخلاف انبثقت باقى الخلافات بين المتدينين والعلمانيين بإسرائيل، مثـل الخـلاف بشأن تفضيل القيم الإنسانية على فرائض الشريعة، والخلاف حول المساواة التامـة بين النساء والرجال، والخلاف حول التعليم الإنسانى اليهودى ، وحول قانون العودة، وقوانين التهود، وتعريف الانتماء إلى اليهودية، ومكانة المحاكم الربانية وحقوقهـا وتشكيلها (ضم النساء وممثلى كل تيارات اليهودية الدينيـة والعلمانيـة) وواجـب التجنيد لجيش الدفاع لمواطنى الدولة، وواجب الانصياع لحاخام أو قائـد الجـيش، وفرض أحكام يوم السبت وشرائع دينية أخرى على علمانيين ... إلخ .

فى الذاكرة القومية الجماعية ترافق حروب ثقافية تـاريخ اليهوديـة منـذ تأسيسها فى جبل سيناء. ومنذ استيطان أسباط الشعب اليهودى فلسطين بـدأت فـى اليهودية حرب ثقافية بين يهود يؤمنون بالتوحيد وبين يهود يؤمنون بتعـدد الآلهـة عبدوا أيضا الآلهة بعل وعشتروت ومولوخ .

واستمرت الحروب الثقافية فى العصر الهلينتسى، بين اليهودية التى انفتحت على تأثيرات الغرب وبين التى قد انغلقت، بين المؤمنين باقتصار الحياة على هـذا العالم وبين المؤمنين بالبعث والآخرة، بين الفرق الكثيرة والمختلفة والتى نمت بين السكان اليهود الذين ازدادوا فى فلسطين وفى الشتات. وأخذت الحـروب الثقافيـة أشكالا جديدة ومتنوعة فى العصور الوسطى حيث قل التعبير عنها بعنف لأن اليهود كانوا مشتتين فى طوائف صغيرة وتنقصها وسائل الحرب. ودارت حروب ثقافيـة غير عنيفة بين العقلانيين والمتصوفين، بين اليهود المسيحانيين ومعارضيهم، ولكن شهدت تلك الحروب الثقافية أحيانا بعض العنف، مثل حادثة إحراق كتب موسى بن ميمون فى شوارع "فريسى" (وكما فى شهادة الحسيد مورونا فـى القـرن الثالـث عشر).

زادت فى فترة النهضة الأوربية والتنوير اليهودى الفجوات بـين تيـارات اليهودية. وتعاظمت فى الغرب اتجاهات الانفتاح على ثقافة الشـعوب، والمـذهب العقلانى الذى يوجهها، وتظهر فى شرق أوربا الحسـيدية التـى تنشـر القبـالاه

والصوفية فى اليهودية الدينية وتزداد الحروب الثقافية بين الحسيدين والمعارضين لهم، بين الحريديين والمتنورين وتصل إلى ذروتها مع تطور مسارات العلمنة والحركات القومية الصهيونية والمعادية للصهيونية فى القرن العشرين.

لاتلغى الحروب الثقافية وحدة الشعب اليهودى التى تتجلى فى الشعور بتضامن اليهود مع يهود آخرين فى الشتات والشعور بالهوية القومية القائمة على ارتباط بماض مشترك. وفى أحيان متباعدة فقط تتدهور الحروب الثقافية إلى أعمال عنف، وأفظعها قتل رئيس الحكومة إسحاق رابين.

وقعت فى القرن العشرين صدامات عنيفة وإن كانت قليلة قد نتجت عن الحروب الثقافية؛ منها: اضطرابات متعصبي رابطة "أيها العبرى تحدث بالعبرية" فى سينما "موغرابى" بتل أبيب عندما عرضت بها أفلام باللغة اليديشية، وتشهير وتحريض من قبل الحريديين الذين تسببوا فى سجن "اليعاذر بن يهودا" فى سجن تركى بسبب دوره فى إحياء اللغة العبرية كلغة حديث وإبداع، والضرر الجسدى لفتيات بالقدس من قبل حريديين بسبب ملابسهن غير اللائقة فى نظرهم، والضرر البدنى والضرر بالممتلكات الذى قام به الحريديون فى مظاهرات يوم السبت بالقدس، والضرر بالممتلكات الذى قام به العلمانيون فى مدارس دينية أقيمت مخالفة للقانون فى وسط أحياء علمانية.

ودارت صراعات بين التيارات المختلفة على المستوى الفكرى فى معظم الأماكن وفى معظم سنوات الحروب الثقافية فى اليهودية، منذ فترة التنوير اليهودية والحسيدية وحتى عصرنا، وفى محاولات للاستيلاء على مراكز القوى فى الطائفة، وفى المجتمع أو فى الدولة. ولقد كانت التصادمات العنيفة بين التيارات نادرة وقصيرة مقارنة بالحروب الأهلية الجماعية المدمرة والطويلة والتى نجمت هى أيضا عن حروب ثقافية ودينية فى دول أوربا.

ولقد ازدادت بالتدريج حدة الحرب الثقافية بين التيارات الدينية والعلمانية مع قيام دولة إسرائيل وانتقال إمكانيات الدولة ومواردها إلى سلطة الحكومات اليهودية.

وهى تدور الآن حول مراكز قوى وموارد اقتصادية ومالية؛ حيث إن أساس الحرب الثقافية فى إسرائيل هو التناقض بين النظرة إلى الشريعة على أنها أسمى من الديمقراطية، وبين النظرة إلى الديمقراطية والقيم الإنسانية وترجيحها على كل رأى تشريعى مناقض لها، فلا احتمال لحل وسط بين المواقف المبدئية للأطراف المتشددة.

إن الاحتمال الذى بقى هو حوار من أجل تعايش سلمى متعدد لكل الذين يأخذون على عاتقهم عبء رأى الأغلبية للحكم الديمقراطى الإسرائيلى، مع الاهتمام بتنمية أقصى حد من الاستقلال الذاتى التعليمى والثقافى داخل كل تيار من التيارات، هذا بشرط أن يقوم الجميع بواجباتهم تجاه المجتمع وأن يزودا تلاميذهم بمعرفة قيم الديمقراطية والمهارات المطلوبة لتحقيق نشاط فعال فى الاقتصاد وفى المجتمع المعاصر.

الفصل الثالث

التعددية سمة اليهودية فى كل عصورها

يوضح التغيير فى النظرة إلى اليهودية فى عصرنا التعددية التى هيمنت على اليهودية فى كل فترات تاريخها. ويتجلى التغيير فى تعدد الآراء والديانات والمعتقدات والتيارات الموجودة بها.

ويبرز التحول الذى صاحب النظرة إلى تاريخ اليهودية بوصفها ثقافة الشعب اليهودى فى تشكيلة الموضوعات والإبداعات والشهادات والوثائق التى تعتبر "مصادر اليهودية".

تاريخ يبدأ من الحاضر

قال "فروست": يتعرف كل قارئ فى الأدب القصصى على أبطال الروايات من خلال تذكر أناس معروفين له، وكذلك الأمر بالنسبة للمؤرخ وقرائه فهم يحكون عن الماضى من خلال التعامل مع الحاضر والأحداث المؤثرة عليهم.

وتختلف فى الحاضر صورة ماضى اليهودية؛ حيث تأثير الأبحاث والاكتشافات الأثرية وآراء المفكرين والمعتقدات والتفسيرات الجديدة للنصوص القديمة. ولا تماثل صورة ماضى اليهودية فى نهاية القرن العشرين صورتها فى وعى اليهود قبل مائتى أو ثلاثمائة عام. ولا تماثل صورة الخلفية والعوامل الخاصة بنشأة عيد الحانوكا فى وعى من لم يعرف أسفار المكابيين، لأنها أُستبعدت عن اليهودية، صورة مصادر العيد فى وعى قرائها.

نحن الذين نعيش داخل تاريخ اليهودية ونشارك فى إبداعاتها نتعامل مع صراعات جذورها فى ذاكرة الماضى وبنمط من خلاله نعيد بلورتها. ويؤثر هذا الإدراك الجديد فى عصرنا على المواقف السياسية ليهود إسرائيل وعلى نظرتهم إلى مسيرة السلام أو تحديد حدود الدولة؛ حيث يوجد من بينهم من يقدس كل مكان يمكن

أن يُنسب إليه حدث تاريخى، بينما يرى آخرون فى الحدود الدائمة التغيير للاستيطان والممالك اليهودية فى الماضى مبررا لتسوية إقليمية مقابل السلام. كلاهما يعتمد فى نظرته على الماضى لكن بعيون الحاضر.

يتعلم الأطفال والكبار فى كل تيار من تيارات اليهودية التراث الثقافى الخاص باليهودية التى يعيشون فيها فى الحاضر. هذا ما يحدث فى اليهودية الحريدية وفى اليهودية الدينية الصهيونية وفى اليهودية الإصلاحية على اختلاف أنواعها، أو فى اليهودية العلمانية المتحررة من الديانة التشريعية وتفاسيرها لنصوص من الماضى.

تتحول مشاكل وخلافات وثيقة الصلة بحياتنا المعاصرة إلى منطلقات لدراسة اليهودية وتاريخها. وتؤثر وجهات نظر حول الماضى فى طبيعة خلافات ومضمونها مثل :خلاف حول أحكام يوم السبت، هل هى أبدية أم متغيرة، الخلاف حول وضع المرأة فى الطائفة وفى الدولة وغيرها.

وتعد التعددية سمة مميزة لثقافة الشعب اليهودى منذ بدايتها؛ حيث ترافق الشعب اليهودى منذ نشأته التعددية والتصارع بين تيارات الديانة والعقيدة، منذ الحرب الثقافية الأولى فى الشعب اليهودى. واستمر التصادم بين تيارات العقيدة والديانة المختلفة فى اليهودية فى العصور الوسطى وعصر النهضة الأوربية وفترة التنوير اليهودى.

والتعددية هى اعتراف بنظام التعدد فى اليهودية بوصفه سمة لثقافة الشعب اليهودى فى كل العصور. والتعددية التى تحولت إلى مبدأ موجه فى الفكر اليهودى -"هذه تلك أقوال الإله الحى"- فى عصر التلمود تحولت فى عصرنا إلى مبدأ مشروع لكل التيارات والآراء والمعتقدات فى اليهودية. و لايمثل أى تيار منها "اليهودية المعيارية" كما أنه لايشكل أى واحد منها انحرافا عن النموذج المعيارى. كما أن اليهودية لاتطابق أى تيار من تياراتها، فهى تشملها جميعا.

وبناء على هذه الرؤية يمكن أن نتعرف على كل تيار من تيارات اليهودية؛ سماته والمعتقدات والعادات السائدة به، وجذوره فى تاريخ اليهودية بوصفه ثقافة، والتشابه والاختلاف بينه وبين التيارات التى كانت مهيمنة فى ماضيها.

وحيث إن التعددية ليست نسبية فهى تشمل رؤية تعددية تجاه اليهودية وأيضا نقاشات حول القيم – تقييمات وأولويات- على أساس قيم إنسانية معاصرة، لفرائض وشرائع وعادات وتقاليد تسود فى التيارات المختلفة أو التى سادت بها فى الماضى.

وعلى ذلك فتشمل دراسة اليهودية بوصفها ثقافة التعرف على الاختلاف بين تيارات اليهودية والمشترك بينها، كما تشمل أيضا تشجيع الرؤية النقدية لدى الدارس لآراء ووصايا أفعل ولا تفعل – منها وصايا تقدست فى التقاليد ولاتضر برجل أو امرأة، ومنها وصايا يرى الدارس أنها تجور على حقوق الأفراد وكرامتهم، وحريتهم وعلى الحد الأقصى من فرص تنمية القدرة الإنسانية المتميزة والكامنة داخل كل واحد منا.

ويدرس اليهودية أفراد ذوو معتقدات وآراء تؤثر فى رؤيتهم، وفى نخبة الإبداعات التى تمثل التيارات المتنوعة فى عصر معين فى اليهودية. ومن المحتمل أن يكون السعى إلى "حقيقة تاريخية" أمر مشترك بين ذوى الآراء والمعتقدات المختلفة وذلك عندما يتجاهلون كل حظر ونهى مفروض حول البحث فى المصادر والوثائق وبالنسبة التى يعترفون فيها بكل تيار فاعل فى اليهودية وبأنه جزء لايتجزأ منها، حتى وإن كانوا يرفضون الفرائض والعادات المألوفة التى تميزه.

موجز تاريخ التعددية فى اليهودية

تظهر التعددية فى ثقافة الشعب اليهودى فى كل فترة من فترات تطورها منذ نشأة اليهودية وحتى انتشار الحركات المتحررة من الديانة التشريعية، وتتجلى فى التنوع المتعدد للإبداعات الأدبية والتأريخية والفنون التشكيلية والصلوات والإبداعات الفكرية والبحثية. ويحدث تعدد للتيارات والحركات المتصادمة فى اليهودية فى كل

عصر داخل اليهودية الواحدة وتتطور ثقافة الشعب اليهودى وتثـرى مـن التعـدد والتناقضات التى بها خلال ثلاثة آلاف عام على الأقل.

وفى فترة تكوين الشعب والانقسام إلى مملكتين وتأسيس اليهودية يتصـارع فى اليهودية الإيمان بإلة مجرد والإيمان بإله مجسد، أو ممثل فى تمثال عجل مـن الذهب، ويتواصل الخلاف والتناقصات فى فترة المملكتين[١٩] بسبب إقامـة تمثـال عجل ذهبى فى مراكز عبادة يهوا فى مملكة الأسباط العشرة.

وتتنشر فى اليهودية منذ فترة استيطان أسباط بنى إسرائيل لأرض كنعـان ديانات الكنعانيين وبخاصة ديانة عشتروت[٢٠] وديانة أشيرا[٢١]، وديانـة البعـل[٢٢] والمولوخ[٢٣]. وعاشت تلك الديانات المؤمنة بتعدد الآلهة فى اليهودية وفـى ثقافـة الشعب اليهودى فى مملكتيه، بجانب ديانة التوحيد وأحيانا بدلا منها، مثلما فى الفترة التى تحولت فيها ديانة البعل وعشتروت إلى الديانة الرسمية فى مملكـة الأسـباط العشرة.

وكان سلميان أول ملك اعترف بإمكانية تعدد إقامة شعائر لآلهة كثيرة فـى الثقافة اليهودية بسلام. وببنائه هيكل لآلهة كثيرة فى عاصمة المملكة اليهودية الأولى تحولت القدس إلى العاصمة الأولى للتوحيد وأيضا إلى عاصمة التعدديـة الأولـى والتى يوجد بها أيضا هيكل لديانة التوحيد. وكان هذا جزءا من عملية ضمان السلام مع الشعوب والقوى الكبرى التى وراء حدود الدولة الجديدة. وصارت المعارضات المتنوعة على حكمه داخل مملكته – بسبب عبء الضريبة التى فرضها – أسـاس لمعارضة أنبياء يهوا على تعدد الهياكل التى أقامها سليمان وانفتاحه على تـأثيرات ثقافات الجيران وفنهم. وقد عين نبى يهوا "يربعام بن نبط" ليكون على رأس التمرد ضد سليمان وأكد له أن هذه هى رغبة الإله.

وتأتى معارضة اتجاهات التعددية تلك من دوائر المعارضة الصغيرة نسبيا لأنبياء يهوا والذين ظلوا يؤمنون بخصوصية إله إسرائيل وحـاربوا كـل ظـاهرة

شرك. وتطورت التعددية الدينية فى اليهودية بتشجيع مؤسسة الحكم الملكية وبمشاركة كهنة وأنبياء يهود قام بتشغيلهم بلاط المملكة الإسرائيلية.

كما يعارض محررو التناخ أيضا هذه التعددية الدينية والثقافية فى ملاحظاتهم على النصوص (كما فى سفر القضاة، والملوك وفى أسفار أخرى) ولكن لم تمنعهم معارضتهم الصارمة للتعددية الدينية التى هيمنت على اليهودية من إدراج وصف تفصيلى لتعدد الآلهة والشعائر الدينية فى يهودية عصرهم - والذى يصف ثقافة الشعب فى كتاب التناخ.

ويتحول التناقض بين الإيمان بتراث تاريخى واحد وبين تعدد معتقدات دينية وأخلاقية فى اليهودية إلى حقيقة فى فترة ثلاثة هياكل يهوا الأولى - فى القدس وفى بيت إيل وبدان. والتى تسمى فترة الهيكل الأولى.

الانقسام فى يهودية العصر الهلينستى وفترة الهيكل الثانى

تنقسم اليهودية فى فترة الهيكل الثانى إلى يهودية هلينية ويهودية ربانية، إلى يهودية فلسطين ويهودية الشتات الشرقى والغربى. وتظهر فى جموع اليهودية تيارات وفرق تتصارع فيما بينها وتنكر كل واحدة الأخرى داخل اليهودية الواحدة ؛ حيث صدوقيون وفريسيون وأسانيون ومسيحيون يهود، ويهود منفتحون على ثقافة الغرب ويسميهم معارضوهم "متهلنين" ويهود منزوين عن الثقافة الهلينستية لكنهم متأثرين بها (انظر ليبرمان حول تأثير ثقافة اليونان على حاخامات التلمود، وانظر الموزيكو والصور الجبسية فى المعابد، وانظر طراز المدينة على جبل الهيكل وساحة التدريب وميدان سباق الخيل).

عقب تدمير الهيكل الثانى فى القدس وتقويض المملكة اليهودية انهارت مؤسسة الحكم الملكية والكهنوتية وبدلا منها تطورت المعابد والطوائف والمؤسسات الربانية والقيادات المحلية فى فلسطين والشتات والتى تتحدث وتبدع باليونانية والأرامية واللاتينية.

وواصل خلال الألف الأول من الميلاد فى العصر الهلينستى الرومانى فى تاريخ اليهودية، حاخامات التوراة الشفهية إصلاح الديانة والعقيدة اليهودية والشريعة والعادات فى المؤسسات وفى الأعياد. ونجد مناقشاتهم وفتاواهم مكتنزة فى المشنا والجمارا والأدب المصاحب لهما. إنهم يطورون الشريعة بنقاشاتهم وبآراء الأغلبية منهم، ويبدعون أدبا ثريا من القصص والأساطير الصوفية، ويطورون واقعا أسطوريا حول الآخرة، الحياة بعد الموت، حيث بلاط مُلك ملك الملوك الذى فى السماء، وكائنات ملائكية وإلهية، وجنة عدن المنتقلة من بداية التاريخ إلى نهايته، وجهنم لتعذيب الذين يتسمون بالقسوة المطلقة وعدم الرحمة (لايوجد ذكر لكل هذا فى التناخ والمعتقدات السائدة به).

وتتطور فى العصر الهلينستى آداب يهودية تمثل تيارات يهودية مختلفة، مثل: أدب اليهودية الهلينية([٤٢]) (يشمل فيلون، فلافيوس، يحزقيال همحزاى، أسفار المكابين، إبداعات شعراء وأدباء) وأدب اليهودية الربانية (مشنا، تلمود، مدراشيم) وأدب اليهودية المسيحية (أقسام من العهد الجديد قبل أن تنفصل المسيحية عن اليهودية) وأدب فرق الصحراء (لفائف البحر الميت).

أنواع التعددية فى يهودية العصور الوسطى

زاد فى العصور الوسطى الانقسام بين التيارات اليهودية الطائفية التى تنمو فى مراكز جغرافية وثقافية مختلفة فى القارات الثلاث - أفريقيا ، وأسيا وأوربا. ونمت فى مناطق منفصلة عن بعضها البعض داخل كل قارة تيارات يهودية لها خصوصيتها ومختلفة عن بعضها البعض، مثل يهودية بنى إسرائيل فى جنوب الهند، ويهودية اليمن، ويهودية الصين، ويهودية أثيوبيا، ويهودية القوقاز وعلاقاتها مع مملكة الخزر، ويهودية شرق أوربا التى نشأت عن لقاء مهاجرين يهود من ألمانيا ومن مناطق سلافية وخزرية، واليهودية الأسبانية والبرتغالية وغيرها.

وأضيف إلى الانقسام الطائفى فى العصور الوسطى الانقسام الفكرى الدينى: ففى مقابل عقلانيين مغالين يؤمنون بإله خاص ومجرد (مثل موسى بن ميمون فى

كتابه "موريه نفوخيم" "دليل الحائرين") تنتشر تأثيرات القبالاه والتصوف فى حركات كبيرة فى اليهودية - مثل حركات الحسيدية والمعارضين لها. وتشجع الحركات المسيحانية بأنواعها -هرؤبين، شبتاى تسفى، فرنك - التمييز بين الشعب والديانة التشريعية، وتضع أساسا للفكر الصهيونى المعادى للمسيحانية. ويواصل بجانب اتجاه إقرارالشريعة فى نظام تشريعات وأحكام (من كتاب مشنه توراه "تثنية التوراة لموسى بن ميمون وحتى كتاب شولحان عاروخ "المائدة المرتبة" ليوسف كارو وتفاسير يسرائليس) كثيرون الإيمان بالمبدأ التلمودى "هذه وتلك أقوال الإله الحى" ومواصلة تطور الشريعة. وفى مقابل معتقدات قبالية (لوريا) حول واجبات الحفاظ على الفرائض، وإصلاح العالم وتقديم الخلاص، نجد إيمان قوى بالعرافه والتنجيم وبتجسيم الإله وبكتاب "شعور قوما" (قامة مديدة).

الاندماج فى ثقافات الشعوب فى عصر النهضة الأوربية والتنوير اليهودى

تتطور مسارات التحرر من عبء الفرائض ومن سلطة حاخامات الطوائف على فترات وفى المناطق التى عاش بها اليهود وبها ثقافة النهضة الأوربية والتنوير. واندمج يهود إيطاليا أثناء فترة النهضة الأوربية فى ثقافة جيرانهم مع الحفاظ على يهوديتهم. وعادت أثناء فترة التنوير اليهودية فى هولندا جماعات "المسيحيين الجدد" إلى اليهودية (المتنصرون قهرا فى أسبانيا والبرتغال) وأخذوا يتصارعون مع المفكرين المطورين لرؤية جديدة فى اليهودية والمنفصلين عن التقاليد المحافظة التى تؤمن بأن الإله كتب التناخ وأنه يجب النظر إليه على أنه شخصية منفصلة عن الطبيعة (سبينوزا والمذهب الحلولى).

تتجلى مسارات العلمنة لدى الشعب اليهودى فى تيارات فكرية وعقدية جديدة بداية من القرنين الثامن عشر والتاسع عشر فى يهودية الشرق والغرب وذلك فى فترة التنوير والهجرة الجماعية إلى المدن الكبيرة بأوربا وأمريكا. وتشكل اليهودية المتحررة من الديانة التشريعية والمعتقدات الإلحادية فى القرن التاسع عشر جزءا من مصادر الإلهام الأساسية للإبداع اليهودى فى كل المجالات. وتنشط فى

مقابلها تيارات أرثوذكسية دينية محافظة، مماثلة للصدوقيين والقــرائيين المــؤمنين بمبدأ "الجديد محظورمن التوراة".

وظهرت بجانبها حركات إصلاح فى الديانة اليهودية - بداية "الإصلاحيون" وبعد ذلك "المحافظون" فى أوربا وأمريكا.

تتحول اليهودية فى القرن العشرين - الدينية والعلمانية على حــد ســواء- أكثر فأكثر إلى يهودية مؤمنة بنظام التعددية إلى أن عُرفت بأنهــا ثقافــة للشــعب وليست ديانة له. وبدأت اليهودية الامريكية تتسم بالتفرد بوصفها طائفة جديدة فــى الشعب اليهودى، وأصبحت أكبر طوائفه. وتطورت اليهودية الإســرائيلية ســريعا بوصفها ملتقى لكل الطوائف بإسرائيل، من كل القارات والتيارات الدينية والعلمانية، وبوصفها مركزا روحانيا ثقافيا وتعليما للشعب اليهودى (فى نهاية القرن العشــرين يتعلم فى إسرائيل معظم الشباب اليهودى فى العالم وعمرهم أقل من ســن الثامنــة عشر).

وتطورت اليهودية الإسرائيلية من خلال الصهيونية العلمانية وإحياء العبرية كلغة حديث وإيداع إعلامى فى كل وسائل الإعلام، علاوة على هــذا فهــى تمثــل اليهودية والتى تزداد تلاشيا فى الشتات من الناحية العددية ومن ناحيه كونها دافعــا لتعلم اليهودية. ومعظم اليهودية فى عصرنا اليوم ليست دينية بالمعنى الذى يعــرف به المتدينون الديانة اليهودية. فمعظم اليهود لا يحافظون على الفرائض ولا يترددون بانتظام على المعبد، ولا يدعون الإله ولايصلون له، ولايعلمون أبناءهم وفقا للديانة اليهودية، إلا أن تنوع الحركات الدينية فى اليهودية قد ازداد مؤكدا فى الوقت ذاتــه مع تيارات اليهودية العلمانية طابع التعددية.

تنوع الإبداعات يمثل كل عصر فى الثقافة

تعرض مجموعة الإبداعات التى جمعت فى التناخ آراء ومعتقدات متنوعة، وتصف أنماط حياة وشعائر وآراء دينية متنوعة قد ســادت بــين عامــة اليهــود والزعماء والملوك والكهنة وأنبيائهم.

وتمثل مجموعة النصوص الواردة فى التناخ كل الأصناف الأدبية المعروفة فى الأدب الغربى المعاصر: نثر وشعر ملحمى وغنائى، ودراما، ومقـال فلسـفى شعرى، وتأريخ، ووصف للشعائر الدينية والعادات وأنماط الحياة اليومية والأعيـاد وإبداعات الفن التصويرى فى المعابد وفى الميادين العامة وفى القصـوروالهياكل والتشريعات ووصف الطقوس والإبداعات البلاغية النبوية.

تعبر التناقضات بين الآراء والمعتقدات التى تتجلى فى مجموعة النصوص التناخية عن إيمان وكفر بعدالة الإله، إيمان وكفر بخصوصية يهوا وآراء متناقضة حول العلاقة بين الإثم والعقاب، وآراء مختلفة حول تفضيل العدالة الاجتماعية على التمسك بفرائض الديانة، وتكشف عن الظلم الواقع على المرأة فى المجتمع اليهودى وآراء متناقضة حول حقوق الحاكم على رعاياه، وماهية العهد بين الشعب وإلهه.

وتُعرض فى مجمل الإبداعات التناخية الفترة التاريخية الثقافية الأولى فـى تاريخ الشعب اليهودى – منذ نشأته من ذرية أسرة واحدة ينتسب إليها الكثير مـن شعوب مختلفة، حتى تدمير هياكل يهوا الثلاثة فى المملكة، ودمار مملكتى الشـعب اليهودى،المتجاورتين، ونفيه وعودة قسم صغير من الشعب اليهودى من بلاد مابين النهرين إلى يهودا تحت حماية الإمبراطورية الفارسية، وبداية تأسيس كيان يهودى مستقل فى القدس وحولها بجانب كيان يهودى سامرى فى نابلس وما حولها.

وعلى الرغم من عدد الأسفار القليل المدرج فى الأنتولوجيا التناخية يستطيع القراء التعرف على مجمل ثقافة الشعب اليهودى فى الفترة المـذكورة والتيـارات المختلفة التى تصارعت فيها والفنون التى ابتكرت بها وتأثيرات الثقافات الأخـرى على الحياة والإبداع فيها، والتحولات الجذرية التى طرأت على أنماط حياة الشعب اليهودى خلال مئات السنين التى تنتمى إليها الأعمال الواردة فى التناخ.

ويتضح على ضوء البحث والاكتشافات الأثرية المعاصـرة أنـه لايجـب بالضرورة النظر إلى المكتوب فى التناخ على أنه تقارير تاريخيـة موثـوق بهـا لأحداث قد وقعت بالفعل فى المكان والزمان المشار إليهمـا. ومثـل كـل مجمـل

الإبداعات الأدبية تعرض أيضا إبداعات التناخ واقعا تاريخيا يستمد منه الأدباء عناصر نتاجهم الأدبى. ومثل مجمل الإبداعات فهى تعرض واقعا تاريخيا قد تشكل فى ذاكرة الشعب اليهودى الجماعية، وأصبح عنصرا تاريخيا مؤثرا فى ثقافته، وأحيانا أيضا فى حياته الاجتماعية وسياسة زعمائه.

ومن كل تلك النواحى فمن المحتمل أن التناخ بحسب ادعاء "بيالك" يُستخدم نموذجا ساميا لمجموعات مشابهة لنخبة من الأعمال التى تمثل الفترات الأخرى فى تاريخ الثقافة اليهودية. وتُعرض كل فترة من خلال نخبة مؤلفات يهودية تضم كل الأشكال والتيارات والطوائف والفرق والحركات يهودية الموجودة فى تلك الفترة.

التحولات المستمرة فى اليهودية

تتجدد اليهودية فى كل عصر فتظهر فيها معتقدات وشعائر وعادات وتقاليد وطقوس أعياد ومواقيت جديدة لدورة الحياة كما تظهر نظرة جديدة إلى الإبداعات الكلاسيكية وقداستها أو إلى اللغات اليهودية ولغات الشعوب ودورها فى اليهودية وإلى صورة أبطال التاريخ والأدب الكلاسيكى بما فيهم الإله. وتضاف تلك الأشكال والمضامين الجديدة إلى الثقافة اليهودية، لكنها لاتأتى دائما عوضا عن أشكال ومضامين قديمة راسخة فيها لأنها تقدست فى نظر بعض من الشعب.

عندما حرم الحاخام جرشوم التزوج بامرأتين على الشعب الإسرائيلى قبل أكثر من ألف عام، استمر كثير من اليهود فى التزوج بامرأتين وكأنه لم يحدث تغيير جذرى فى مفهوم الأسرة. وعندما عينت النساء فى منصب حاخامات ومرتلات فى معابد حركة الأغلبية فى اليهودية الدينية (الإصلاحيين والمحافظين) وبدأت اليهودية العلمانية فى تعين نساء فى وظائف قضاة شرعيين وقضاة فى كل الدرجات، استمرت طوائف الأرثوذكسية فى حرمان النساء من تقلد مناصب حاخامات أو مرتلات أوقضاة شرعيين. وعندما أعلن فلاسفة يهود مثل موسى بن ميمون أنهم يؤمنون بإله مجرد من كل محسوس ومن كل تصور إنسانى استمر يهود

آخرون فى الإيمان بإله ذو شخصية إنسانية يجلس على عرش ملكه ذو "قامة مديدة" ويمكن قياس أعضائه التى تشبه أعضاء جسم الإنسان.

كل شيء يتغير فى اليهودية، لكن التغيرات تتراكم بجانب القديم المخزون – معتقدات وعادات حديثة موجودة بجانب معتقدات وعادات قديمة. وهذا التركيب هو أساس التعددية فى ثقافة الشعب اليهودى. واليهودية غير مستوفاة ولم تستنفد مطلقا بنظام ثابت من الشرائع والقوانين والعادات والمعتقدات. حيث مر كل قانون وعرف ومؤسسة ونمط حياة وشعائر دينية فى اليهودية ويمر بتغيرات بعيدة المدى فى الثقافة اليهودية وفى تيارات الديانة اليهودية التى بها.

ولقد حلت التحولات فى اليهودية فى القطاعات المختلفة للشعب اليهودى عبر أزمنة مختلفة وبمعدل مختلف. وتم تسريع التحولات فى اليهودية عندما تحولت الديانة اليهودية من ديانة قرابين وهياكل إلى ديانة معابد وصلوات، وجلب هذا التحول فى أعقابه لامركزية مغال فيها بعيدة المدى وشجعت تغيرات قد حلت فى طوائف معينة وليست فى أخرى. ولقد أبدع اليهود فى ظل تأثيرات البيئات المختلفة التى عاشوا فيها.

وتتجلى فى الذاكرة الجماعية للشعب اليهودى والمكنونة فى التناخ تلك التغيرات فى فترة الترحال فى الصحراء. حيث كانت خيمة اجتماع هارون وتماثيله مختلفة تماماعن خيمة اجتماع موسى والتى لم يكن بها مذبح أو قرابين أو كهنة. وكان هيكل يهوا الذى بناه سليمان، وبه تماثيل لها وجه إنسان وأجنحة ضخمة فى قدس الأقداس، مختلفا عن هياكل يهوا التى وضع فى وسطها تمثال العجل فى بيت إيل وبدان. وكان الهيكل الثانى فى القدس مختلفا عن سابقيه فقد مر بتغيرات كثيرة مبالغ فيهاعندما بنى مجددا على يد هوردوس. حيث كثرت الصور والإبداعات الفنية المتنوعة والمتميزة مع تعدد المعابد التى بنيت فى فلسطين وفى الشتات -كما بدا بوضوح فى الاختلاف بين رسومات الحائط والمرأة العارية التى تنتشل موسى من

النهر فى معبد منطقة دورا إيروفوس وبين الصور المتنوعة مع علامات النجوم وعناصر من الأسطورة اليونانية فى المعابد التى بفلسطين.

مرت المعابد نفسها بتحولات جذرية مما زاد الخلاف والتعددية فى ثقافة اليهودية. ففى البداية لم يكن فيها فصل بين رجال ونساء ولم تضم مقصورة خاصة بالنساء (طبقا لتقاليد الهيكل) وبمرور قرون ظهر فى بعض منها مقصورات نسائية وبمرور قرون أخرى اختفت من معظم معابد اليهود فى العالم المقصورة النسائية. وحاليا يقف الرجال والنساء فى بعض المعابد متقابلين يغنون ويرقصون صحبة على رنين أدوات أو جوقة موسيقية مرافقة للصلاة والإنشاد فى السبت والأعياد (كما كان فى تقليد المعبد) ويقابلها معابد بها نساء موجودات وراء حائط يفصلهن عن القاعة التى بها التوراة والجمهور المحافظ على طهارة الجنس الذكرى، وتجرى الصلوات بدون مصاحبة موسيقية وجدران المعابد خالية من الصور ومن الإبداعات الفنية.

تنوعت فى عصرنا مجددا الإبداعات الفنية التصويرية أو التجريدية فى المعابد ودور العبادة اليهودية فى إسرائيل والعالم بكثرة. ويتدفق أيام السبت الآلاف إلى مراكز التجمعات فى مئات المتاحف الموجودة فى إسرائيل للاستمتاع بإبداعات فنية يهودية وغير يهودية وكأنه لم يحرم مطلقا رسم ونحت تماثيل لشخصيات إنسانية بين دوائر معينة فى اليهودية.

ولقد حدثت تحولات فى طبيعة التيارات المتصارعة فى اليهودية وفى المعتقدات المتنوعة التى تطورت فى اليهودية تقريبا فى كل موضوع متعلق بالثقافة والديانة اليهودية؛ مثل: الاعتقاد التناخى باقتصار الحياة على هذا العالم، والإيمان بالمسيح المخلص والعناية الإلهية وبكيان الإله، وبدولة الشريعة وبضرورة التمسك بالفرائض، وبنمطية الاحتفال بالأعياد -ومغزاها من ناحية الشكل والمضمون.

تطورت فى ثقافة الشعب اليهودى تيارات دينية وعلمانية كثيرة، وكل واحد منها يمثلها بطريقته الخاصة به؛ كما مثلها المذهب العقلانى المغالى لموسى بن ميمون، والمذهب الصوفى لموسى بن نحمان والمذهب الحُلولى لسبينوزا.

بدأت التغيرات السريعة والجارفة فى تشكيل يهودية متجددة مع انتشار القيم الإنسانية العلمانية والمعتقدات اللاأدرية(٥) والإلحادية التى تحولت إلى عناصر سائدة فى يهودية العصر الحديث وإلى جزء لايتجزأ من ثقافتها، بجانب تاريخ التيارات الدينية التى بها.

وجعلت التغيرات المفرطة فى نظم التعليم فى اليهودية غالبية الشباب اليهود يتركون المدارس الدينية وينتقلون إلى نظم تعليم غير دينية فى إسرائيل والشتات.

ولقد ساعدت طلائع التعليم المتحرر من الديانة التشريعية (مثل منظمة الإليانس فى بلدان البحر المتوسط، ومدارس "تربوت" العبرية ومدارس "تسشا" اليديشية فى أوربا، وبخاصة نظام التعليم العلمانى فى أرض إسرائيل "فلسطين" ودولة إسرائيل، والذى يدرس فيه اليوم معظم الشباب اليهودى بالعالم) على التغيير وعجلت به. وانضم مثقفو الطوائف التى عاشت فى دول عربية، من العراق حتى المغرب، إلى دوائر المبدعين اليهود باستثناء مجالات الثقافة الدينية، وانضم بعضهم إلى طبقة المثقفين العلمانية اليهودية فى العالم والتى تتحدث وتبدع بلغات أوربا وتدرك الكلاسيكية العالمية وتعلم أبناؤها روح الانفتاح على الغرب. ونشط أدباء يهود علمانيون من بلدان تتحدث العربية فى ثقافات أوربا بجانب أدباء وفنانين يهود من شرق وغرب أوربا وأمريكا.

وفى نفس الوقت استمرت نظم التعليم اليهودية الدينية فى الحفاظ على أشكال ومضامين تعليمية قدستها تقاليد عمرها قرون وتجاهلت التغييرات التى طرأت على يهودية العصر الحديث. وتواصل اليهودية الحريدية إقامة مدارس دينية للأطفال والصبية الذكور، والتى حظيت بازدهار غير مسبوق فى تاريخ التعليم اليهودى بخاصة فى دولة إسرائيل العلمانية، وبفضل قوة الأقلية الحريدية يحصل معلمو وتلاميذ المدارس الدينية الحريدية على رواتب وإعفاء من الخدمة العسكرية فى الجيش وذلك عن طريق الضغط على الأحزاب العلمانية، وذلك على الرغم من كون

الحريديين أقلية صغيرة فى الشعب اليهودى. وقربت نظم التعليم غير الدينية التى بالعبرية واليديشية والألمانية وبالإنجليزية آلاف الشباب إلى أفكار حركة التنوير اليهودية وقوت مسارات العلمنة فى الثقافة اليهودية، وخلقت جسورا بينها وبين ثقافات الغرب وعجلت مسارات التغيير فى اليهودية الإسرائيلية والعالمية.

لايجب أن يُقال "تقول اليهودية" كما لايجب أن يُقال "يقول التناخ"

يوجد فى اليهودية ،كما فى التناخ، تشكيلة آراء ومعتقدات مختلفة، متناقضة أو تنكر بعضها البعض وعلى ذلك لاينبغى القول :" تقول اليهودية" بل نقول "فى اليهودية"، كما لاينبغى القول "يقول التناخ" بل نقول "فى التناخ".

واليهودية هى ثقافة تؤمن بنظام التعددية وليست أيديولوجية مصنوعة من كتلة متجانسة، ولايمكن أن ننسب مواقف فى موضوع ما لمجمل اليهودية، أو لمواقف تمثل الشعب اليهودى كله، كما أنه لايمكن أن ننسب مواقف كتلك لمجمل التناخ.

الذين ينظرون إلى اليهودية بوصفها ثقافة متطورة للشعب اليهودى لاينسبون إلى التاريخ اليهودى مدلولا مثاليا أودينيا، وكأنه موجه لهدف مسيحانى أو إلهى. وطبقا لهذه الرؤية فالتاريخ اليهودى يمثل نفسه. ومثل تاريخ أى شعب فى العالم يوجد لكل التطورات التى به عوامل وأسباب. كما أنه ليس له هدف محدد مسبقا. ويشكل التاريخ الخاص بالشعب اليهودى خصوصية للشعب، تماما مثلما تشكل السيرة الذاتية خصوصية لكل إنسان.

يسعى علم تأريخ الشعب اليهودى المعاصر إلى رسم صورة لما قد حدث فى الواقع وليس لما مقدر له أن يحدث. وقال "برجسون" عن "بوذا" :كان رجلا رائعا فلم يسمح مطلقا لفكرة أن تقف بينه وبين الواقع. والتاريخ اليهودى ليس تطبيقا أو تعبيرا لفكرة، بل صورة لتطور مجموعة أحداث وإبداعات تشكل معا تاريخ ثقافة متعددة التناقضات والتى عاش بها يهود طوال أكثر من ثلاثة آلاف عام.

يعتمد السعى لوصف ما حدث فى الواقع على وثائق متقاطعة وعلى إبداعات أدبية وفنية تتحول بعد وقوع الحادث إلى وثائق تاريخية يسهم بعضها فـــى خلـــق الصورة التاريخية. ويمكن من خلال صور كتلك ملاحظة التعددية التى تتجلى فـــى ثقافة الشعب اليهودى دون أن ننسب لأى من تعابيرها استفادا إجماليا لما قد تجلى.

تعدد التيارات فى اليهودية

توجد فى اليهودية تيارات كثيرة : طائفية وإقليمية ودينيـــة وأيديولوجيـــة. وتنضـــم إبداعات كل تيارات اليهودية إلى مجمل ثقافة الشعب. وتعيش التيارات المختلفة فى اليهودية بجانب بعضها البعض، وأحيانا مناقضة لبعضها البعض.

وتؤثر التيارات ذات الاتجاهات الدينية والأيديولوجية على نمط حياة أفرادها وتمسكهم بالفرائض، وأحيانا أيضا على الملبس واللغة والعلاقات الجنسية والأسرية والتعليم والانضمام إلى معسكرات سياسية. وتبرز تباينات كتلك فى الفجوات التـــى بين اليهودية الحريدية واليهودية العلمانية واليهودية الدينية الصهيونية، واليهوديـــة الدينية الإصلاحية، واليهودية القرائية واليهودية السامرية واليهودية الإنشائية ...إلخ.

كما تعيش فى اليهودية أيضا تيارات قطرية مختلفة عن بعضها البعض فى ثقافتها ونمط حياتها، وأحيانا فى لغة الحديث وصيغ الصلاة والشعائر، ونظرتها إلى التيارات الأخرى وإلى ثقافات الشعوب التى تعيش بها، مثل :"اليهودية الأمريكيـــة" و"اليهودية البولندية"و"اليهودية الإسرائيلية".

ويتطور مجمل ثقافة الشعب اليهودى عقب لقاء كل التيارات الموجودة فى اليهودية فيشمل كل تشكيلة الإبداعات التى تمثل تلك التيارات المختلفة. وتمثل ثقافة اليهودية البولندية الشرق أوربية جزءا فقط من اليهودية، وهى مختلفة وبعيدة تماما عن ثقافة الطوائف اليهودية القابعة فى سواحل البحر المتوسط وفى شبه الجزيـــرة العربية أو شبه الجزيرة الهندية وفى شرق أفريقيا أو فى شمال أمريكا، وتختلف كل تلك تماما عن ثقافة اليهودية التى تتطور فى إسرائيل بوصفها ناتجة عن ملتقى كل أبناء الطوائف والتقاليد فى دولة قومية واحدة.

وتحيا الأقلية الفلسطينية فى إسرائيل - حوالى خمس سكان الدولة - داخل الثقافة العربية للمنطقة ولا تشكل عنصرا مؤثرا فى الثقافة الإسرائيلية اليهودية، وعلى كل حال ليس بالشكل الذى به تؤثر الثقافة الأمريكية على ثقافة اليهود فى الولايات المتحدة أو الثقافة الفرنسية على يهود فرنسا.

تطورت الطائفة الأمريكية ،أكبر طوائف الشعب اليهودى، والتى اكتسبت طابعها الخاص فى القرن العشرين فقط، بيد أن سماتها تميزها عن كل طوائف الشعب اليهودى الأخرى ولاتظهر ثقافة هذه الطائفة وتميزها فى غالبية مناهج الدراسة بالرغم من تأثيرها وأبعادها. فلا يعرف معظم الإسرائيليين إجمالى النتاج الدينى والعلمانى الذى ألفه يهود أمريكا بالرغم من أن مئات الآلاف من الإسرائيليين يقيمون فى أمريكا بصورة دائمة.

وتتمثل إبداعات هذه الطائفة باليديشية والإنجليزية فى فنون المسرح والفن التشكيلى والموسيقى والسينما والفكر الدينى والعلمانى الإنسانى فى مؤسسات الثقافة العليا اليهودية، وفى مشروعات الطائفة وإبداعات كبيرة قد نشأت نتيجة اندماج اليهود فى ثقافة الولايات المتحدة، مما يشكل أحد المظاهر الكبيرة للثقافة اليهودية الواجب معرفتها لفهم ثقافة الشعب فى عصرنا.

ومن يرغب معرفة اليهودية عليه أن يعرف أن أجزاء معينة فقط من يهودية شمال أفريقيا معروفة فى إسرائيل (وهى غير معرفة لدى معظم يهود الشتات)، ومن أجل معرفة العالم الروحانى وإبداع يهودية شمال أفريقيا - من مصر مرورا بليبيا وتونس والجزائر والمغرب- يجب عليه معرفة نخبة من تاريخ الإبداع الذى بها، من بداية الألف الثانى من الميلاد وحتى عصرنا. وقد نشط فى هذه اليهودية مبدعون ومفكرون ومؤرخون وشعراء وعلماء دين وعلماء قبالاه، وفى عصرنا أدباء ومثقفون قد اشتهروا فى ثقافة اليهودية وفى ثقافات شعوب أخرى. وتتمثل يهودية شمال أفريقيا فى نخبة إبداعات ضمت إبداعات فيلون وموسى بن ميمون والترجمة السبعينية(٢٦)، وكتاب المكابيين لياسون (الموجز الذى وصل إلينا) وإبداعات ألبير

ميمى ومبدعين كثيرين آخرين فى طبقة مثقفى يهود شمال أفريقيا والذين تعلموا فى ظل ثقافة يهودية فرنسية وأبدعوا ويبدعون فى المجال الأكاديمى والأدبى والفلسفى والفنى والاجتماعى فى إسرائيل وفى فرنسا.

ولاتتمثل يهودية شمال أفريقيا فقط فى مواعظ الحاخامات الذين يترأسون حزبا سياسيا أو فى معرفة المأكل والعادات الشعبية لعيد الميموناه(٣٧) أو قصص الجن والعفاريت وقبور الصديقين وأضرحة الأتقياء والقديسين، ويتبع كل هذا بالطبع الثقافة الشعبية للطوائف اليهودية التى عاشت فى شمال أفريقيا لكن لا يمثل إجمالى الثقافة التى تطورت فى اليهودية الخاصة بها، تماما مثلما أن عادات ومأكولات وقصص أتقياء شرق أوربا (والتى تلاشت فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر) وقصص الجن والعفاريت وقبور الصديقين ومعجزاتهم لاتمثل الثقافة الثرية للأدب والفكر والفن والتى ابتكرت فى يهودية شرق أوربا.

معظم الإبداعات التى تمثل التيارات الإقليمية المختلفة فى القرن العشرين هى إبداعات متحررة من الديانة التشريعية، إبداعات تم تأليفها خارج إطار الديانة اليهودية. ومن هنا تأتى صعوبة اعتبار أنها تمثل تقاليد قديمة نموذجية للطائفة التى ألفت فيها. وتمتزج فى الثقافة عادات وإبداعات قديمة بعادات وتقاليد وإبداعات معاصرة ويشكلون معا المجموع الكلى الذى يمثل ثقافة حية، ثقافة يتعرض لها الناس الذين يعيشون بها.

وعن طريق مجموعة إبداعات مختارة والتى تمثل تنوع يميز كل واحد من التيارات اليهودية يمكن التعرف عليها وعلى ما يميزها والمشترك بينها وبين تيارات أخرى فى اليهودية.

كل التيارات اليهودية شريك فى عملية تأسيس اليهودية بوصفها ثقافة

إن كل ما أُلف فى أى تيار من اليهودية قد تم تأليفه فى اليهودية بوصفها ثقافة مشتركة لكل الشعب اليهودى. وتبدو الإبداعات والعادات المبتكرة فى أى تيار

من اليهودية من الوهلة الأولى وكأنها مميزة لها فقط. ويتحول المختار منها عبر الزمن إلى تراث لليهودية بوصفها ثقافة خاصة بالشعب اليهودى.

إن إبداعات التوراة الشفهية الخاصة بيهود العراق وإبداعات موسى بن ميمون فى مصر، وإبداعات القبالاه فى بروفانس،أسبانيا وفرنسا، وفلسفة سبينوزا من الطائفة اليهودية البرتغالية فى أمستردام، وأدب حركة التنوير فى ألمانيا وروسيا، وأدب اليديش فى الزاس بإيطاليا، وفى بوهيميا ببولندا وأوكرانيا وليتوانيا، وإبداعات بلغة اللادينو فى بلدان البحر المتوسط، وآداب يهودية فى ألمانيا وانجلترا فى غرب أوربا وفى أمريكا، والآداب والفن اليهودى فى القرن العشرين بفلسطين، قد انضمت مجتمعة فى ثقافة يهودية واحدة مشتركة لكل التيارات اليهودية. وتحولت مختارات منها عبر الزمن إلى عناصر مؤثرة ومشكلة لثقافة الشعب اليهودى كله.

وتشارك فى عملية خلق ثقافة الشعب اليهودى كل التيارات الطائفية والدينية المتحررة من الديانة التشريعية والفاعلة بها. ولمعرفة اليهودية يجب معرفة هذا التطور.

لايوجد مطلقا تعارض بين الإسرئيلية واليهودية؛ حيث إن اليهودية تضم الثقافة الإسرائيلية بكل ظواهرها، كما أنها تضم ثقافة اليهودية الألمانية واليهودية اليمنية واليهودية البابلية التلمودية ويهودية الجماعات الهيلينية فى العصر الهلينستى، وإبداعات موسى بن ميمون وسبينوزا وعلماء الديانة بفينا ويهودا ليف جوردون وهينا وبيالك وألترمان وشالوم عليخم وفدى إيلن وسيجل وسوطين ودينستجر وماهلر وبرنتشطين وشطينبرج وأ.ب. يهوشواع وعاموس عوز ودافيد جروسمان وعميحاى وبن حاييم وأشعار بوب حول التناخ وأعمال دانى سندرسون، وإبداعات سينمائية وتليفزيونية إسرائيلية كلها تشارك فى تشكيل اليهودية بوصفها ثقافة الشعب اليهودى.

ما هى السمات المشتركة بين يهود إسرائيل ويهود الشتات؟

ما هو المشترك بين اليهود المتدينين والعلمانيين؟ وما هو المشترك بين يهود اليمن ويهود كاليفورنيا؟ وما هو المشترك بين يهود كل البلدان و التيارات اليهودية وما يميزهم عن الشعوب الأخرى؟

إن الشيء المشترك بين اليهود -متدينين وعلمانيين - هو الإيمان والاعتراف بتاريخ مشترك والارتباط بالأدب الكلاسيكى المتضمن فى التناخ وبلغة قومية، وبتراث ثقافي قومى متطور، وبأن أرض إسرائيل "فلسطين" هى وطن الشعب اليهودي ودولته القومية ، وبالأعياد المشتركة، والاعتراف بضرورة الصراع ضد مخاطر معاداة السامية الموجودة نظريا وعمليا في كل مكان.

- يسود الإيمان بوجود تاريخ مشترك حتى بين الذين يؤمنون بأن الصورة التاريخية التى صورتها المصادر القديمة في اليهودية لا تلائم الواقع ويجب تشكيلها مجددا على أساس وثائق وشهادات بما فيها المصادر القديمة المذكورة آنفا.

- الارتباط الثقافي بالتناخ بوصفه أساسا مشتركا وحيدا لكل تيارات اليهودية-الدينية، والعلمانية – وهو أيضا الرباط المشترك بين الذين يعتبرونه وثيقة دينية أو تشكيلة من الأدب الكلاسيكي الذي يؤلف كذلك مجموعة وثائق تاريخية وبين هؤلاء الذين يعتبرونه " الوطن المتجول للشعب اليهودي " كما قال هيانا.

- الارتباط باللغة العبرية بوصفها لغة قومية – ولغة قديمة يستخدمها اليهود تباعا منذ ثلاثة آلاف سنة على الأقل، وعادت لتكون لغة حديث وإبداع ، واللغة الرسمية للدولة اليهودية ولغة تعليم أغلبية الشباب اليهودي في العالم والذي تجمع في إسرائيل الآن.

- تندرج في التراث الثقافي للشعب اليهودي إبداعات يهودية؛ إبداعات أثرت اليهودية على مؤلفيها وإبداعهم أو إبداعات كانت عاملا مؤثرا فى اليهودية. وألفت إبداعات يهودية بلغات يهودية كثيرة (لغات تحدثها يهود فقط مثل اليديشية واللادينو

والموغرابية في المغرب، والطاطيت في القوقاز، ولهجات يهودية إيطالية، ولهجات يهودية في اليمن وغيرها) وقد ألف جزء كبير من الفكر اليهودي بلغات الشعوب التي عاش بينها اليهود (مثل الآرامية واليونانية والعربية والألمانية والإنجليزية والفرنسية والروسية وغيرها) وقد ابتكرت إبداعات في الفن التشكيلي وفنون العرض لدى الشعب اليهودي في كل عصر واليوم مدرجة بها إبداعات يهودية في المسرح و السينما والتليفزيون.

• أرض إسرائيل "فلسطين" في نظر يهود العالم هي مسقط الرأس المشترك والوطن القومي الذي عاد ليكون مركزا سياسيا وروحانيا للشعب اليهودي، وهي البلد الوحيد في العالم الذي يتزايد به السكان اليهود وتكثر إبداعاتهم وتتنوع فتزيد عن إجمالي الإبداع اليهودي في كل بلدان العالم.

• أصبحت الأعياد القومية ،التي تحولت من أعياد خاصة بالطبيعة والتاريخ إلى أعياد دينية في مختلف عصور اليهودية، أعيادا تاريخية وشخصية واجتماعية خالية من المضامين الدينية وزاد عدد اليهود المحتفلين بها في اليهودية المتحررة من الديانة.

• الاعتراف بخطر معاداة السامية وتعابيرها ،المعتدلة والعنيفة، وضرورة مواجهتها أمر مشترك بين غالبية اليهود في العالم وينتج عنه شعور بتضامن اليهود والذي يلزم الفرد والجماعة بالعمل في وقت تفاقم الخطر ووجوب التعامل معه، كما حدث في كل مرة على مدار العشرين قرنا في تاريخ اليهودية منذ تدمير الهيكل الثاني. وهذا الاعتراف مرتبط بسمة إضافية وهي التالية:

• الاعتراف بالمصير المشترك لليهود لكونهم يهودا، وبوجوب التضامن اليهودي بالإضافة إلى وجوب التضامن مع كل فرد حيث إنه إنسان. وهذا الاعتراف مثل كل السمات المذكورة آنفا تم استيعابه وأصبح جزءا من الوعي القومي اليهودي للفرد من خلال التعلم في الأسرة والطائفة والدولة.

كل تلك السمات الروحانية والإدراكية مشتركة بين اليهود في كل التيارات الطائفية والدينية والعلمانية والإقليمية. و لاترتبط أي سمة منها بالتمسك بفـرائض الشريعة أو بموقف ما يتخذه فرد في أي من الخلافـات الكثيـرة الموجـودة فـي اليهودية. وتميز تلك السمات المشتركة اليهود عن سائر الشعوب، وهي خاصة بهم فقط، ويلتزم بها الذين ينضمون للشعب اليهودي، ولا تختفي بصفة عامة مع عملية الانسحاب من الشعب اليهودي من خلال تغيير الديانـة أو الإنـدماج الاجتمـاعي والثقافي.

أسس الخلاف والفجوات بين التيارات اليهودية المعاصرة

يتفاقم في اليهودية المعاصرة التصادم بين التيـارات الدينيـة والعلمانيـة، وبخاصة في دولة إسرائيل حيث قوّت الديمقراطية بها الأقليات الدينية وزادت مـن ارتباط الأحزاب الدينية والعلمانية ببعضها البعض.

وحركت الخلافات والتناقضات بين تيارات اليهودية مسارات تطورها فـي كل العصور. وتبدو التصدعات بين التيارات والفرق دائما لا يمكن رأبها، فشجعت أعضاء كل تيار على العمل والابتكار وتقوية ثقافته وتميزه. وقد انضمت بعد ذلـك مجموعات من تلك الإبداعات إلى المجموع الكلي للثقافة اليهودية فظهـرت فائـدة الخلاف.

يوجد خلاف في جوهر الحرب الثقافية التي تجرى فى إسرائيل في عصرنا بين غالبية السكان اليهود الذين يؤمنون بسمو قوانين الديمقراطية على كل شـريعة دينية وبين تيارات المعسكر الديني التي تـؤمن بسـمو الشـريعة علـى قـوانين الديمقراطية، وتفرعت من هذا الخلاف باقي الخلافات بين المتدينين والمتحررين من الديانة التشريعية حيث: الخلاف بين المؤمنين بسمو القيم الإنسانية على كل فرائض الشريعة وبين المؤمنين بسمو فرائض الشريعة على كل قيمة وقانون بما فيها قوانين الديمقراطية والقرارات الديمقراطية في الكنيست أو في المحكمة العليا.

• الخلاف بين المؤمنين بمساواة تامة بين النساء والرجال: حقهن في شغل وظيفة قاضية وليس فقط ماثلة أمام المحاكم التي تقضي في شئون الزواج والطلاق وحضانة الأطفال، وبين الذين ينظرون باحتقار إلى النساء، ويشكرون الله يوميا على أنه لم يخلقهم نساء، ويبعدونهن عن القاعة الرئيسية بالمعبد إلى ما وراء حاجز، ويعارضون تعيينهن في وظائف قيادية - حاخامات، زعماء سياسيين، مفتي شريعة - ويعارضون منح حقوق مساواة للنساء في الأسرة وتحكمهن في أجسادهن وملابسهن.... إلخ .

• الخلاف بين المعلمين الذين يؤمنون بالاندماج في ثقافة العالم ودراسة كلاسيكيات ثقافات الشعوب كأساس لأي تعليم إنساني ويهودي، وبين الذين يؤمنون بالانغلاق والامتناع عن معرفة ثقافة الشعوب وكنوزها الروحانية والفنية.

• الخلاف حول قانون العودة : هل يسرى على أبناء النساء اليهوديات فقط أم على كل من ينضم إلى الشعب اليهودي بأي طريقة، هل الانتماء القومي يتحدد عن طريق العرق وديانة الفرد أم عن طريق معيشته ومشاركته الاجتماعية والثقافية في حياة الشعب الذي ينضم إليه ؟

• الخلاف بشأن قوانين التهود بين المؤمنين بأن عملية الانضمام إلى الشعب اليهودي غير مرتبطة بالدخول فى الديانة اليهودية، حيث إن اليهودية هي ثقافة تضم ديانة لكنها لا تتطابق معها، وبين المؤمنين بأن طقوس التهود المتبعة في تيار الأقلية الأرثوذكسية في اليهودية الدينية هي فقط التي تعترف بها الدولة، أم أن طقوس التهود المتبعة في تيارات الأغلبية اليهودية الدينية في العالم، المحافظين والإصلاحيين، يُعترف بها أيضا.

• الخلاف بشأن واجب التجنيد في جيش الدفاع لمواطني الدولة بين المؤمنين بوجوب سريان هذا الواجب على كل طلبة الثانوية، وبين المؤمنين بسريانه

على الطلبة العلمانيين حتى يستطيعوا الدفاع أيضاعن الطلبة الذين يختارون الدراسة في المدارس الدينية وعلى ذلك فالدولة تعفيهم من واجب التجنيد ومن المخاطر المرتبطة به.

- الخلاف حول واجب الانصياع للحاخام أو لقائد الوحدات العسكرية التي يترأسها حاخامات وليس مجرد قادة.
- الخلاف بشأن حرية الديانة والتحرر من الديانة، والتي تتجلى على سبيل المثال في الخلاف بخصوص فرض أحكام يوم السبت و الطعام الحلال والدفن والزواج والختان والحاميتس([٢٨]) والصيام وأحكام دينية أخرى مفروضة على يهود علمانيين يلقبهم المتدينون أنفسهم بـ "المتحررين " لكن لا يوافقون على الاعتراف بحريتهم.

ولا يمكن حل تلك الخلافات حيث إنها تعبر عن تناقض بين مبدأ سمو الشريعة على كل قانون أو دستور وضعه أفراد في الديمقراطية وبين مبدأ القيم الإنسانية العالمية، وتعابيرها في الديمقراطية، وسموها على فرائض الشريعة لتيار ديني ما أو على آراء حاخامات حتى وإن كانوا يتظاهرون بالحديث باسم الإله.

عندما لا توجد إمكانية لحل وسط، تبقى إمكانية الحوار كوسيلة للتفاهم المتبادل ولإيجاد سبل فعلية لتعايش متعدد في الدولة أو في تجمع سكاني واحد، مع الحفاظ على أقصى حد من الاستقلالية التعليمية والثقافية لكل تيار من تيارات اليهودية طالما لا يضر بحقوق المواطنين وبالتشريعات الأساسية للديمقراطية.

التعددية في عصرنا هي استمرار لتقاليد يهودية عمرها آلاف السنين .

عندما سُئل الحاخام " شاخ " ،أحد الحاخامات الأرثوذكس المغالين في العالم: "ما هي الصورة الأقرب للديانة اليهودية ؟ أجاب : " يهودية حبد([٢٩]). ويعترف الحاخام شاخ بالتعددية المهيمنة على ثقافة الشعب اليهودي وديانته، إنه يعرف أن اليهودية قد تمخضت عن تيارات كثيرة وأن اليهودية الحريدية "اللتوانية" التي

يتزعمها هي فقط إحدى التيارات الحريدية في اليهودية الدينية الأرثوذكسية. وحسب رأيه فإن يهودية أتباع مسيح بروكلين الذين يؤمنون بأنهم استمرار لتناي وبعل شيم طوف لا تتطابق مع يهودية الحاخام شاخ و يهودية نظرائه "المعارضين" الذين يؤمنون بأنهم استمرار لجاؤن فينا.

وفي المقابل وعلى مسافة كبيرة من اليهودية الحريدية نجد في اليهودية الدينية تيار اليهودية الأرثوذكسية الجديدة في أمريكا وفروعها الإسرائيلية، واليهودية الدينية الصهيونية بتياراتها المعتدلة والمتطرفة، واليهودية الإصلاحية والمحافظة والتي تشكل أغلبية اليهودية الدينية في العالم. وتنتمي جميعها إلى معسكر التيارات الدينية في اليهودية والآخذ في التقلص سريعا منذ بداية القرن العشرين وذلك مع ازدياد اليهودية المتحررة من الديانة التشريعية بمعسكراتها " العلمانية" و " التقليدية".

يوجد في الحركة المسيحانية الحبدية التي انتقلت إلى بروكلين في نهاية القرن العشرين من يؤمن بمسيحانية "شنيئور سون" معلمهم حتى بعد موته، تماما مثلما آمن كثيرون في الفرقة التي تكونت في معبد يعقوب "إخوة يسوع" في القدس في القرن الأول بأن معلمهم المولود فى الناصرة هو المسيح وأن موته لن يمنع مقدمه ثانية وسيأتي بالخلاص للشعب والعالم.

ترى اليهودية الحريدية بكل فرقها وكذلك كثير من التيارات اليهودية الأرثوذكسية الأخرى أن اليهودية الإصلاحية والمحافظة كحركة دينية ليست يهودية مطلقا. ولا تعترف الأقلية الحريدية بحاخامات الأغلبية اليهودية الدينية في العالم ولا بآرائهم ولا بالزواج أو التهود الذي يتم عن طريقهم .

وكان لهذا الانقسام سابقة في اليهودية في العصر الهلينستي. وقد نتجت في فترة الهيكل الثاني بالقدس وبعد خرابه خلافات عميقة لاحل لها بين مؤيدي الحشمونائيين الأوائل وبين يهود متهلنين، وبعد ذلك بين صدوقيين وفريسيين وأسانيين ويهود مسيحيين، وفرق الصحراء وقنائيين وغيرهم .

أدانت اليهودية الربانية اليهود الهلنيين بوصفهم يهودا مندمجين في الحضارة اليونانية يعبدون الأوثان، وانعزلت عن جماعات كثيرة من الشعب اليهـودي فـي فلسطين والشتات عندما اندمجوا في ثقافة الغرب. وقام الفريسيون بتجنيد مأجورين للتمرد ومحاربة الملك اليهودي "ألكسندر يناي" لأنه نهج سلوك الملوك الهلينستيين في ممالك مجاورة ولم يتقبل سلطة اليهودية الربانية.

"يهودية معيارية " موجودة لدى المؤمنين بها فحسب

لا تتجلى التعددية في يهودية العصر الهلينستي البيزنطي فقط في تناقضات وتصادمات بين فريسيين وصدوقيين بل في التشكيلة الثرية للتيارات اليهودية: الفرق والطوائف التي تنتمي إلى تيارات مختلفة في اليهودية والتي تعيش في قارات مختلفة متأثرة ومؤثرة في ثقافات مختلفة. ولا يمثل أي تيار من تيارات العصر الهلينسـتي "اليهودية " تماما مثلما أنه لا يمثل أي تيار من تيارات اليهودية المعاصرة اليهودية. وكانت توجد في ذلك العصر ،كما في عصرنا، " يهودية معيارية " واحدة فقط فـي نظر المؤمنين بأن اليهودية تقتصر على التيار الذي ينتمون إليه فحسب.

آمن يهود مسيحيون كثيرون أنهم "الأمة اليهودية" الحقيقية وكـل التيـارات الأخرى قد خانت روح اليهودية ومستقبلها. كما آمن يهود ربانيون أنهم هـم فقـط الذين يمثلون اليهودية الحقيقية وأن مؤسسة الحكم الدينية الكهنوتيـة الصـدوقية و الملكية الحشمونائية خانت مبادئها، وآمن صدوقيون وقرائيون أن الإخلاص للشريعة التناخية فقط هو تعبير عن اليهودية الحقيقية وأن كل تفاسير التوراة الشفهية واختلاق الحياة التي بعد الموت يعد انحرافا جسيما يشوّه اليهودية.

وآمن يهود سامريون أن كل الفرق والتيارات الأخرى ليست يهودية أصيلة ولا تنتمي إلى اليهودية الوحيدة التي استمرت بتتابع مسيرة التاريخ اليهـودي فـي منطقة مملكة الأسباط العشرة في فلسطين.

ولا يمكن أن يُسمى العصر الهلينستي في تاريخ اليهودية بـــ " فترة التلمود"، تماما مثلما أن يهودية التلمود لا يمكن أن تعتبر في عصرنا اليهودية المعيارية.

لا تحدد المعايير الكمية لفرقة أو لتيار في اليهودية حجم الدور الذي يلعبه في الإبداع اليهودي وفي بلورة كنوزها الروحانية وفي تأثير معتقداتها والأفكار السائدة بها. وتُحدد المعايير الكمية الإبداعات والمؤسسات،والتي بسببها يُعرف تيار ما في اليهودية، ومن خلالها يؤثر في تطورها.

أنبياء يهوا القليلون ، الواردة أقوالهم في التناخ ، ويعرضهم أدباء التناخ على أنهم متحدثون باسم أقلية معارضة (أحيانا فرد واحد) يواجهون المؤسسة الملكية الحاكمة وغالبية الشعب. وتحولت الإبداعات البلاغية الشعرية لهؤلاء الأنبياء وأفكارهم الثورية حول وصايا العدل المفضلة على فرائض الشريعة عبر الزمان إلى قوة روحانية مؤثرة أكثر من الأفكار التي عبر عنها متحدثو الحكام وأغلبية الشعب اليهودي في فترة التناخ.

أعتبر فكر سبينوزا والذين ساروا على إثره خلال سنين كثيرة رأيا لأقلية عديمة القيمة ومنبوذة في اليهودية حتى تحول إلى فكر أساسي لدي تيارات الأغلبية المتحررة من الديانة التشريعية ومن الإيمان بإله خاص في الشعب اليهودي.

كانت الصهيونية ومفكروها أقلية عديمة القيمة في اليهودية في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وقد عارضتها غالبية الحركات الكبرى في العالم العلماني والأرثوذكسي والإصلاحي أو تجاهلتها وبعد مرور جيلين أصبحت الصهيونية العلمانية ممثلة للشعب اليهودي. وصارت أفكارها ومعتقداتها مصدر إلهام لثورة التحرر القومي وللثورة الثقافية التي جددت اليهودية بإحيائها العبرية كلغة حديث وإبداع.

اعتبر كثيرون أن اليهودية الربانية التلمودية التشريعية هي "اليهودية المعيارية" لدى جماعات كثيرة في العصور الوسطى وهي في عصرنا توجه أنماط حياة أعضاء الأقلية الأرثوذكسية وثقافتهم، إلا أنها لم تعد تؤثر بعد على الحياة الروحية والثقافية والاجتماعية لأغلبية اليهود في العالم ولم تعد تمثل اليهودية بوصفها ثقافة.

تبلورت في عصر التناخ أيضا ثقافة الشعب اليهودي لأول مرة، وقد اعتبر أنبياء يهوا أن عقيدتهم هي اليهودية المعيارية. وحسب شهادتهم لم يأخذ معظم الشعب اليهودي برأيهم.

خلافات في اليهودية الهلينستية وفي اليهودية المعاصرة

تذكرنا التناقضات بين التيارات التي تطورت في يهودية العصر الهلينستي، في نهاية الألف الأول قبل الميلاد وبداية الألف الأول الميلادى، بالتناقضات التي بين تيارات اليهودية المعاصرة.

وحقق حاخامات التوراة الشفهية أكبر إصلاح في اليهودية في فترة الهيكل الثاني وبعده، ولقد ضمنوا بتسريعهم مسار التغيير الدؤوب في الديانة وفي الثقافة اليهودية استمرار اليهودية بوصفها ثقافة حية ومتطورة ومتكيفة مع تحولات ظروف الزمن.

وفي المقابل أحدث اليهود الذين عاشوا واندمجوا في الثقافة الهلينستية ثورة ثقافية، عن طريق انفتاح اليهودية على ثقافة الغرب وعلى الكلاسيكية والفلسفة اليونانية وهو ما قد تجلى في التلمود (كما أوضح ليبرمان) وفي إبداعات مفكرين وأدباء في اليهودية الهلينية، مثل أريسطوبولوس وفيلون السكندري ويوسف بن متتياهو فلافيوس. ولقد أثرت أساليب تنظيم الحكم اليوناني اليهودي (في مصر والشتات وجبل الهيكل) في تطور الطائفة اليهودية المستقلة. وأثرت الفنون اليونانية – الرسم والنحت – في فصوص الفسيفساء والصور المرسومة بالألوان على الجبس في المعابد، وأقيمت مسارح في مدن عاشت بها جماعات يهودية، واندمج ممثلون يهود وكتاب مسرحيات يهود (مثل يحزقيال هدرمطورج) في الحياة الثقافية الغربية، ونصبت تماثيل كثيرة في أماكن عامة (في معبد نهردع، وفي حمام عمومي في عكا)، وتعلم يهود كثيرون في مدرسة الجمنيسيون (مثل تلك الموجودة في جبل الهيكل) وأرسل الكاهن الأكبر وفدا رياضيا يهوديا للمشاركة في مسابقات ومراسم هيلينستية دولية.

وتصدى لتلك الاتجاهات التي ترأسها يهود المدن الكبيرة، معارضون كثيرون بين "الحسيديين" وباقي المحاربين ضد تأثيرات المتهلنين في الحياة اليهودية. وعندما ازداد قصر الملكية الحشمونائية تشبها بالهلينستيين تحول الصراع بين الاتجاهين من صراع ثقافي إلى صراع سياسي تجلى في التمرد وحرب أهلية خطط لها الفريسيون ضد الملكية اليهودية.

وعارض الثورة الثقافية والإصلاحية التي قادها حاخامات التوراة الشفهية أرثوذكس تلك الفترة – الصدوقيون والقرائيون الذين ساروا على إثرهم. وكان رجال المؤسسة الدينية وطبقة النبلاء المعينة في الهيكل ينتمون إلى التيار الصدوقي فعارضوا محاولة الفريسيين لتغيير شرائع التوراة. ومثل الأرثوذكس المعاصرين حاول أيضا الصدوقيون والقرائيون تجميد الشريعة اليهودية، ورغبوا في التمسك بالآراء التي سادت في التناخ حول اقتصار الحياة على هذا العالم، وعارضوا بشدة استحداث العالم القادم والحياة بعد الموت والتي قبلها الفريسيون. وكانت ثقافة الشعب اليهودي في العصر الهلينستي تشكيلة من تيارات متصارعة تثري بإبداعاتها اليهودية بوصفها ثقافة، كما في عصرنا.

ولقد عرضت مجموعة إبداعات ذلك العصر الثقافي الثري والمتنوع تطور اليهودية الهلينية وإبداعاتها، وحركة الحسيديين الحشمونائيين والحرب الأهلية والثقافية التي قادوها ضد اليهودية الهلينية وضد الإكراه الديني الذى فرضه حكام الإمبراطورية السورية، والمملكة اليهودية الثالثة التي أقامها الحشمونائيون والتي استمرت حتى القرن الأول الميلادى، وواصلت فيها يهودية التوراة الشفهية التطور، كما عرضت الخلافات بين مؤسسة الحكم الديني الصدوقي وبين معارضيه الفريسيين، والخلافات بين الفرق والتيارات الأخرى في اليهودية، أسانيين، ومسيحيين، وفرق الصحراء وقنائيين، وتطور المعابد وإبداعات فن التصوير اليهودي الخاص بها، ومراكز الإبداع الكبيرة الخاصة باليهودية الهلينية – في مصر وفي ليبيا، وعرضت كذلك مراكز التعليم الكبيرة الخاصة بالإبداع التلمودي في

فلسطين وبابل، ومسيرة تكوين التناخ من الأسفار المقدسة التي عرفت في بداية العصر الهلينستي وحتى ابتكار مجموعة أسفار الكتاب المقدس التناخية قبل القرن الثاني الميلادي، وعملية تجميع وتحرير الإبداعات من التوراة الشفهية حتى اختتام المشنا في القرن الثاني بعد الدمار الذي وقع عقب فشل تمرد في الخارج وتمرد بركوخفا ضد الحكم الروماني.

ويمكن التعرف على ذلك العصر وفير الإبداعات في تاريخ ثقافة الشعب اليهودي، من خلال مجموعة مختارة من إبداعاته - من إبداعات متأخرة في التناخ، والمشنا والعهد الجديد، وتفاسير التنائيم ومناقشاتهم، وإبداعات فلسفة فيلون، وإبداعات علم التأريخ لفيلافيوس وإبداعات مؤلفي أسفار المكابيين، وأدب الأسفار الخارجية والتي لم تُضم إلى التناخ اليهودي وضُمت إلى الكتاب المقدس المسيحي، ومن لفائف البحر الميت، ومقطوعات شعرية وتفاسير ودراما وأشعار دينية، والأدب اليهودي اليوناني واليهودي الآرامي، وإبداعات الفن التشكيلي وقد ظلت بقايا منها في آثار معابد، ووصف أنماط الحياة، والشرائع، والأحكام ومناقشات تعرض تيارات الفكر والعقيدة المختلفة والمتناقضة.

بدأت في يهودية العصر الهلينستي تتسع حدة الفجوات بين يهودية منفتحة على ثقافة الغرب وبين يهودية منغلقة على نفسها، بين يهودية جامدة تقدس الشريعة المكتوبة فقط وبين يهودية إصلاحية فريسية أرادت ملائمتها مع ظروف الزمن المتغيرة، بين يهودية تمسكت بالعقيدة التناخية واقتصار الحياة على هذا العالم ووحدته وبين يهودية تؤمن بانقسام العالم ووجود الآخرة وحياة ما بعد الموت. وتوجد تلك الانقسامات في اليهودية المعاصرة أيضا ومن هنا فإن ما يميزها هو وجوب معرفة ثقافة الشعب في تلك الفترة برؤية معاصرة.

الخلاف بين المؤمنين باقتصار الحياة على هذا العالم وبين المؤمنين بالآخرة

آمن الصدوقيون ،مثل معظم أدباء ومحرري التناخ، بأن الموت هو نهاية الحياة وأن هذا العالم وحيد ولا يوجد غيره. ومثلما في عصرنا تصارع أيضا في العصر الهلينستي في اليهودية هذان المعتقدان – الإيمان باقتصار الحياة على هذا العالم وأن الموت هو نهاية الحياة، في مقابل الإيمان بالآخرة وبعث الموتى.

كان الإيمان ببعث الموتى في الآخرة تراث ثقافات ديانات الشرق الأوسط القديم (مصر، بلاد ما بين النهرين) وعلى ذلك اعتبرها أدباء التناخ تعبيرا عن الوثنية. ومع تأسيس ديانة توحيدية لتوراة موسى والتنازل عن العالم الآخر وعن الاعتقاد بأن الموت هو بداية حياة جديدة انفصل المؤمنون بها عن ثقافة الجيران. وكان ذلك إحدى السمات المميزة للديانة التوحيدية اليهودية القديمة والتي تتجلى في إبداعات تناخية.

ظهر تميز توراة موسى في تحرير التناخ وفي تحديد موقع جنة عدن في بداية التاريخ وليس في نهايته وكان الاعتقاد باقتصار الحياة على هذا العالم أيضا هو الأساس في مطالبة الأنبياء بالعدالة التي يجب أن تتحقق هنا و الآن، في العالم الوحيد الموجود. ويُقرب الإيمان باقتصار الحياة على هذا العالم الأدب التناخي إلى عقلية اليهود المتحررين من الديانة في عصرنا.

وعقب تدمير الهيكل ازداد القرائيون وأصبحوا أحد التيارات الكبيرة التي تصارعت مع اليهودية الربانية، وحاول القرائيون مواصلة طريق الصدوقيين بشأن كل ما يتعلق بالصلاحية الخاصة الممنوحة للشريعة الواردة في التوراة. وواصل اليهود الربانيون طريق حاخامات التوراة الشفهية في التفسير التجديدي متعدد الخيال، وفي التفاسير والشروح التي غيرت مغزى المكتوبات فصارت آراء وتشريعات جديدة في التلمود وفي الآداب التي استمرت على دربه. ويشكل التناقض

بين هذين الاتجاهين – المحافظ الساعي للجمود والإصلاحي الساعي للتطور – أساسا لحروب ثقافية في اليهودية منذ ذلك الحين وحتى الآن.

ويعد نهج الصدوقيين والقرائيين ،مثل نهج الحريديين في عصرنا، محكوم عليه بالفشل ذلك لأنه أدى ويؤدي إلى وقف تطور الثقافة اليهودية. ولقد حُكم على كل من حاول تجميد الشريعة وتعطيلها ،كل جماعة وتيار لم يشارك في حركات التطور والتغيير المستمرة في اليهودية بوصفها ثقافة، في التاريخ بالانحسار الكمي والجدب الروحاني. فاليوم يتبقى من القرائيين بعض عشرات آلاف فقط (في ليتوانيا، وفي شبه جزيرة كريم، وفي إسرائيل) ويشكل الحريديون ٥% فقط من الشعب اليهودي بعد أن كانوا يشكلون في القرن التاسع عشر الأغلبية.

أخطأ "طوفيوني" عندما رأى أن اليهودية بوصفها ثقافة مشلولة بجمودها، ونتج هذا عن قصور في حدود نظرته إلى اليهودية الدينية الحريدية الجامدة والتي تشكل عنصرا هامشيا في تطور ثقافة الشعب اليهودي في عصرنا.

الخلاف حول أساس اليهودية _ التناخ أم التلمود .

يعد الخلاف بين الذين يعتبرون التناخ أساسا لليهودية بوصفها ثقافة وبين الذين يعتبرون التلمود وأدبه أساسا لليهودية بوصفها ديانة هو جوهر كل الخلافات في النظرة إلى اليهودية المعاصرة.

يرى الذين ينظرون إلى اليهودية بوصفها ديانة أن أدب التفاسير والشروح منذ التوراة الشفهية مصدرا أساسيا وموضوعا رئيسيا لدراسة اليهودية كلها. ويرى الذين ينظرون إلى اليهودية بوصفها ثقافة الشعب اليهودي أن إبداعات الأدب الكلاسيكي الموجودة في التناخ أساس هذه الثقافة، التي انتسبت إليها كل الثقافات الأخرى، بما فيها أدب حاخامات التلمود.

يعتبر اليهود المتحررون من الديانة التشريعية أن التناخ الأساس المشترك الوحيد لكل تيارات اليهودية ومنطلق تطور اليهودية بتياراتها المختلفة، بما فيها التيار التلمودي. وتحوى كل الآداب اليهودية الأخرى إبداعات كثيرة مصدرها

التناخ: الأدب المعروض في الأسفار الخارجية، والأدب اليهودي الهيليني، والأدب المسيحي اليهودي وأدب التصوف والقبالاه والفلسفة اليهودية والشعر الديني والعلماني، والنثر والدراما، في فترة الهلينية وفي العصور الوسطى وفي عصر النهضة الأوربية وفي عصرنا.

لا يستطيع الذين ينظرون إلى اليهودية على أنها ثقافة تعددية ومتطورة الاتفاق مع الذين يؤمنون بأن التلمود هو مصدر اليهودية، وأسمى من كل الآداب اليهودية الأخرى لأنه يضم بين جنباته الحكمة كلها وكل المصادر المهمة لليهودية.

في العصر الحديث منذ التحرر وتسريع مسارات العلمنة لدى الشعب اليهودي تتطور بسرعة يهودية "غربية" تكشف عن انفتاح وتعمل على الاندماج في ثقافات الغرب. وتطورت مراكزها الكبيرة بداية من القرن التاسع عشر في شرق وغرب أوربا وفي أرض إسرائيل "فلسطين" والأمريكتين ، ولكنها تضم مثقفين كثيرين وأدباء يهود من الدول العربية والإسلامية. ونمت في كل تلك البلدان حركات محافظة – صدوقية وقرائية في رؤيتها للمكتوبات والتي أخذت في الانزواء عن ثقافات الشعوب وتنكرت ليهودية أغلبية الشعب التي واصلت التطور والاندماج في الثقافة الغربية في نهاية القرن العشرين.

ولقد نظرت تلك التيارات الجامدة إلى التلمود بالذات على أنه هو أساس تمسكهم بالقديم على الرغم من كونه أدب نقاشات مفتوحة تعرض خلافات، معظمها ليس له حل، وكونه أسلوبا بحثيا ونقاشيا يطور الشرائع ولا يجعلها جامدة. إنه أحد التناقضات الثقافية الكبيرة في اليهودية. وتتخذ اليهودية المحافظة من التلمود أساسا لها رغم أنه يعرض التعددية كمبدأ أساسي، والخلاف على أنه طريق إلى الحقيقة، والتغيير الدائم على أنه ضمان لاستمرار الثقافة اليهودية، والشريعة على أنها دائمة التطور. بينما ترى اليهودية المتحررة من الديانة التشريعية الثابتة أن التناخ هو أساس اليهودية، مع أن أدباءه ومحرريه آمنوا أن الفرد يستطيع التحدث باسم الإله

مدعيا بأنها أقوال إله حي لا ينبغي الاعتراض عليها أو إلغائها من خلال رأي الأغلبية.

كلما نقص المعسكر الحريدي وزاد حرصه على استمرار وجوده ، كلما زاد معدل اندماج اليهود في ثقافات الغرب، وتطور كذلك الإبداع والثقافة الإسرائيلية العلمانية القائمة على العبرية والتناخ ذلك الأدب الكلاسيكي للشعب اليهودي، وهكذا زادت الفجوة وتفاقم التناقض بين اليهودية والتي تتمركز كل الدراسات بها حول التلمود وأدبه وبين اليهودية التي ترى أن كل الآداب اليهودية هي إبداعات تمثل اليهودية.

تعدد الديانات والتصورات حول الإله في يهودية عصر التناخ

ساد لدى الشعب اليهودي في عصر التناخ المعتقد القائل "هذه وتلك أقوال الإله الحي" وهو يميز التعددية في ديانة العصر التناخي وثقافته. كما أنه لم يكن في عصر التناخ تطابق بين اليهودية بوصفها ثقافة واليهودية بوصفها ديانة. وتصف إبداعات التناخ وتعرض الثقافة اليهودية التي تصارعت فيها اتجاهات مختلفة داخل ديانة يهوا، وتصارعت ديانة يهوا، داخل اليهودية، مع ديانات آلهة أخرى عاشت بها بجانب ديانة يهوا.

وظهرت تناقضات محورية بين التيارات التي آمنت بخصوصية إله إسرائيل وبين تلك التي آمنت أيضا بآلهة حية ومفيدة. ووجه أنبياء يهوا هجومهم ضد جموع الشعب وضد مئات الناطقين باسم البلاط الملكي الإسرائيلي الذين عبدوا "بعل وعشتروت". ويدل استنكار تعدد الآلهة في يهودية عصر التناخ في خطاب الأنبياء على المعدلات الكبيرة لظاهرة الإيمان بتعدد الآلهة في اليهودية وفي التناخ – من سليمان الملك الذي يبني هياكل في القدس ليهوا ولآلهة الجيران، وحتى جموع الشعب؛ حيث كان الآباء اليهود يقدمون أبناءهم وبناتهم على مذابح المولوخ في القدس. واضطر أنبياء يهوا في فترات معينة (كما في فترة إلياهو) للاختباء في

مغارات لينقذوا أنفسهم أو النزوح خارج البلاد أو الهروب إلى الصحراء بسبب ملاحقات المملكة الإسرائيلية وتهديدها لحياتهم.

لقد لعبت ديانات بعل وعشتروت أدوارا رئيسية في حياة اليهود وإبداعاتهم وفي ثقافة الشعب- وأقاموا لهم التماثيل "على كل قمة عالية وتحت كل شجرة نضرة"- وفي شعائر دينية وفي هياكل الآلهة الكنعانية؛ حيث لعبت المضاجعات والفجور أيضا دورا في الشعائر الدينية (حتى في هيكل يهوا في القدس وضعت رسوم رباعية الشكل بها قداسة وفجور، ربما في الفترات التي وضعت بها تمثال أشيرا – أم الآلهة الكنعانية). وظهرت تماثيل صغيرة لعشتروت في منازل خاصة، كما صارت ديانة عشتروت وبعل الديانة الرسمية في مملكة الأسباط العشرة، في فترة الازدهار الاقتصادي والسياسي أثناء حكم آحاب، ويدل كل هذا على الدور المركزى الذي لعبته ديانات آلهة كنعان في عصر المقرا في اليهودية: أي في الحياة الثقافية للشعب اليهودي في فلسطين من بداية الاستيطان وحتى تدمير هياكل يهوا الثلاثة في بدان وبيت إيل والقدس.

ونجحت حروب أنبياء يهوا ضد التيارات الدينية المؤمنة بتعدد الآلهة في اليهودية أحيانا في التسبب في أعمال عنف ضد ممثلي تلك التيارات – مثل ذبح أنصار البعل، في الوقت الذي هزمهم إلياهو في منافسة سحر إشعال النار على المذابح التي بجوار المحرقة على جبل الكرمل. وانتصارات مؤقتة كتلك، مثل إخراج تماثيل وثنية من هيكل القدس، وتحطيم تمثال أشيرا الذي نصب به، وسحق حزقياهو تمثال الثعبان الذي يشفي المرض "والذي صنعه موسى"، لم تقلل من الديانات المتنوعة التي وجدت في اليهودية في عصر التناخ. واضطر إلياهو، الذي لم يجرؤ على مهاجمة أنصار عشتروت، بعد انتصاره المؤقت على أنصار البعل، للهروب إلى الصحراء خوفا من انتقام حاشية الملك الإسرائيلي. واتضح له في عزلته أن الإله ليس في الضوضاء ولا في الرياح بل في صوت السكون الدقيق. وعاد تمثال أشيرا، الذي أبعد عن الهيكل في القدس، وتم وضعه به بعد عدة سنوات

من محاولة إخراجه من هناك، ووفقا لآخر حسابات نجد أن أشيرا قد استقرت في هيكل يهوا بالقدس حوالي ثلثي فترة وجوده. وربما لهذا السبب اعتقد الرسام الشعبي الذي رسم يهوا وأشيرا على الفخار الذي اكتشف في النقب أن أم الآلهة الكنعانية أشيرا هى زوجة يهوا.

حتى في الأيام الأخيرة لوجود الهيكل بالقدس، يقول إرميا، استمر اليهود في تقديم أبنائهم وبناتهم إلى مولوخ على المذابح التي أقيمت في وادٍ أسفل جبل الهيكل، نتيجة إيمانهم على ما يبدو بأنه هو أيضا، مثل كل الآلهة الأخرى، يرغب في قرابين غالية ومحببة لدى الذين يقدمون القرابين لكي يظهر لهم نعمه.

يعزز مؤرخو التناخ– مبدعو ومحررو سفر القضاة وأسفار الملوك – رأي الأنبياء بأن غالبية الشعب اليهودي عبدوا الآلهة الكنعانية بجانب أو بدلا من عبادة يهوا إله بني إسرائيل. إلا أن الأنبياء والمؤرخين أيضا ومحرري أسفار التناخ قد استنكروا ظاهرة الإيمان بتعدد الآلهة في اليهودية بوصفها أحد عوامل الكوارث المحيطة بالشعب اليهودي، ولقد أثبتوا أن الإيمان بتعدد الآلهة ظاهرة سائدة في الثقافة اليهودية، استحدث فيها التوحيد وتطور، وانتشر عبر الزمن أيضا بين شعوب أخرى.

انتصار عجل الذهب – رمز التعددية في ديانة يهوا

عقب الحرب الأهلية القصيرة عند سفح جبل سيناء، والتي قتل فيها آلاف من عبدة تمثال العجل بقيادة هارون– الكاهن الأكبر والأول – حُطم تمثال العجل وتحول إلى فتات. وبعد مرور بضعة قرون تم تنصيبه مرة أخرى على يد يربعام الذي أصبح ملكا على غالبية الشعب الإسرائيلي، في المملكة الشمالية والتي تركز بها عشرة من الأسباط الاثني عشر تكون منهم الشعب. وأعلن الملك اليهودي أن تمثال العجل الذهبي هو إله إسرائيل الذي أخرج الشعب من مصر، على غرار ما قاله هارون بتدشينه تمثال العجل الأول. ويتضح انتصار عبادة يهوا كعجل ذهبي للجميع وهى موثقة في كتب الشعب اليهودي المقدسة .

ويميز تاريخ تمثال العجل ثقافة الشعب اليهودي بوصفها ثقافة متطورة ومؤمنة بالتعددية في كل عصورها. واتضح في الديانة اليهودية تعدد التصورات حول يهوا إله إسرائيل الذي أخرجهم من مصر. والإيمان بأسطورة التحرير الكبيرة، والخاصة بشعب من العبيد أصبح حرا، هو اعتقاد مشترك بين كل فئات الشعب اليهودي- عبدة العجل ومعارضيهم، عبدة الإله المتمسكين بالديانة التشريعية والمتحررين من الديانة. ويتطابق الإيمان بتراث تاريخي مشترك مع معتقدات مختلفة ومتناقضة في اليهودية القديمة، كما في اليهودية المعاصرة. وصاحب الإيمان المشترك بتراث تاريخي في التاريخ اليهودي مجموعة معتقدات تتعلق بسمات الإله المحرر والخالق والمراقب والمثيب والمعاقب، أو هذا الموجود فقط بوصفه بطلا أدبيا.

ولقد حفظت الاختلافات بين تيارات العقيدة والشعائر في العصر القديم وخزنت في الذاكرة الجماعية بوصفها سمات مميزة لليهودية من بداية تاريخ شعب إسرائيل. ويُعرف إله موسى على يد الأدباء الذين يشكلون تأريخ حياته، على أنه كيان يشكل كل ما سيكون المستقبل- والذي يقول عن نفسه "أكون الذي أكون" بمعنى "أكون ما أكون". ويطابق كيان كهذا، ذي قوى مستقبلية كامنة، المُحرك الذي لا يُحرك كما يصفه الفلاسفة الذين ساروا على إثر قول أرسطو، ولا يمكن تجسيده في تمثال أو في قناع كالآلهة الأخرى. ويعد تجسيد يهوا في شكل تمثال أو في قناع يشوّه ماهية الإله، وقد أدرك موسى ذلك، وفقا لرأي الأدباء الذين صوروه في إبداعهم.

ويعلم هارون، كما في الحوار الذي في الفصل الثاني بالنص الأوبرالي "أوبراشتنبرج"، أن الشعب غير مستعد لعبادة إله مجرد من كل شكل ولذلك فهو يشجع المؤمنين بالتبرع بالذهب لصنع عجل إلها لهم، واعتبره كثيرون أنه الإله نفسه، وصدقوا كلام الكاهن بأن هذا،- الإله التمثال- هو الإله الذي حررهم من عبوديتهم وأخرجهم من مصر.

خرج موسى بعد انتصاره في صراع ضد العجل الأول من مضرب بني إسرائيل وأقام مركزا بديلا للقاء مع إلهه. وفي خيمة الاجتماع، التي هي خيمة التعرف على روح الإله لا تقدم قرابين، ولا يوجد كهنة ولا تماثيل، يوجد بها فقط مكان التعارف الوحيد مع إلهه الذي يشغل حيز المكان كله.

أقام بني إسرائيل في مركز المعسكر هيكلا، وكذلك مذبحا جديدا يقدم عليه الكهنة قرابين ليهوا وبذلك يواصلون النهج الوثني الذي كان متبعا في كل هياكل عبادة الأوثان، (كما أوضح موسى بن ميمون). وينصب في قدس أقداس خيمة الاجتماع التي أقامها بنو إسرائيل لإلههم مرة أخرى تماثيل، ليس عجلا بل تماثيل كروفيم تشبه على ما يبدو كاريبو بلاد ما بين النهرين، لها وجه إنسان وجناح ضخم لطائر أسطوري، ولقد ظهرت تماثيل أيضا في قدس أقداس الهيكل الأول والثاني بالقدس وقد اعتبرها فيلون السكندري عرضا للماهية المضاعفة للإله- الماهية الذكرية والأنثوية له، الحكمة والعدل، العقاب والثواب. كما نُصب أيضا في هيكل القدس اثنا عشر تمثال عجل ذهبي في مدخل الهيكل تحمل على ظهورها إناءً نحاسيًا. ولا توجد إشارة لذلك؛ حيث إنها قد مثلت إله إسرائيل إلا أنها على ما يبدو ذكرت الكثيرين بتمثال العجل الإلهي الذي نصب في بيت إيل.

لقد انتصر العجل في هياكل يهوا بمملكة أغلبية الشعب اليهودي على معارضيه، وكان على ما يبدو في نظر مبجليه رمز القوة والفخر لإله إسرائيل، والذي أيضا إذا ما سحقوه وحطموه، يعود ليكون هو موضوع العقيدة والشعائر الدينية للمؤمنين بإله هذا الشعب.

منذ ذلك الحين وحتى اليوم تنقسم الديانة في اليهودية إلى تيارات كثيرة لها تصورات مختلفة عن بعضها البعض حول الإله. فيرى مؤلفو كتاب "شعور قوما" (قامة مديدة) (على ما يبدو في عصر التلمود) أن الإله عملاق أضخم من الكون ويمكن تحديد مقاسات منخاريه وأصابعه، ويرى موسى بن ميمون أن كل من يجسد الإله في شكل إنسان هو كافر بالله، وأن عقيدته مناقضة للعقيدة والديانة اليهودية.

ويرى مؤلفو كتب "هيخلوت فهمرخفا" (الهياكل والمركبة) الإله على أنه ملك يجلس على عرشه محاطا بآلاف الملائكة وله وزراء من الملائكة، وهو أمر جدير بملك ملوك العالم. ويرى السائرون على إثر موسى بن ميمون أنه مجرد ليس فقط من كل محسوس بل أيضا من كل تصور يستطيع الإدراك البشري تصوره. ورأى المفكرون المتصوفون في العصور الوسطى الإله على أنه كيان يملأ كل الوجود، كيان انحسر ليبقى حيز يُخلق به العالم، ورآه آخرون أنه يضاجع الشخيناه وليليت، ورأى رجل متدين مثل سبينوزا أن الإله يتطابق مع الطبيعة والوجود فهما إلهان من نفس طبيعته.

تلك التناقضات الأساسية في التصور حول الإله في اليهودية هي من رموز التعددية التي هيمنت عليها منذ فترة تأسيسها في موقف جبل سيناء وفي كل مراحل تطورها حتى عصرنا.

منْ ينظر إلى اليهودية على أنها ثقافة يعرف أن كل التيارات التي في ديانتها مدرجة في ديانة اليهودية وتلعب دورا في تطور ثقافة الشعب وفي حياة اليهود المؤمنين بأحد المعتقدات الكثيرة والمتصارعة والفاعلة بها- الدينية والعلمانية على حد سواء.

ثقافة القرابين تعبير عن خوف المؤمنين بإله خاص

كان تقديم القرابين لإرضاء الإله أو لإطعامه أساس الحياة الدينية في ثقافة بني إسرائيل التناخية كما في ثقافات جيرانهم. وتعبر ديانة القرابين عن إيمان بقدرة الإله على الإيذاء والإيمان بضرورة وإمكانية منع شره عن طريق تزويده بقرابين حية. وكانت طقوس القربان وذبح البشر أو الحيوانات مشتركة مع الشعائر الدينية لآلهة كثيرة في كل القارات.

لماذا استمر بنو إسرائيل في تقديم قرابين إلى يهوا حتى بعد أن انتشرت بينهم توراة موسى، والتي بناء عليها أصبح الإله مجردا ولا يتغذى ولا يحتاج إلى قرابين؟ وطبقا لرأي موسى بن ميمون يمكن تفسير هذه الظاهرة الغريبة بأن بني

إسرائيل كانوا يعبدون الأوثان قبل أن يعرفوا توراة موسى وكانوا معتادين على تقديم قرابين حتى امتنعوا عن هذا بالتدريج على مدار قرون كثيرة؛ حيث إن البشر لا يستطيعون التوقف عما اعتادوا عليه مرة واحدة. وهذا التفسير العقلاني للتطور التاريخي للانقطاع عن عادة دينية عديمة المغزى من وجهة نظر المؤمنين بإله مجرد كما في توراة موسى يلقي على كل العادات الدينية والتقليدية ضوءًا جديدًا. فنجد أن كثيرا منها عديم القيمة والمغزى من ناحية عقيدة الذين يتصرفون وفقا لها، لكنهم يواصلون الاحتفاظ بها من منطلق التعود، لأن هذه هي طبيعة الإنسان. فإذا ما عُرض على الذين يقدمون القرابين ليهوا التوقف عن هذه العادة؛ حيث إنه ليس لهذا الأمر أي دلالة أو دور في العلاقة بين الإنسان وإله الكون، كانوا سيتعجبون من هذا الطلب. وبماذا يشبه ذلك الأمر؟ يسأل موسى بن ميمون ويجيب: "إنه يشبه بمن يأتي إلينا ويقترح علينا فجأة التوقف عن الصلاة أو التوقف عن الحفاظ على الفرائض".

ولقد أربك ذلك التفسير التاريخي النفسي الذي عرضه موسى بن ميمون حول عادة القرابين يهودا متدينين كثيرين؛ حيث فُهم منه أن عادات الشعائر الدينية كالفرائض والصلوات ليست إلا عادة تقليدية احتفظ بها الناس من منطلق تعود ومن المحتمل الإقلاع عنها عبر الزمن، لأنها حقا أيضا ليست لها دلالة في نظر إله مجرد من كل محسوس أو تصور. كما رأى آخرون في هذا التفسير كفرا بينا مثل أفكار موسى بن ميمون الأخرى الخطيرة.

وتدل قصة الذبيح، وهي إحدى القصص العظيمة والمروعة في الأدب اليهودي، على الاستعداد النفسى (أو الذاكرة الجماعية أنه كان في الماضي استعداد كهذا) من الآباء اليهود المتدينين للتضحية ليس فقط بالحيوانات المنزلية بل أيضا بأبنائهم لإلههم، ليس فقط في ديانة مولوخ بل أيضا في ديانة يهوا، ويعبر هذا المعتقد الديني عن خوف من الآلهة ومن أفعالهم وانتقامهم غير المتوقع. ولقد آمنوا أن السلطة دائما في يد الآلهة فهي تفعل كل ما يحلو لها، ويستطيع الإنسان الدفاع عن نفسه وعن مصيره- مثل قربان التعسف الإلهي - عن طريق تقديم قربان

يرضى به إلهه، فيعد القربان أحد التعابير الانفعالية عن الإيمان بـالعجز البشـري الذي يوجه محاولات الإنسان للصراع مع المجهول.

وتحررت اليهودية من ثقافات القرابين عقب الثورة الدينية والثقافيـة التـي حدثت في الانتقال من الهيكل إلى المعابد، ومن مراكز الذبح التي في بيوت الآلهـة إلى مراكز الطائفة الإنسانية المخصصة للاجتماع الجمـاعي وللاحتفـال والـتعلم والصلاة. وانتشرت هذه الثورة الثقافية في العالم عن طريـق مؤسسـات مشـابهة للمعابد والتي انتشرت عن طريق الديانات التوحيدية التي تـأثرت وانبثقـت عـن اليهودية.

المعبد تجديد ثوري في تاريخ اليهودية

لقد حدث في المعبد تحول جذري؛ حيث ألغيت القرابين في مركز الاجتماع والذي لم يعد بيتا للإله. وأقيمت المعابد على ما يبدو لأول مرة في الشتات الشرقي (بابل) والغربي (مصر) عقب تدمير هياكل يهوا. وأدت المعابد كمراكـز اجتمـاع جماعية إلى انقلاب ثقافي في تاريخ اليهودية وفي ثقافات شعوب كثيرة قد تـأثرت بها.

والمعبد هو نقيض للهيكل في كثير من النواحي؛ فالهيكل هو بيت الإله أمـا المعبد فهو مركز اجتماع للبشر. والهيكل هو مكان طقوس القرابين، أما المعبد فهو مركز جماعي للدراسة والتعلم وقراءة الكتب المقدسة والتفاسير، والمحاكمة، ومكتبة عامة ومدرسة، ومركز لمؤسسات الطائفة، ومكان للقاء في الأعياد ومراسم مواقيت دورة الحياة، ومكان للصلاة الفردية والجماعية. وكان المعبد عاملا فعالا في تأسيس وتنظيم الطائفة وتماسكها والتي احتلت مكان السبط. وبعد تدمير المركز الرسـمي والدينى عجلت المعابد من مسارات اللامركزية والتعددية في اليهوديـة. وعملـت طوائف يهودية مستقلة على تطوير سمات خاصة بها وارتبطت بثقافة البلـد الـذي تعيش فيه، وطورت إبداعات أصيلة وتقاليد خاصة بالطائفة أو بمجموعة الطوائـف التي ابتكرت تيارا جديدا في اليهودية (مثل الحسيدية).

وبفضل جموع المعابد استمرت اليهودية وديانتها فى التواجد والتطور. وفي غياب دولة يهودية ارتبط وجود اليهودية بوصفها ثقافة بوجود جموع من المعابد. وفي الأماكن التي انهارت فيها جموع كتلك، تلاشت بالتدريج اليهودية وديانتها، كما في الهجرات الأولى إلى أمريكا.

وعقب تدمير الهيكل الثاني بدأت مؤسسة المعبد في الظهور في كل البلدان التي عاش بها يهود أو نصارى. وعندما تحولت الديانة المسيحية إلى ديانة رسمية للإمبراطورية الرومانية احتلت المعابد أيضا مكانة الهياكل المركزية في العالم الوثني كما استمر الإسلام الذي تأثر باليهودية والمسيحية[٣٠]، في نشر مؤسسة المعبد (المسجد) بين كل جماعات المؤمنين به شرقا وغربا.

تدل بقايا المعابد اليهودية التي ترجع إلى القرن الثالث قبل الميلاد في مصر على أنه في بداية العصر الهلينستي أقيمت مراكز جماعية كتلك التي في اليهودية والتي تتحدث اليونانية. وخلق المعبد وعادات التعلم وقراءة التوراة عند الجمهور الحاجة إلى ترجمة التوراة إلى اليونانية لكي يستطيع الجمهور فهم ما يقرأ. واستخدمت بشكل مماثل ترجمات التوراة إلى الآرامية للمترددين على معابد بلاد ما بين النهرين وفي فلسطين.

تطور في المعابد الفن التشكيلي (فصوص الفسيفساء ، ورسم صور الألوان على الجبس)، ونظام التعليم اليهودي للكبار والأطفال وعادات قراءة الأدب الكلاسيكي اليهودي وفن الوعظ الذي صاحبه وعادات التعلم والتفسير الإبداعي والذي في إطاره ابتكرت آداب التأويل، واجتماعات إقليمية لنقاش الشريعة ودراستها ومدارس دينية لتعليم التلاميذ واجتماعات موسمية للمحترفين في شهر آذار وأيلول.(حيث يجتمع الحاخامات لدراسة التوراة وشرحها).

وبالتدريج تطورت في المعابد ثقافة الصلاة وأدبها والتي جاءت عوضا عن عبادة الإله في طقوس القرابين القديمة. ولقد واصلت، أيضا في فترة الهيكل الثاني في مقابل مراسم تقديم القرابين في الهيكل الثاني بالقدس، المعابد التطور كنهج

خياري في ثقافة الديانة اليهودية. ولقد أقيم على جبل الهيكل نفسه معبد مجاور للهيكل تم عمله بنشاط.

ولقد قدم إبداع الفن التشكيلي والتصويري أيضا تفسيرا خاصا به للقصص والأساطير والأسفار المقدسة (انظر "جودناو" على رسوم معبد دورا أوروفوس). واحتلت الصلاة والأدعية مكان القرابين في الأعياد القومية الدينية وفي المناسبات الشخصية، ولم تعد عبادة الإله مرتبطة بذبح أو بإنهاء حياة إنسان أو حيوان.

عندما انفصلت المسيحية عن اليهودية استمرت فيها ثقافة الصلاة والمعابد لكنها ضمت في طقوسها بقايا شعائر ترمز إلى القربان البشري: أكل اللحم كرمز لابن الإله وشرب الدم رمزًا لتضحيته. أما في اليهودية فلا يوجد تقريبا بقايا لشعائر القربان باستثناء دراسة وبحث المبادئ والقوانين التي وجهت مقدمي القرابين في الهيكل (وعادة تقديم دجاج وديوك عشية يوم الغفران).

كثرت معابد اليهود مع ازدياد التشتت اليهودي في القارات المختلفة وبين شعوب لها ثقافات مختلفة وغريبة عن بعضها البعض. ولعبت المعابد في كل بلدان الشتات أدوارا متشابهة– سواء بوصفها مراكز جماعية متعددة الأدوار أو بوصفها مراكز للديانة وللشعائر الدينية ولتعليم الشريعة ومناقشتها. وشجعت كثرة المعابد ووهن العلاقة بينها على تطور التيارات المختلفة في اليهودية وإيجاد صيغ مختلفة للصلاة وتفاسير مختلفة للكتب المقدسة والشريعة، واختلاق عادات مختلفة للأعياد، والزواج والحداد. وساعدت مؤسسة المعبد بهذه الطريقة في تنمية التعددية في اليهودية بوصفها ثقافة وبوصفها ديانة. وانتمت مجموعة المعابد في نفس البلد عبر الزمن إلى قطاعات وتيارات مختلفة في اليهودية– مثل معابد إشكنازية وسفاردية في غرب أوربا وإيطاليا، معابد الحسيديين والمعارضين لهم بشرق أوربا وفي فلسطين ومعابد أرثوذكس وإصلاحيين في كل البلدان في عصرنا.

وأحيانا يوجد اختلاف كبير بين عادات معبد وآخر حتى وإن كانا موجودين في نفس الشارع؛ حيث نجد في معبد "يشورون" الخاص بالمحافظين، والذي يقع في

شارع ٨٦ "بنات ويست أند" في نيويورك تجري صلاة ليلة السبت، مثلا، وسط غناء ورقص الرجال والنساء والأطفال وعلى أنغام البيانو وغناء الجمهور ويديرها حاخامات منشدون، وعلى مسافة دقائق معدودة تدار في نفس الوقت صلاة ليلة السبت في معبد توجد فيه النساء خلف حاجز عالٍ لكي لا يظهرن، وتجرى الصلاة عن طريق يهود الغرب الأرثوذكس بدون أدوات عزف وبلا غناء أو رقص ويتلو النصوص ذوو المناصب وليس كل الجمهور.

ومراسم استقبال السبت، مثل كل مراسم الأعياد في كل أنواع المعابد الدينية – الإصلاحية والمحافظة والأرثوذكسية لا تشبه مطلقا مراسم الأعياد واستقبال السبت في المعابد العلمانية في ديترويت أو في شيكاغو والتي تديرها لجنة طقوس الطائفة بمشاركة الحاخام العلماني أو تلاميذ مدرسة الربانيين العلمانيين التابعين لتيار اليهودية العلمانية الإنسانية في الولايات المتحدة، ولا يوجد في طقوسهم الثرية والمتنوعة ذكر لصلاة أو دعاء للإله وعوضا عن ذلك نجد غناء وحوارا حول العيد ومغزاه للأفراد المتحررين من الديانة وحول الملزم من القيم الإنسانية التي يؤمنون بها، وحول التراث والعرف والأدوار التي أدوها ويؤدونها في ثقافة الشعب اليهودي.

إن المعابد الطائفية ونشاطاتها الدينية وغير الدينية، والهندسة المعمارية المميزة لها، والإبداعات الفنية التي ابتكرت بها، والوثائق التي جمعت بها، والعادات والتقاليد الخاصة بها قد أدت دورًا في تطور اليهودية بوصفها ثقافة تؤمن بالتعددية منذ تأسيسها وحتى اليوم.

تواصل المعابد الطائفية، في كل التجمعات اليهودية في العالم، العمل حتى في عصرنا – ومعظمها كالمعابد الدينية التى تعمل طبقا لصيغة أحد التيارات في الديانة اليهودية.

وتدل التجربة الكبيرة التي جمعتها اليهودية بتفعيل معابد كمراكز جماعية ثقافية على التواصل والتواجد، وعلى نشاطها وضمها أطرا ثابتة للنشاط الروحاني

والتعليمي والتثقيفي؛ حيث طقوس أعياد في مواعيد ثابتة يديرها معلمون ذوو ثقافة يهودية وثقافة الشعوب ولديهم موهبة وقدرة على النشاط الطائفي. تجربة مارتن بوبر لإقامة مدرسة لمعلمي الشعب، مثل محاولات الحركة العلمانية الإنسانية في الولايات المتحدة لتأهيل مرشدين ومعلمين لعشرات الجماعات، يرغبون في التعامل مع الاحتياجات الروحانية والجماعية لغالبية البشر، احتياجات لا يمكن توفيرها بدون أطر النشاط الطائفي مثل المعابد التي طورتها اليهودية.

تأثير ثقافات الشعوب على اليهودية وإسهاماتها في ثقافتهم

تتضح تأثيرات ثقافات الشعوب على الإبداع والديانة والثقافة اليهودية في كل عصور التاريخية. وتبرز في تطور الثقافة والإبداع اليهودي تأثيرات ثقافة بلاد ما بين النهرين ومصر وكنعان واليونان والمسلمين والمسيحيين، وبداية من القرن الثامن عشر تظهر تأثيرات الثقافات الأوربية والأمريكية المتحررة من الديانة.

وتبرز أيضا تأثيرات إبداعات وثقافات أخرى أيضا في إبداعات أصيلة ومتميزة ألفت في اليهودية، كما في كل الإبداعات الأصيلة التي في كل الثقافات. وعلى نقيض اتجاهات كثيرة من مدرسة نقد المقرا والتي أكدت التشابه بين المواد السردية لأساطير الشرق الأوسط بتلك التي في التناخ، ويبرز في عصرنا الاختلاف بين الإبداعات اليهودية الأصيلة وبين تلك التي أثرت فيها. وعلى خلفية معرفتنا بأساطير بلاد ما بين النهرين القديمة الخاصة بالخلق وجنة عدن تبرز أصالة قصة الخطيئة الأولى للإله يهوا الذي يحرم المعرفة والحكمة، وقصة التمرد وانتصار المرأة على خالق العالم، بمنحها البشرية المعرفة والحكمة رغم غضب الإله، وهي تشبه برومثاوس التي تمنح البشر النار رغم تحريم زيوس هذا.

لا توجد إبداعات في أي ثقافة قومية لم تتأثر بثقافات قومية أخرى، وعلى ذلك تتحول كل دراسة حول إجمالي إبداعات ثقافة شعب ما إلى دراسة صلاته وعلاقاته الثقافية مع ثقافات شعوب أخرى تأثرت بها أو أثرت فيها.

ويكشف دمج كهذا بين دراسة اليهودية وبين دراسة ثقافات الشعوب الأخرى أيضا العلاقة بين تأثير اليهودية - عن طريق المسيحية والإسلام - على ثقافات الشعوب الأخرى في مجالات الديانة والفكر والآداب والفنون والمجتمع والطائفة، والمعابد وراحة السبت والأعياد والعلاقات بين الدين والدولة.

ولقد وُسمت أشكال الاحتفال التي تشبه حفلة سمر في أشكال احتفال أصيلة كما في احتفال ليلة عيد الفصح الذي تبلور في العصر الهلينستي وضمّ تأثيرات واضحة لشكل الحفلة مثل جلوس المحتفلين حول مائدة، وأربع كؤوس والمزج بين الطعام والشراب والحديث والقراءة.

وميزت أشكال الحوار المفتوح، والقضايا والمشكلات التي تفتح كل تلخيص وفرضية، النتاج التلمودي وتأثرت أيضا بثقافة الحوار اليوناني والمعروف لنا من خلال كتابات أفلاطون. ولقد طورت إبداعات الحوار الأصيلة في التلمود الشريعة اليهودية، وخلقت أدب حوار وثقافة وضمت تفاسير وقصصًا وجنوحًا عن موضوع النقاش، وهي من عناصر الإبداع الكبيرة التي تمثل ثقافة الشعب اليهودي في العصر الهلينستي. ولقد أثرتها تأثيرات ثقافة اليونان دون أن تقلل من أصالتها.

ويبرز تأثير الفن اليوناني على الفن الذي تطور بالمعابد - في فصوص الفسيفساء وفي رسم الصور الملونة على الجبس والتي سادت وأسست نهجًا للفن اليهودي قد شرحه "سسل روث" و "بتسلال نركيس" بالتفصيل. وكانت تلك الإبداعات من المراحل الأولى، ومن مصادر الإلهام لفن الكنائس القديمة، ومنها تطور فن الرسم المسيحي في العصور الوسطى.

ولقد أثرت مبادئ الديمقراطية وترجيح رأي الأغلبية، والتي كان اليونانيون أول من أسسها وأرساها، أيضا تأثيرا حاسما على اليهودية. وفي الوقت الذي آمن كثيرون في عصر المقرا أن هناك أناسًا يتحدثون باسم الإله وهم مصدر الحكم الفعال والوحيد آمن حاخامات التلمود أنه لم يعد إنسان يستطيع الحديث باسم الإله؛ وعلى ذلك فإن البشر في نقاشاتهم وآرائهم الديمقراطية هم الوحيدون الذين

يستطيعون أن يقرروا التغيير في الشريعة والقوانين. وشجعت تلك المبادئ الديمقراطية التعددية في اليهودية بتياراتها واختير في طوائف كثيرة زعماء الطائفة، واختارت الطائفة قادتها واستطاعت عزلهم.

وتحدد طوائف دينية في تيارات يهودية كثيرة صيغ صلاتها والتغيرات التي تطلب إدخالها على الشرائع والتي يتصرفون طبقا لها، وذلك من خلال لجان منتخبة.

كما تبرز تأثيرات أساطير شرقية قديمة – سومرية، كنعانية، هندية – في تطور الميثولوجيا الصوفية اليهودية، وفي تشكيل الإلهات والقصص التي تشترك بها، كما أوضح "فتاي". وظهرت تأثيرات هندية على القبالاه، قد اكتشفها "شولم"، لكن كلما اتسع البحث في الميثولوجيا القبالية كلما ظهرت الجوانب المتشابهة بين سمات الإلهات اليهوديات – الشخيناه وليليت – وبين إلهات الهند وعلاقاتها مع البشر والآلهة الذكور. وهنا أيضا تشكل التأثيرات الأجنبية مصدر إلهام لإبداع يهودي أصيل – مثل كتاب "الزوهر"(٣١)، الإبداع الكبير(أكثر من مليون كلمة) والذي يحتوي بداخله فصول ميثولوجيا جديدة في اليهودية، فصول قد أثرت في تطور اليهودية الدينية ووقفت معارضة بشدة للاتجاهات العقلانية التي تطورت في مقابل هذه الثقافة.

وتزداد منذ عصر النهضة الأوربية والتنوير اليهودي وحتى وقتنا هذا تأثيرات ثقافات الشعوب الغربية على اليهودية وتأثيرات مبدعين يهود على ثقافات شعوب الغرب. ويلعب اليهود في القرن التاسع عشر والقرن العشرين أدوارا رئيسية في الإبداع الثقافي الغربي – بأوربا وأمريكا. وتكشف إبداعاتهم وإبداعات أدباء أوربا الكبيرة(مثل جويس وفروست) عن إندماج اليهود في تلك الشعوب وثقافاتها ومجتمعاتها، ومدى تميز اليهود وتفردهم.

ولقد تطورت اليهودية تطورا سريعا ومتعدد الوجوه في كل الفترات التي كانت فيها اليهودية منفتحة على تأثيرات ثقافات الشعوب – منذ فترة المقرا وحتى

القرن العشرين مع توقفات قصيرة في تاريخها، عندما تغلبت اتجاهات الانغلاق أمام تأثيرات كتلك على اتجاهات الانفتاح، وتوقف تطور الإبداع اليهودي وثقافته كما في مجالات اليهودية الحريدية.

التناخ والتوحيد والسبت والمعبد: إسهامات اليهودية في ثقافات الشعوب

انتشرت معتقدات وأفكار التوحيد اليهودي في العصر الهلينستي وفي الإمبراطورية الرومانية بين شعوب كثيرة ظهرت فيها جماعة "أتقياء يهوا" والتي لم تنضم إلى الديانة اليهودية ولم تتمسك بفرائضها الكثيرة، ولكنها آمنت بوحدانية إله إسرائيل. وكانت تلك الجماعة جزءا من الجمهور الذي توجه إليه اليهود المسيحيين المتجولين مثل "بولس"، والتي اقترحت ديانة مشابهة لليهودية دون التزام بالحفاظ على فرائض الشريعة.

ومع انفصال المسيحية اليهودية عن اليهودية وتحولها إلى ديانة رسمية للدولة الرومانية ازداد تأثير المؤسسات اليهودية، عن طريق المسيحية، وبعد ذلك عن طريق الإسلام.

وتبرز تأثيرات اليهودية تلك في إبداعات خاصة قد تطورت بها واحتضنتها شعوب كثيرة في كل القارات: عقائد توحيدية وإبداعات أدبية وفكرية يهودية من العصر التناخي والهلينستي، والعهد الجديد، وبعض من أعياد بني إسرائيل والتي اتخذت شكلا ومضمونا جديدين، ومؤسسة السبت وتأثيرها على تنظيم الزمن الإنساني، والمعبد وتأثيره على تنظيم المجتمع في جماعات ثقافية بين شعوب الغرب.وانضمت إبداعات التناخ العبري إلى إبداعات كلاسيكية في تراث ثقافة شعوب كثيرة، وكانت مصدر إلهام لإبداعات أدبية وفنية ودينية وسلوكية في تلك الشعوب.

لقد انتشرت أسس التوحيد الأخلاقي كتصور نُسب إلى موسى وطبقا له فإن الإله هو واحد ومجرد ويطالب بالعدل، وأحد الأبطال الرئيسيين في أسطورة تحرير العبيد بقيادته. ويرى الأنبياء توراة موسى هي توراة الصدق والعدل، وطبقا لها

يجب تفضيل العدل الاجتماعي على فرائض الشعائر الدينية. ويلخص هليل "التوراة كلها" في أنها قيمة سامية لمبادئ أخلاقية إنسانية؛ حيث مبدأ "ما تبغضه لا تفعله لغيرك".

وكانت وحدة العالم الإلهي في كيان خالق يطالب بالعدل، فكرة سائدة في كل ثقافات الشعوب التي قبلت أفكار التوحيد اليهودي عن طريق المسيحية والإسلام. وتطور التوحيد اليهودي في كل واحدة من تلك الديانات في صورة مميزة لها وتيارات قد تطورت بها لكن مع هذا فقد حُفظ المبدأ المشترك لوحدة الإله ومبادئ العدل الاجتماعي المنشودة من خلاله.

كان يوم السبت تجديدا غير مسبوق في النظرة إلى الزمن وتقسيمه طبقا لاحتياج الإنسان وشرائع المساواة الخاصة به – شرائع الراحة التي تسري بمعيار متساو على الرجال والنساء، وعلى الآباء والأبناء، والسادة والعبيد والإماء (بما فيها المبادئ الإنسانية التي تلزم منح راحة حتى لحيوانات المنزل).

وغيَّر السبت كيوم راحة وفراغ من الأعمال وواجبات الأشغال، النظرة الإنسانية للزمن، فلم يعد زمن الآلهة والطبيعة والتي تتجلى دورته فقط في فصول السنة وحركات الأجرام السماوية ودورة حياة الآلهة وموتها، بل في زمن الإنسان، وتبدأ وحدة الزمن من وقت الأسبوع الإنساني إلي أن ينتهي بيوم مخصص للراحة وللثقافة وللفراغ وتوقف كل أفراد المجتمع عن العمل.

وفي أجزاء معينة من اليهودية شوّه مفهوم السبت بسبب تراكم محرمات على نشاطات مختلفة ومتغيرة والتي تحبس الممتثلين لها في مكان ضيق داخل بلد أو حي، وتمنعهم من معظم النشاطات التي تتيح الاستفادة من وقت الفراغ والنشاطات الثقافية. ولا تضر تلك التحريمات بسبت أغلبية اليهود في عصرنا وبمليارات الناس في العالم الذين تبنوا مبدأ السبت وحولوه إلى جزء من ثقافتهم. ويحتفل الناس في معظم الشعوب والبلدان في العالم بيوم السبت كيوم مخصص للفراغ، وفي الآونة الأخيرة مدوه في الغرب إلى يومين في الأسبوع.

ويعد المعبد الذي جاء، كما أسلفنا، عوضاعن الهيكل ويمثل التوقف عن شعائر القرابين هو أيضا تجديدا غير مسبوق في ثقافة الشعوب. وتأتى مؤسسة المعبد اليهودي، التي انتشرت كمركز اجتماع لأهداف جماعية متنوعة لدى كل الشعوب الواقعة في دائرة تأثير ديانات التوحيد، عوضا عن الهياكل بأنواعها والتي شكلت بؤر الثقافة في كل المناطق التي عاشت بها تلك الشعوب. وساعدت الكنائس والمساجد على انتشار مراكز لتعليم وتثقيف البالغين والأطفال لدي الشعوب المؤمنة بالتوحيد كما خلقت وشجعت منظمات جماعية تطوعية وروابط اجتماعية غير قائمة على قرابة أسرية أو أصل قبلي.

وانتشر من خلال المراكز الجماعية الدينية بأنواعها الأدب الكلاسيكي اليهودي في العالم كله بجانب كتب الديانة المسيحية والإسلامية المقدسة والتي حُسبت على الأدب اليهودي أو قامت عليه. وكانت المعابد بؤرًا وتعابير لإبداعات فنية في مجالات هندسة المعمار والموسيقى والتصوير والنحت والبلاغة والأدب. ولقد منحت دراسة الكتب المقدسة، والإنصات إلى التفاسير الأسبوعية ومشاركة أناس خارج إطار الكهانة الدينية، في دراسة هذه الكتب، وأدب التفسير الذي تطور في كل تيارات الديانات التوحيدية، مضامين جديدة للحياة الثقافية لقسم كبير من الأفراد في الثقافات المؤمنة بالتوحيد.

وتحولت تحت تأثير اليهودية دراسة الكتب المقدسة التي ضمت أسس التراث الثقافي للشعوب إلى ميراث عام وليس خاصًا فى مجال عمل رجال الكهنوت فقط. وانتشرت أيضا مهارات القراءة المرتبطة بهذا النشاط تحت تأثير اليهودية وتحولت إلى أحد حركات تطور الثقافة الشخصية والجماعية في كل الشعوب.

لم يوجه نظام الثقافة الجديدة لتأهيل ذوي حرفة أو صفوة حاكمة فحسب؛ بل للثقافة نفسها ولكي يشارك الجميع بها لإثراء فكره وتجربته ويعرف تراثه الثقافي.

وتلك الإسهامات اليهودية فى ثقافات الشعوب، التي عاشت في إطار تأثير ديانات التوحيد، وساعدت مبدعين في تلك الثقافات على ابتكار إبداعات أصيلة بعيدة

عن الإبداعات اليهودية التي أثرت فيها، تماما مثلما ابتعدت الإبــداعات اليهوديــة الأصيلة عن إبداعات ثقافات الشعوب التي برز تأثيرها الكبير فيها، ولكن تعاملــت كثير من إبداعات ثقافات الشعوب المؤمنة بالتوحيد مع التاريخ اليهودي وأبطاله على أنه جزء من تاريخ شعبهم، وتعاملوا مع إبداعاتهم على أنها جزء من تراث ثقافتهم القومية (مثل: قصص الخروج من مصر، تمرد المكابيين، أقوال الأنبياء وغيرها).

ولقد بدأت اليهودية التي أثرت فى ثقافتي المسيحية والإسلام تتأثر بهما، من خلال ثقافتيهما وإبداعاتهما إثر بلورتهما كثقافات منفصلة عن اليهودية. وتظهر تلك التأثيرات في أنماط الحياة والملبس ومراسم المعبد والعلاقة بين الجنســين، واللغــة وأسلوب الحديث والأساطير الصوفية في اليهودية، والأفكار المسيحانية التي تتبلور بها، وفي عصرنا في مسارات العلمنة والثقافة التــي تطــورت فــي المجتمعــات المسيحية وتبنتها حركات كثيرة فى المجتمع اليهودي.

تأثير الميثولوجيا الصوفية على التعددية في اليهودية

كما أسلفنا لم يكن هناك تطابق بين "اليهودية" بوصفها ثقافة الشعب اليهودي وبين التوحيد الأخلاقي الذي يؤمن بخصوصية الإله وتجرده، وحثه على الصــدق والعدل كما ظهر في فكر موسى سلفا. عاش التوحيد في اليهودية بجانــب ديانــات ومعتقدات تؤمن بالتعددية وتؤيدها. وللوهلة الأولى يبدو هذا اللقــاء بــين التوحيــد والتعدد في ثقافة واحدة مستحيلا، ولكنه يعود ويظهر في الديانة المســيحية عنــدما انفصلت عن اليهودية وعن ثقافات شعوب كثيرة، مثل الثقافة المسيحية المكســيكية، والتي تحتفظ بمعتقد وشعائر لآلهة قديمة حتى بعد أن اتخذت المسيحية ديانة.

ويصف تاريخ الديانة وديانات الشعب اليهودي اللقاء داخل الديانة اليهوديــة القديمة، تلك التي تؤمن بإله مجرد وواحد (كما في التوراة التي تنسب إلى موســى) في مقابل إله مجسد في تمثال العجل، مثل آلهة الشعوب الأخرى (كما في تــوراة هارون). ويسود في اليهودية التناخية ديانتان هذه بجانب تلك، بجانب ديانات كنعانية تشمل عبادة البعل وعشتروت وأشير والمولوخ وكموش وآخرين.

آمن يهود كثيرون، طبقا لوثائق كثيرة في التناخ، بأن هؤلاء هم آلهة حيـــة. وعندما اختفت الآلهة الكنعانية من اليهودية (بعد العودة إلى صهيون) تسللت التعددية لليهودية وإلى ديانتها عن طريق الأدب والحركات الصوفية ومن خلال الميثولوجيا التي تحي كيانات إلهية علاوة على يهوا. وتتطور هذه الميثولوجيا المؤمنة بالتعددية وتؤثر على تيارات رئيسية في الديانة اليهودية في العصور الوسطى، بتأثير كتابات القبالاه ومعتقداتها، وبخاصة عن طريق حركات الحسيدية والتيارات الدينية الأخرى والتي تعتبر القبالاه جزءا من الديانة اليهودية حتى لو كانت ترفض بـــاقي مبـــادئ الحسيدية.

ويعد تعدد الكيانات الإلهية؛ ملائكة، شـــيطان، جـــن، عفاريـــت، وإلهـــات كالشخيناه وليليت، تغييرا جوهريا حول تصور الإله الخاص والمجرد من كل صورة ومفهوم إنساني ويحوله إلى ساكن أوليمبوس جديد نشأ بكلمات وبقصص مبتكريه من البشر، مثل الأوليبموس الوثني في كل ثقافة أخرى.

تعدد الآلهة والإلهات يتسرب إلى الديانة اليهودية

تضيف الأسطورة في الديانة اليهودية، مثل الديانة المسيحية، إلى الإله آلهة أخرى – نسوية وذكرية، ويحظى الإله، الذي كان بلا سيرة ذاتيـــة فـــي اليهوديـــة القديمة، بأم إلهة في المسيحية وزوجة إلهة في اليهودية. وتبلورت الإلهات اللاتـــي عبدهن يهود في ثقافتهم، لكن خارج ديانتهم، عن طريق الميثولوجيا الجديدة وتحولن إلى جزء من العالم الإلهي اليهودي.

وساد الإيمان بإلهات الخصوبة النسوية وعبادتهن، واللاتي كن منتشرات في كل الشرق الأوسط، أيضا في ثقافة الشعب اليهودي. ولكون يهـــوا إلهـــا متميـــزا وذكريا، طبقا لتوراة موسى، فقد تاق يهود كثيرون إلى الإلهات النســـوية واللاتـــي تشكلن في ديانات الجيران.

وتبدو شعبية الإلهات، مثل عشتروت، بوضوح سواء في الاكتشافات الأثرية (تماثيل إلهات في بيوت خاصة) أو في الإبداعات الأدبية التناخية التي تعبـــر عـــن

واقع روحاني وثقافي كان معروفا للذين كتبوه. وفي تلك القصص حتى إليـاهو لا يجرؤ على حرب أنصار عشتروت. وطبقا لدلائل متكررة في التناخ فقد احتلـت الإلهات النسوية والأمهات مركز الحياة الثقافية الدينية لغالبية اليهود، وبناء على تلك الدلائل فقد تأثرت اليهودية بثقافات الشعوب الأخرى عندما تحول الشعب اليهـودي من شعب متجول في الصحراء إلى شعب يستوطن أرض كنعان. وعادت أشيرا – أم الآلهة الكنعانية – وأُدخلت إلى الهيكل الأول في القدس، عقـب كـل مـرة ثـم أخراجها منه، على يد الملوك الذين أرادوا تطهير هيكل يهوا من وجودها. ولقد وُجد تمثال أشيرا في هيكل يهوا حوالي ثلثي فترة وجوده التي تصل إلى ٣٧٠ عام (طبقا لحسابات رفائيل فتاي في كتاب "تلك العبرية").

ويتصارع الإيمان بإلهات الخصوبة والأمومة وعبادتها مع الخـوف مـن المخاطر التي تهدد القدرة على الخصوبة والتكاثر في الأسرة وفي الزراعة. ويعـد وجود التماثيل التي تمثلهم وتعبر عن تبجيلهم أمرا ضروريا لكل مـن أراد تـأمين مستقبل أسرته وزراعته.

ويرتبط الناس نفسيا وروحيا ارتباطا أوليا بالأب والأم ويستمر هذا داخلهـم حتى بعد موتهم. وتستمر أيضا شخصية الأم بعد موتها في تأدية أدوار مركزية في حياتنا، كانت قد أدتها في حياتنا قبل موتها – في الأحلام وفـي التخـيلات وفـي الذكريات وفي اللاوعي. كما تشكل المرأة والأم بوصفها كيان يحب ويعاقب بـؤرة الانفعال والغريزة والتي تؤدي أدوارا مركزية فـي الإدراك أو داخـل اللاوعـي، وداخل عمل فني وديني لكيانات إلهية نسوية -جمـيلات وطيبـات أو متوعـدات وقاسيات، إلهات حب وحرب، إلهات كريمات وشريرات. وتظهر إلهات كتلك فـي كل الديانات والثقافات، في إطار ثقافات تطورت فيها اليهودية – من الهنـد حتـى اليونان.

وعندما توقف اليهود عن عبادة إلهات في إطار شعائر الديانات الأخرى، بدأ مبدعو الميثولوجيا الصوفية اليهودية في إدخالهن إلى الديانة اليهودية نفسها. فظهرت

الشخيناه وليليت كإلهات نشيطات في الميثولوجيا اليهودية الجديدة والتي تطورت في العصور الوسطى والتي تترسخ بجذورها في الأساطير وفي الأدب الصوفي لفترة التلمود.

وكان وضع المرأة المتدني في المجتمع نقيضا صارخا لقوة المرأة بوصفها أم وإلهة مسيطرة تحب وتعاقب وتشتهي. وعندما رفعوا المرأة إلى درجة إلهة أمكن التوفيق قدر الإمكان بين هذين النقيضين. ويبرز في كل الثقافات التي تضطهد النساء حاجة المؤمن لكيان إلهي -نسوي وأموي- إلهة حب وعقاب.

وتعضد الكتابة المنقوشة "يهوا وأشيرا زوجته" على الخزف الذي اكتشف في النقب ويعود إلى عصر مملكة يهودا، التخمين بأنهم كانوا يؤمنون في ذلك الحين بأن يهوا ليس الإله الوحيد في العالم الذي حُكم عليه بالوحدة والتنسك، وأنه مثل بعل فهو أيضا يحظى بصحبة إلهة وهي زوجته أشيرا. إلا أنه ليس لدينا سند على هذا في التناخ أو في مصادر قديمة لتلك الفترة. وترسخ في فترة أكثر تأخرا – وبخاصة عقب شهرة كتاب الزوهر وانتشاره – فكرة وجود الإلهة في اليهودية الدينية عندما تتحول الشخيناه من تصور إلى شخصية محددة، وتتحول ليليت إلى بطلة قصص مهددة وموطدة لوجودها في وعي المؤمنين بها.

إيمان بإله على هيئة إنسان في ميثولوجيا اليهودية القبالية

يعد الكتاب القديم "شعور قوما" (قامة مديدة)، الذي يصف مقاييس الإله الكبيرة والأكبر من العالم والذي يسهب في تفاصيل مقاييس أعضائه، أحد التعابير المجددة لتجسيد الإلوهية في اليهودية، والتي كانت بدايتها في إصحاحات سفر التكوين.

وتصبح الكيانات الإلهية التي تسكن السماء حقيقة ملموسة في الحياة الثقافية والروحية لقسم كبير من المتدينين. ويرى آخرون مثل موسى بن ميمون أن كل محاولة لإضفاء الطابع الإنساني على الإله بمثابة كفر بيّن. وتمنح القصص التي تدور حول علاقات الإله الجنسية مع الشخيناه وليليت والعلاقات الجنسية للإلهتين مع

مخلوقات ذكرية أخرى حقيقة ملموسة جديدة للكائنات الإلهية التـــي تســـكن العـــالم الإلهي، فيما وراء هذا العالم.

وفي عقيدة اليهود الذين يؤمنون بكل هذا تزور مخلوقات الآخرة أيضا هذا العالم، وعلى ذلك فإن عالمنا مكدس بعيون الجن والعفاريت، يحيطون بنا ولكـــن لا نراهم، وأحيانا يوجد من يلتقي بهم، وورد هذا في تحذيرات حاخامات كبـــار مـــن مقابلتنا مع كبار العفاريت والشياطين أو مع مبعوثين آخرين للشيطان. كما أن ليليت أيضا تتجول في العالم والتقت، في حكايات مشابهة، مع صديقيين أقويـــاء وأنـــاس عجزة، وورد هذا في حديث يوسف كارو، على سبيل المثال، مع "الملاك والشخيناه" وبقدرتهم تم إملاء ما هو موجود في كتاب "شولحان عاروخ" (المائدة المرتبة).

وفي مقابل يهوا الموجود فى التناخ، الذى يفتقد الحياة الأسرية، ابتكر فـــي الميثولوجيا اليهودية الجديدة تأريخ للحياة المفصلة للمخلوقات الإلهية. فـ "متترون"، على سبيل المثال، نائب ملك الملوك كان ذات مرة إنسانا ويدعى "تنوخ" (المـــذكور في سفر التكوين كمن أخذه الإله)، ولكن طبقا للأسطورة الجديدة لم يأخذه الإله إلى السماء بل أخذه الملاك عنفيئيل.

ولقد ارتفع متترون في الدرجات الملائكية حتى أصبح أسمى من الجميـــع، وعندما وصل المارق الملحد "اليشع بن أفويا" (المذكور أيضا في قصص الرحلات الميثولوجية تلك) إلى السماوات العلا ورأى متترون جالسا على كرســـيه، تعجـــب وسأل "هل توجد سلطتان في السماء؟ لأنه ونحن نعلـــم أن الملائكـــة لا تســـتطيع الجلوس، لأنها بلا ركبتين، وعلى هذا الخطأ الذي أخطأه متترون، عاقبـــه المـــلاك عنفيئيل بلهيب – كتل نار تؤلم الملائكة.

ويمكن أن تعد قصص كتلك مجرد نماذج وتصويرات تعبر عـــن آراء ولا تهدف إلى عرض واقع، ولكن في نظر مؤمنين كثيرين لا يوجد حد يفصـــل بـــين الواقع والأسطورة. ومن وجهة نظرهم فإن العالم يمتلئ بأبطال تلك القصص والتي تطورت وكثرت في أدب العصور الوسطى.

وتعتبر قصة "ليليت" نموذجا لاستخدام الأسطورة في التفسير الباطني والخيالي لنصوص تناخية بسيطة، والتي تشكل تعبيرا عن مواقف أيديولوجية لا تقبل التأويل حول المكانة المستحقة للمرأة في الأسرة والمجتمع الإنساني. فكانت ليليت حسب أحد التفاسير في الأصل هي المرأة الأولى التي خلقها الإله (كما في الإصحاح الأول من سفر التكوين، والذي يؤمن أديبه بالمساواة بين الرجل والمرأة وبقدمهما، ومساواة نسب كل ذرية الذكر والأنثى الآدمية الأولى، والذي يطلق على كليهما "إنسان" وقد خلقه الإله على شكله وهيئته) ولأن هذه المرأة الأولى (ليليت) قد توقحت مع زوجها وطلبت أن تكون متساوية معه في كل شئ بما في ذلك أسلوب العلاقة الجنسية، فقد طردها الإنسان وبقي بمفرده، وخلق الإله له امرأة جديدة (كما في قصة السبات التام في الإصحاح الثاني من سفر التكوين، والذي يصف فيها الأديب المرأة كمخلوق ثانوي وأخر المخلوقات التي خلقت، مصنوعة من عضو أخذ من جسد الرجل لكي تكون خادمة له).

ولقد خلقت هذه المرأة الجديدة وكل النسوة، طبقا لهذه القصة، لهدف واحد لتكون خادمة خاضعة كالأمة، تخدم الرجل المسيطر عليها، وألا تتوقح وتلبي احتياجه الجنسي طيلة أيام الشهر عدا أيام الحيض، بسبب النجاسة التي تتعلق بها، وحسب قصة أسطورية أخرى فهذا الحيض نتيجة علاقاتها الجنسية مع الثعبان والتي نتج عنها ولادة "كين"؛ للدلالة على أن هذه المرأة الجديدة قد أخطأت أيضا وتتجست في جزء كبير من كل شهر.

وواصلت ليليت طريدة الإنسان الأول التجوال في العوالم والمشاركة في مضاجعات شيطانية كثيرة، لإلهه ولامرأة من نوعها، واستمرت في تهديد كل من يصادفها في طريقها.

وبسبب جلاء الشخيناه، مع تدمير الهيكل (الذي كان أيضا هيكل جماع الإله مع الشخيناه، طبقا للأسطورة التي تتطور) فقد أدت ليليت دورها واضجعت معه لكي تخلصه من وحدته.

ويمكن القول إن كل هذا ما هو إلا تخيلات رمزية لأفكار مجردة والتي هي جزء من الرؤية القبالية للكون. ومن الصعوبة رؤية علاقة بين تلك الأساطير والنظرية القبالية الخاصة بإسحاق لوريا التي تقول: إن الخلق بدأ باغتراب الإله داخل نفسه وبتقلصه لكي يبقى مكان للعالم وللنور المخزون وللأدوات التي تحطمت بانفجاره، أدوات يكون بإصلاحها وإصلاح العالم الخلاص ونهاية التاريخ. ويوجد في العالم الروحاني للمؤمنين الأقل حكمة في اليهودية تجسيم للشخصيات الفاعلة في الميثولوجيا التي طورها أدباء ورواة القصص المدرجة أو المنبثقة أو المتأثرة بالميثولوجيا اليهودية الجديدة، وقد حولتها القبالاه المنتشرة في اليهودية في القرنين الثامن والتاسع عشر، بفضل الحسيدية ومؤيديها، إلى أحد العناصر المهمة في اليهودية الدينية.

ولقد تطورت في ثقافات وديانات أخرى مثل تلك أساطير. وتصل الميثولوجيا في اليهودية وديانتها إلى ذروة تطورها بعد حوالي ألفي عام من تكوينها كديانة تؤمن بالتوحيد وقبل فترة نهاية هيمنتها على الثقافة اليهودية.

ولعبت الميثولوجيا اليهودية الجديدة أدوارا في الثقافة الدينية والعلمانية معا. فقد أثرت الأدب الشعبي والأدب العلماني اليهودي بقصص وبإبداعات كثيرة ومتنوعة. ونظرت القصص والأساطير التي سادت لدى الشعب إلى الكيانات اليهودية الجديدة – الإلهات والشيطان والعفاريت والملائكة والأرواح – على أنها كانت مواد قصصية في إبداع مؤلفين يهود قد أبدعوا مؤلفات خارج إطار الديانة وثقافتها، مثل: إبداعات ى. ل. بيرتس، ش. ي. عجنون، بشبيس زينجر، وملمود، وغيرهم.

في نهاية القرن العشرين، مع انتشار الإلحاد بأنواعه في الغرب وفي اليهودية تتوطد بجانبه معتقدات عرافة وصوفية تبدو للمؤمنين بها تعابير روحانية منعدمة في حياتهم. وهذه المعتقدات متأثرة بالأدب القبالي وبالميثولوجيا التي تطورت عن طريقه، وتركز مجددا على الاهتمام بهذا التيار في اليهودية.

أدب التناخ بوصفه مصدر إلهام لإبداعات يهودية معاصرة

تمثل الإبداعات اليهودية وغير اليهودية – من الفكر والأدب والمسرح والسينما والفلسفة والفن – يهودية القرن العشرين. فالقرن العشرين هو أخصب وأثرى فترة في تاريخ الإبداع اليهودي؛ حيث ابتكرت فيه إبداعات يهودية بكل اللغات وفي كل البلدان وكل أنواع الفن ووسائل الإعلام. ويُعرض تاريخ اليهودية بوصفها ثقافة الشعب اليهودي في القرن العشرين في إبداعات يهودية لأدباء وفلاسفة وفنانين ومبدعي مسرح وسينما وتليفزيون يشاركون في تشكيل ثقافة الشعب ويعبرون عن التحولات التي طرأت عليه.

ولقد أُلفت معظم تلك الإبداعات في ظل اليهودية المتحررة من الديانة؛ حيث عاش بها ويعيش معظم اليهود في القرن العشرين. كما أن الإبداعات التي تنسب إلى يهود متدينين أو إلى القضايا المتعلقة بعلوم اللاهوت اليهودية قد أُلفت أيضا معظمها بعيدا عن يهودية الديانة التشريعية، ولا تتطابق مع رؤية دينية أو تشريعة. ومن ى. ل. بيرتس وحتى كافكا وبشبيس رينجر، من هيانا وحتى عميحاي، من جولد فدان وحتى فدى إيلان، من بوبر وحتى يشعيا برلين، ومن مندلسون وحتى برنشطين، من أينشطين حتى دينتسنجر – يمتد إبداع اليهود الذين يعبرون عن اتجاهات تطور اليهودية المعاصرة واندماجها في ثقافة الغرب. وكون أن كثير من تلك الإبداعات هي جزء لا يتجزأ من ثقافات شعوب أخرى فهذا لا يغير من مكانتها في اليهودية، تماما مثلما أن إبداعات التناخ هي جزء من الثقافة اليهودية وأيضا كثير منها تتبناها شعوب أخرى.

والمبدعون اليهود في القرن العشرين أحرار في الحكم وفي قول ما يفكرون فيه، بلا خوف من مخالفة قوانين التابو الديني أو تدنيس ما هو مقدس وبدون تصادم بين أفكارهم وإيمانهم. ومن هذه الناحية فهم يمثلون مسارات علمنة ومعتقدات إنسانية الإنسان بوصفه مصدر السلطة الوحيد في العالم المعروف لهم.

ولقد عجل اندماج اليهود في ثقافات الغرب مسارات التحول في الديانة اليهودية وفى تياراتها الجديدة وشجع الإبداع الفكرى الدينى فى تلك التيارات، فى مقابل تطور ثقافة اليهود المتحررين.

ومن هيرمان كوهين وروزنتسوج وحتى كوك، هيشل وسولفوميتشيك، تطور الفكر الديني في اليهودية إلا أن تأثيراتها على غالبية المبدعين اليهود في معظم المجالات لا تحس تقريبا .

وتتطور في فلسطين، في مركز إحياء العبرية بوصفها لغة حديث وإبداع، اليهودية الإسرائيلية المتحررة من الديانة في غضون لقاء كل التيارات الطائفية والدينية التي تعيش فيها. وسرعان ما تحول نهج تيارات يهودية الماضي القديم والتناقضات بين التيارات التي ميزتها أيضا إلى أحد موضوعات الإبداع الأدبي والفكري والبحثي في اليهودية الإسرائيلية. وازدادت سريعا خلال الخمسين سنة الأولى لدولة إسرائيل إبداعات الثقافة العبرية والتي بدأت التطور في فلسطين في بداية القرن. وتحولت الزيادة الكمية والمفاجئة إلى عنصر ثقافي جديد، حيث مئات الكتب العبرية التي تصدر كل عام، وعشرات العروض المسرحية والسينمائية والتلفيزيونية والتي يشاهدها مئات آلاف كل شهر، وكلها تمثل وجوها كثيرة وجديدة لليهودية المعاصرة. وتعرض عشرات المتاحف والمعارض فنا تشكيليا إسرائيليا، ومئات آلاف من المستمعين للحفلات والفرق الموسيقية الإسرائيلية والتي تضم عددا متزايدا من المواهب الموسيقية الأصيلة. وعشرات المؤسسات للتعليم العالي ومؤسسات بحثية وآلاف من المؤسسات التعليمية للدراسة الحرة؛ حيث يدرس حوالي مليون ونصف المليون تلميذ اليهودية بوصفها ثقافة لا بوصفها ديانة. وتقريبا يتعرض من ثمانين إلى تسعين في المائة من السكان اليهود الكبار خمسة مليون فرد (في نهاية القرن العشرين) يوميا لوسائل إعلام عبرية في الثقافة الإسرائيلية، وصحافة مطبوعة ومبثة ولإبداعات درامية وأدبية في قنوات التليفزيون، وفي محطات إذاعية حكومية وخاصة. وبالإضافة لهذا يدرس عدة عشرات آلاف من

الشباب في مدارس دينية التلمود فقط، ولا يظهر تـأثيرهم فـي الحيـاة الثقافيـة والإبداعية في إسرائيل إلا نادرا بين العلمانيين.

وهذا التطور الكمي في تاريخ الإبداع اليهودي غير مسبوق. ولم يتم تقدير تأثير هذه الظاهرة على ماهية الإبداعات سابقا، لكن تحظى اليوم كثير جـدا مـن الإبداعات اليهودية في إسرائيل بالاعتراف من قبل الجماعات الثقافيـة اليهوديـة وغير اليهودية في العالم، وتترجم أعمال أدبية عبرية إلى لغات أوربية كما يتم دعوة مبدعين وباحثين إسرائيليين لتمثيل ثقافتها في العواصم الثقافية في العالم.

ولقد أربكت الوفرة الهائلة للإبداعات التي تمثل اليهودية في القرن العشرين كل من يحاول الإلمام بمجملها؛ حيث يبدو أيضا بالنسبة ليهودية القرن العشـرين، مثل يهوديات العصور الأخرى في الماضي، علينـا الإذعـان للتحـدي وعـرض مختارات ضئيلة للإبداعات التي تمثل الحد الأقصى.

مع انهيار الديانة بوصفها عامل تأثير مركزي وموحـد، انتشـر السـحر والتصوف بجانب الإلحاد. وتُعرف في كل الثقافات ظاهرة السحر والتصوف خاصة في الفترات التي تضعف فيها وتنهار الديانة القومية والتي هي عنصر موحد ومؤثر في غالبية الشعب، وهذا ما حدث في العصر الهلينستي مع انهيـار نظـم الديانـة الوثنية، وهذا ما يحدث في عصرنا في اليهودية مع انهيار قوة تأثير مؤسسات الحكم الدينية على أغلبية اليهود.

ويوجد ارتباط بين السحر والإلحاد الشعبي؛ حيث إن الأساس فـي كليهمـا إيمان المؤمنين بهما بقدرات وبتقنيات السحر على شـفاء الأمـراض، ومواجهـة مخاطر وكوارث الطبيعة، وتجاهل الإله والاعتماد على صاحب التقنية السحرية – الساحر، المعالج السحري، المنجم، صيدلي الأعشاب، من يقـوم بـالرقي وصـنع التمائم. كل هؤلاء يستطيعون التأثير تأثيرا مباشرا على ظواهر في طبيعة الإنسان والعالم. ومثل كل تقنية علاجية أو غيرها والتي من خلالها يتصرفون في العالم غير المتدين ويواجهون الأمراض وكوارث الطبيعة، تتجاهل التقنية السحرية أيضا دور

الإله وإرادته. وعلى ذلك تتشابه الأساليب السحرية في الثقافات وفي الديانات المختلفة. فلا يعلن الساحر العراف عن إلحاده، لكنه يتصرف وكأنه هو وتقنيته يؤثرون أكثر من الإله ومن التوجه إليه. ويحتاج الأفراد ضعيفو أو منعدمو الإيمان بالإله إلى مساعدة من ذوي التقنيات الذين يضمنون حلا لمشاكلهم. ولأن العلم والتكنولوجيات التي طوروها لا تكفي لتحل كل المشاكل ومواجهة الأمراض الوبيلة فيبحث لها البشر عن حلول بديلة. ويعرض السحر حلا بديلا، وحتى من ليس مقتنعا بقدرته على التأثير، فمن المحتمل أن يعتقد بأنه إن لم يفد فإنه بالقطع لن يضر.

ويرتبط الاحتياج إلى السحر بالإيمان بقوى غير مرئية، وبقوى فوق الطبيعة، وبعناصر خير وشر موجودة في بيئتنا لا نعرفها وبقوى خفية، وبمعتقدات صوفية مصاحبة لها، إيمان لايمكن تفسيره، وبقدرة على التأثير وبعجز الإنسان عن معرفته من خلال الفطنة والحواس.

إن الإيمان بالحياة بعد الموت، وبأن أرواح الموتى تساعدنا أو تضرنا أثناء تجوالهم أو في وقت الاستلقاء على قبورهم، والإيمان بالآخرة وبإمكانية الاتصال بالموتى، قد انتشر في اليهودية مع انهيار مؤسسة الحكم الديني المركزية - الهيكل والكهنوت الذي كان جزءا من المؤسسة الحاكمة الرسمية اليهودية والتي تمثل اليهودية كأنها كتلة متجانسة.

وعادت في عصرنا تلك الظاهرة التي تبدو غريبة؛ حيث تنتشر بجانب المعتقدات الإلحادية بأنواعها المنتشرة في اليهودية المعاصرة، أيضا معتقدات روحانية – مثل الإيمان بقوى فوق الطبيعة لا يمكن أن يكون لها تفسير علمي أو عقلاني.

وبجانب تلك المعتقدات يظهر الكثير من الذين يؤمنون بالقوى الخارقة للسحرة ولمن يقومون بعمل الرقي والتمائم المقدسة للقبور التي قيل عنها أنها قبور

صديقيين والتي تستطيع روحهم مساعدة المستلقى على القبر أكثر مما يستطيع هو مساعدة نفسه.

والسحر كما أسلفنا هو أحد الأشكال القديمة للإلحاد المقنّع والذي يؤمن بسمو الإنسان وبقدرته على أن يملي على الطبيعة أو على القوى الإلهية التغيير الذي يرغبه، أو أن يعدل العالم وكأنه خال من إله كل شئ يتم بأمره.

الصراع ضد الإيمان بالتنجيم والسحر والعرافة والاتصال بالموتى قديم قدم تلك المعتقدات والتقنيات نفسها. وتوجد دلائل على ذلك في التناخ؛ حيث إنه في عصره حاولت مؤسسات الحكم الرسمية والدينية الاستعانة بمحضري الأرواح والسحرة بأنواعهم. وقد احتاج ملوك مثل شاؤول إلى محضري أرواح لتحضر أرواح موتى من القبور وتتيح لهم التحدث مع الموتى، وذلك بعد أن قتل و طرد زميلاتها من مملكته.

ولم يتردد مفكرون متدينون مثل موسى بن ميمون في إدانة التنجيم الذي آمن به بعض حاخامات التلمود، ورأى موسى بن ميمون أن كل أفعال السحر والشعوذة كفر، أو بلغتنا: اعتقاد إلحادي. وعندما أراد مبدعون في القبالاه إرساء دور الإنسان اليهودي في إصلاح الكون الذي تحطمت أدواته في عملية خلق العالم، أظهروا إيمانهم بالسحر، والرأي الذي يربط بين الديانة والسحر على شاكلة الرؤية المحافظة التي منحت دورا حيويا للإنسان في إصلاحه للكون، في غضون مشاركة مع الآلهة.

رسخ الاعتقاد وتلك الاتجاهات في قبالاه إسحاق لوريا، والذي نما في صفد عقب الطرد من أسبانيا، في اليهودية الإيمان بأن للإنسان اليهودي فقط دورا في جلب الخلاص للعالم كله. وتحول التمسك بفرائض الشريعة، طبقا لهذه النظرية، إلى أحد الوسائل الضرورية لإصلاح العالم المتحطم. وبقوة هذا المعتقد أُخرجت الشريعة من بساطتها وتحولت إلى جزء من التقنية السحرية التي من المحتمل أن تخلص العالم من الفوضى السائدة به منذ أن تحطمت الأدوات.

وتعد المعارضة في تيارات معينة في اليهودية الدينية والعلمانية على تسلل المذهب الصوفي والمسيحانية والسحر إلى ثقافتها، جزءا من الصدامات بين التيارات الفكرية والعقدية في اليهودية المعاصرة، كما في التيارات اليهودية في الماضي.

وإحدى سمات التعددية في اليهودية هي كثرة التيارات، بما فيها التيارات التي تنكر إمكانية وجود هذا التعدد داخل اليهودية. وفي ظل الواقع السياسي لإسرائيل تحولت معتقدات صوفية وسحرية بين أقلية من السكان إلى عامل دلالي وقوة تأثير على نهج الدولة ومستقبلها، وعلى مسارات السلام والحرب لحكوماتها، وعلى العلاقات الخارجية والسياسات الداخلية والتعليم بها. وكما أسلفنا فإن معظم اليهود بعيدون عن مجال تأثير التيارات الدينية والسحرية والصوفية. واليهود الذين يلقبون أنفسهم "تقليديون" أو "علمانيون" شركاء في الاعتقاد بأن اليهودية هي ثقافة تؤمن بالتعددية سواء من ناحية التيارات العلمانية والدينية الفاعلة بها أم من ناحية المعتقدات والآراء التي تؤثر على إبداعاتها وثقافتها.

الاعتقاد الإلحادي ينضم إلى تعدد المعتقدات في اليهودية

الإلحاد بوصفه معتقدا هو جزء من تشكيلة المعتقدات السائدة في اليهودية، ومثل كل المعتقدات الأخرى تحول هو أيضا إلى مصدر إلهام لإبداع ثقافي يهودي. ويثري الصدام بين الإلحاد وبين المعتقدات الأخرى اليهودية بوصفها ثقافة تعددية، كما أثرتها كل المعتقدات الأخرى الشائعة في اليهودية. فهي ثقافة تتنامى في سياق تراكم المعتقدات والعادات والتي لا تلغي وجود معتقدات وعادات سابقة. ولا تنحي المعتقدات الإلحادية في اليهودية المعتقدات التي تؤمن بتعددية الآلهة التي انتشرت بها، كما أن المعتقدات التي تؤمن بإله قادر ومتميز لا تنحي معتقدات الإيمان بآلاف القوى الخارقة الأخرى التي تؤثر في البشر وتتأثر بهم. وتتجمع المعتقدات الإلحادية ولكنها لا تلغي وجود المعتقدات التوحيدية بأنواعها.

في عصرنا كما في الماضي يواصل كثير من اليهـود المتـدينين – فـي إسرائيل والشتات – الإيمان بقوة الإله وقدرته على العقاب، وبقوة الجن والعفاريت والأرواح الشريرة، وبقوة المعالجين والسحرة والتمائم بكل أنواعها والتي تحميـهم من كل هذا. ولقد ظلت عادة تقديم قرابين حتى يومنا هذا بين الذين يؤمنون بـأن تقديم الديك أو الدجاجة يكفر عن إثمهم ويعفيهم من العقاب الإلهي.

وشيوع تلك المعتقدات القديمة بين جماعات سكانية كثيـرة، تحـولهم إلـى عنصر سياسي وذلك عندما يتم استغلالها في حملات انتخابية ديمقراطية. وتشـمل ثقافة التعددية الخاصة باليهودية الإسرائيلية في نهاية القـرن العشـرين معتقـدات إلحادية، ومعتقدات دينية ومعتقدات سحرية وصوفية من كل نوع.

وكما في الديانة يوجد أيضا في الإلحاد أنواع اعتقـاد وعـادات مختلفـة. ويصف الناس في كل ثقافة، قومية أو إقليمية، الإله بشكل مميز لثقافة شعبهم. ويمنح البشر في إطار كل ثقافة قومية أو إقليمية، صورا وأدوارا متميزة لآلهة مختلفـة أو لنفس الإله والذي يأخذ أشكالا وعلاقات متميزة. وعن طريق إبداعات أدبية وفنيـة وفكرية تتشكل تلك الصفات الخاصة من خلال سير وصور تشكيلية غير موجـودة في ثقافات أخرى. والإله الوحداني، الواحد والخاص، هو أيضا إله مختلف، فبطانته ومحيطه وصورته مختلفة في ثقافات الشعوب المختلفة في أوربا وفي قارات أخرى.

وتتنامى المعتقدات الإلحادية في مقابل معتقدات التوحيد (الدينية)، منذ فجر الثقافة الإنسانية، وتدل على ذلك أبحاث عن ثقافات القبائل التي تعيش في ظـروف "سابقة للتاريخ" بمعزل عن الثقافات الدينية المعروفة (اللقاء مع قبائـل أيـوريجين الاسترالية ومع قبائل في جزر منعزلة). وظهرت في الألف الثـاني قبـل المـيلاد تعابير واضحة للمعتقد الإلحادي في الهند، حدث فيها إحياء للاعتقاد الإلحادي أثناء تأسيس البوذية القديمة، في منتصف الألف الأول قبل المـيلاد. وتحولـت البوذيـة القديمة في أماكن كثيرة أخرى إلى ديانة واختفت في الهند تقريبا معاقـل الإلحـاد،

ولكن عادت للظهور مرة أخرى في الهند بؤر وتنظيمات كثيرة تعمل على إرساء معتقدات إلحادية ونشرها.

ومعظم الدلالات حول واقع الإلحاد في اليهودية وفي ثقافة اليونان والثقافة الهلينستية، موجودة في إبداعات دينية تندد بالملحدين في عصورها. ولم تبق معظم إبداعات الملحدين القدامى، باستثناء قطع وشهادات حول الرؤية الإنسانية والمادية للفلاسفة اليونانيين السابقين على سقراط. وتدين فقرات في "المزامير" الشريرين الذين يقولون: لا يوجد إله، ويصور "اليسع بن أفويا" على أنه رجل عظيم لكنه ألحد وحسب رأيه لم تعد فرائض الشريعة تطبق عليه، ويقترح أفلاطون في كتاب "شرائع" حبس الملحدين في معسكرات مغلقة خمس سنوات وخلالها يتم محاولة تغيير معتقداتهم، وإن لم يفلح الحراس في ذلك ينبغي قتل الملحدين. ويرى مبتدع الاستبدادية الحديثة في العهد القديم أن الإلحاد عقيدة غير أخلاقية خطيرة على الدولة والمجتمع. وينتشر الإلحاد الذي يتجلى في النظريات الفلسفية الأحدية والمادية اليونانية من القرن السادس، منذ بداية القرن الرابع قبل الميلاد في اليونان والعالم الهلينستي، وكثير من تعابيره الأدبية الغنائية والفلسفية باقية أو يصفها مؤرخو تلك الفترة.

فرضيات حول نشوء الآلهة في المعتقدات الإلحادية منذ الهلينية

بداية من العصر الهلينستي، حظي ملوك كثيرون بالتأليه على يد البشر، ينتشر الاعتقاد أنه أيضا في فترة بداية تطور الديانة ابتكر البشر إلها عن طريق تأليه آباء وأمهات وزعماء قدامى.

ولقد امتزجت الشخصية التي نسبت إلى أجسام وظواهر وقوى طبيعية بعقيدة أناس قدامى بآلهة آباء وأمهات وزعماء قد تشكلت أحداث حياتهم وشخصياتهم في أساطير وفي إبداعات أدبية وفنية وسير أدبية منحتها تميزا ونظام علاقات بين آلهة وسلالتهم. والتوجهات إلى إله مثل أبينا وملكنا الذي في السماء هي بقايا واضحة، حسب هذا الاعتقاد، لعملية نشوء الإله على يد الإنسان.

ويعد وجود الآباء والأمهات الذين ماتوا في حياة البشر في كل العصور ظاهرة مشتركة بين ذوي المعتقدات التوحيدية والإلحادية. ويستمر الآباء الموتى الذين كانوا محبوبين ومهددين أثناء حياتهم، في التواجد في الأحلام وفي تخيلات الذكريات وكأنهم يواصلون الحياة. فهم ينشطون في روحنا، في الوعي واللاوعي، وفي الذاكرة التي تجدد المحفوظ فيها وتضيف عليه من الخيال، وتميز القدرة على ضم الماضي والمستقبل إلى الحياة الروحية في حاضر الجنس البشرى عن كل حى، وتتيح الإيمان الدينى أو الاعتقاد بأن أرواح الموتى تواصل الحياة. فالشوق إلى محبتهم والخوف من عقابهم فى الحاضر، وكانوا قادرين فى طفولتناعلى ذلك، يؤثر ويخيف ويمتزج بالايمان بآلهة حية فى عالم لا يرى وغير متوقع مثل "عالم الآخرة"، الذى تأتى منه أرواح الموتى وإليه يذهب الأحياء بعد موتهم. وترافق الآخرة والحياة بعد الموت معظم المعتقدات الدينية.

ويماثل الاعتقاد الإلحادي باقتصار الحياة على هذا العالم الاعتقاد السائد في الأدب الديني الموجود في التناخ والذي يتجاهل هو أيضا الحياة بعد الموت. وتوجد في اليهودية معتقدات إلحادية كثيرة- لاأدرية، معتقدات ترى أن الإله بطلا أدبيا وعلى أنه معجزة الشرعية في الكون.

ومنذ التحرر الذاتى – تحرر اليهود من سلطة الطوائف الدينية، وفتح طرق لاندماج اليهود في مجتمع غير يهودي وثقافته – تزايد مسار التحرر الروحاني في اليهودية، وتحرر اليهود من الالتزام بالمحافظة على فرائض الشريعة وتحرروا من الحظر المفروض على نقد التقاليد والأسس المقدسة في نظر المؤسسات الحاكمة والزعماء المتدينين، وتحرر كثير منهم من الإيمان بالإله وبأنه يستطيع مراقبتهم وأمرهم بما عليهم أن يفعلوا عندما بدأوا النظر إليه على أنه ابتكار إنساني وأحد الإبداعات الثقافية التي ألفها الإنسان.

بداية من القرن الثامن عشر وبصفة خاصة في القرن التاسع عشر انتشرت تلك الاتجاهات الثقافية ومعها آراء ومعتقدات لاأدرية وإلحادية وإنسانية.

امتزجت تلك المعتقدات فى وعي يهود كثيرين بالاعتقاد بأن اليهودية ثقافة تعددية للشعب اليهودي وتشمل تيارات دينية مختلفة ومتصارعة فيما بينهـا لكنهـا تضم أيضا تيارات يهودية متحررة من الديانة ومن الإيمان بالإله كما شكلتها تقاليد الديانة التشريعية. والمشترك في المعتقدات الإلحادية هو الإيمان بأن الإنسان هـو صاحب السلطة العليا في القرارات الأخلاقية وفي تحديد معتقداته، وتجاهل وجود إله خاص، والتحرر من الالتزامات تجاهه، وعدم الاعتراف بقدرة الإله في التأثير على حياة البشر.

الاعتقاد اللاأدرى،على سبيل المثال، هو اعتقاد إلحادي فـي نظرتـه إلـى الإنسان على أنه صاحب السلطة الأخلاقية، ويشكك وينشد ما لايدركه العقـل، دون تحديد ماهو مصدره الإيمان أم المحرمات الدينية. ولا يتطابق الاعتقاد اللاأدرى مع الإيمان أو عدم الإيمان بوجود الإله؛ فهو اعتقاد بعدم استطاعتنا معرفة إذا ما كـان يوجد إله أم لا؛ حيث ترى اللاأدرية أن السؤال "هل يوجد إله؟" سؤال عديم المغزى ولا إجابة له - كما يرى ذلك بروتاجورس وأيضا سقراط ومن وافقوا علـى عـدم معرفة شيء عن الآلهة أو عن وجودهم، وأن حياة البشر لا تكفي لمعرفة شيء عن هذا الأمر.

ويؤمن لاأدريون كثيرون بأن الإله هو تصور موجود عبر حـدود وسـائل المعرفة الإنسانية- الحواس والمنطق. ولذلك لا يجب تعريف الإلـه ولا يجـب أن ننسب إليه خاصية ما، بما في ذلك خاصية الوجود أو عدم الوجود. ولقد توصل إلى هذه النتيجة أيضا قراء كثيرون لكتاب "موريه نفوخيم" (دليل الحائرين) لموسى بـن ميمون وأدى هذا إلى حيرة يهود متدينين قد بجلوه بوصفه كبير مفكرى اليهوديـة. ونتيجة لذلك فقد حُرمت في دوائر كثيرة في اليهودية قراءة هذا الكتاب لموسى بـن ميمون حتى بلوغ الفرد سن الأربعين، وطالب آخرون إبادته وحرقه لـئلا يشـجع الاعتقاد اللاأدرى والإلحادي بين قرائه.

وينبثق عن المعتقد اللاأدرى- كما في حالة المعتقد الإلحادي - اعتقاد بأن الإنسان حر فى اختيار قيم بناء عليها يقيم ويفضل ويصيغ أنماط السلوك وفرائض الديانة والقوانين. ويلغي هذا الاعتقاد حق الذين يتظاهرون بالحديث باسم الإله وبالأمر وبإصدار الفتوى أو بفرض شرائع وأحكام على غيرهم، ويستطيع أن يحدد طريقه ونظرته إلى إجمالي الشرائع، بما فيها شرائع الديانة من خلال رؤيته ووسائل المعرفة والعلم الذي في حوذته وعلى أساس إيمانه بقيم أخلاقية تخدم صالح الإنسان فحسب.

يرى المؤمنون بأن الإله بطل أدبي أنه قوة مؤثرة في الحياة الثقافية والاجتماعية، بكونه عامل حسم في التجربة الفنية والمعرفية للفرد الذي يتعرض للأدب الذي شكل الإله ولعب أدوارا مركزية في تطور الثقافة التي عاش بها المؤمن بهذا. وتنضم هذه التجربة الفنية لهؤلاء المؤمنين أو تأتي عوضا عن تجربة الإيمان الديني.

والإيمان بأن الإله بطل أدبي فحسب يناقض الاعتقاد الديني الذي يعترف بوجود الإله أيضا خارج إطار الإبداع الأدبي، ويرى أنه مؤلف أدب التناخ والذى يُعرض فيه الإله في مواجهة الناس، وكواحد من أبطال الأدب الآخرين الذين يعيشون ويعملون في تلك الإبداعات.

إن اعتقاد الذين يرتبطون بالإله على أنه بطل أدبي فحسب هو اعتقاد إلحادي في نتائجه: إنه يرى أن الإنسان هو مبتكر الإله والقيم والفرائض، ولا يعترف به ككيان مستقل ينبغي الدعاء والصلاة له وسؤاله والخوف منه. وحتى الذين يؤمنون بأن الإنسان يحتاج إلى إله قد أُلف في تلك الإبداعات الأدبية كأساس لسلطة أخلاقية لا ينسبون إليه كيانا خاصا ذا إرادة وقدرة آمرة مستقلة.

ويعد الاعتقاد الحلولي إيمانا بالتطابق بين الطبيعة والإله - بألوهية الطبيعة. ومن هذه الناحية فهو اعتقاد بوجود إله وعلى أنه خاصية للطبيعة والوجود. وتطور في اليهودية هذا الاعتقاد وتجلى في تأثير فلاسفة يونانيين وهلينستيين، وعن طريق

فلاسفة مسلمين أثروا فى المفكرين اليهود الذين عاشوا في ظل الثقافة العربية في العصور الوسطى.

ويظهر التعبير اليهودي للمذهب الحلولي بوضوح في إبداع سبينوزا في القرن السابع عشر، كاستمرار لفكر موسى بن ميمون في القرن الثامن عشر، وهو استمرار لفكر فيلون في القرن الأول، والقائم على الفكرة المنسوبة إلى موسى القائلة بأن "الإله هو الكيان الذي يشكل ما سيكون". ويصيغه الأديب الذي صاغ الكلام على لسان بطله الأدبي الإله: "أكون الذي أكون" (والفعل القديم طبقا لرأي أولبريط دلالته "أكون الذي أكون" وبضمير الغائب المفرد: يكون أي "يهوا").

يلغي الاعتقاد الحلولي الفصل بين الإله والطبيعة، ويلغي إمكانية تعريف الإله على أنه كيان منفصل خالق أو مؤثر أو فاعل أو مراقب ويتعامل مع الإنسان. وانبثق عن هذا الاعتقاد أيضا، كما انبثق عن كل المعتقدات الأخرى التي ذكرت آنفا، نتائج إلحادية، مثل: أن يكتشف الإنسان قوانين الطبيعة من جراء نفسه، وأنه هو مبتكر القوانين والفرائض لينظم حياته الاجتماعية والشخصية في العالم الذي يفتقد إلى إله، وأن الإنسان حر فى اختيار كل ما يتعلق بالسلوك وعلم اللاهوت والسياسة. وطبقا لهذا الاعتقاد فالإنسان ليس حرا في التنازل عن إرادته والخضوع لإملاءات رجال الدين الذين يتحدثون باسم الإله، حيث إن الطبيعة لا تستطيع التحدث بلغة البشر. ويفرض اعتقاد كهذا على الإنسان المسئولية عن أفعاله في العالم، ذلك لأن أفعاله وقراراته تؤثر في العالم والطبيعة وتغيرهما – فتفسده أو تنقذه من مخربيه. وتُحدد حرية الإنسان عن طريق عناصر الطبيعة التي لا يسيطر عليها – المنطق والحياة التي يحدها الموت، البيئة المادية والاجتماعية التي ولد وعمل فيها.

إن علماء مثل أينشطين، الذين يعبرون عن تعجبهم من وجود معجزة شرعية شمولية تسود الطبيعة، والعالم الصغير، وفي كل الأزمنة المعروفة والمفترضة، يرون أن هذا التعجب مثل التمسك بالديانة ولكن هذا الإيمان بمعجزة

الوجود وتعقيداته وتوافق التناقضات المتعددة السائدة به، يخلق أيضا إمكانية الإيمان بكيان فوق الطبيعة.

ويعد الاعتقاد بشرعية عالمية وثابتة تسود الطبيعة اعتقادا إلحاديا لأنه يناقض الإيمان بوجود خالق وبالعناية الإلهية، وبالحياة بعد الموت، أو بكل سمة أساسية أخرى للمعتقد الديني. (أنا مؤمن بإله كما يراه سبينوزا: إله يظهر في الانسجام السائد في كل ما هو موجود، وليس إلها يشغل نفسه بمصير وأفعال المخلوقات – يقول أينشطين).

أسس الاعتقاد الإلحادي

إن الإلحاد هو الإيمان بسيادة الإنسان وبحريته، وبمسئوليته عن أفعاله وبقدرته على أداء دور حاسم في ظروف معينة وتشكيله لمصيره. وفي دور كهذا فالإنسان هو مصدر السلطة فهو مبتكر شكل الإله والقيم الإنسانية بوصفها معايير للتقييم والتفضيل، وطبقا لها يحكم البشر على كل قانون وفريضة وكل عادة ونهج: وذلك حسب مدى إسهامهم لإنسانية أو لا إنسانية الفرد.

تعرض تلك المعتقدات الإلحادية في معظم إبداعات ثقافة الشعب اليهودي في القرن العشرين. ويتجاهل غالبية الأفراد الذين ينتمون لليهودية و لثقافات الغرب دور الإله في حياتهم، حتى وإن كان من بينهم من لا ينفي إمكانية وجود الإله في العالم. وقليلون منهم فقط يسمون اعتقادهم "إلحادية" بسبب الاسم السيىء الذي نتج عن الإلحاد بوصفه كفرا ليس معه إيمان، وبسبب محاولات تشويهه (منذ أفلاطون)، واعتباره كفرا بقيم أخلاقية وبالولاء للمجتمع.

وعلى الرغم من مركبات الاسم إلحاد فهو اعتقاد مناقض لمعتقدات دينية ولا يعني كفرا. أما "الكفر" فهو اسم يلقب به أبناء عقيدة ما عقيدة معارضيها.

في اليهودية المتحررة بإسرائيل، يعود التناخ ليكون أساس التعليم في اليهودية

يقوى تطور دولة إسرائيل وثقافتها اتجاهات التعددية في الثقافة اليهودية داخل الدولة وفي الشتات. وتلتقي في إسرائيل كل التيارات الطائفية والعلمانية والدينية الموجودة في اليهودية. وقد زاد الاحتكاك بينها وتبرز الفروق بينها بوضوح أكثر من الماضي، وتبرز الفروق الكبيرة والتناقضات بين اليهودية الإسرائيلية بوصفها تمثل كافة التيارات وبين كل تيار من التيارات اليهودية فى الشتات.

يعيش معظم اليهود في كل بلدان الشتات باللغة والثقافة القومية للبلد والشعب الذي يعيشون فيه. ويعيش اليهود في إسرائيل في محيط ثقافة يهودية تتصارع فيها كل التيارات مع بعضها البعض.

وتبرز تأثيرات ثقافات شعوب أخرى بالطبع أيضا في الثقافة الإسرائيلية (في أنماط الحياة، والملبس، والرقصات، ووسائل الإعلام ومضامينه) كما هي بارزة في كل الثقافات القومية المتطورة في بلدها وفي لغتها القومية. وتمتزج هذه التأثيرات بالإبداع وبالثقافة القومية المتميزة – في إبداعات الأدب، والمسرح، والسينما، والفكر العلماني والديني، والفن، والصحافة، والأعياد والمناسبات القومية والشخصية.

يبرز في الثقافة العبرية الجديدة الارتباط بالتناخ أكثر من أي نظام تعليم يهودي آخر في العالم؛ حيث تربط لغة الحديث والإبداع الإنسان الإسرائيلي بأدبه الكلاسيكي الموجود في التناخ. ويحتل التناخ في التعليم الإنساني في معظم المدارس بإسرائيل مكانا بارزا في كل سنوات الدراسة – من مرحلة رياض الأطفال وحتى الجامعة. ويعد التعرف على مضامين الإبداع التناخي قاسما مشتركا لغالبية دوائر المثقفين في إسرائيل وأبنائهم. وتهيئ رحلات في إسرائيل – الرحلات المدرسية وحتى الرحلات الأسرية أو الفردية – الإسرائيليين للقاء مع آثار تناخية في إسرائيل. ويعيش التناخ في وعي معظم الإسرائيليين بوصفه وثيقة تاريخية وأدبية وسياسية – مع تجاهل الشك العلمي المتعلق بصحة الشهادات الموجودة به.

يقرب الإيمان باقتصار الحياة على هذا العالم وغياب الميثولوجيا الملائكية والصوفية في أدب التناخ، هذا الأدب إلى عقلية الإسرائيليين المتحررين من الديانة، ويحولها إلى مصدر إلهام واقتباسات في إبداعات إسرائيلية كثيرة – كإبداعات الأدب والمسرح الإسرائيلي وحتى أشعار بوب والخطب السياسية.

ولقد استخدم أدب الشريعة والأدب الذي يعبرعن الإيمان بالآخرة وبالبعث، والعفاريت والملائكة التي تطوف حولنا دون أن نراهم، مصدرا لإبداعات كثيرة في يهودية الشتات – بما فيها مؤلفات أدباء علمانيين مثل "بشبيس زينجر" و "ي.ل.بيرتس"، الذين يستخدمون الأساطير في أعمالهم الساخرة (مثل: "العفريت الأخير" أو "ليس أكثر من ذلك"). وكان هؤلاء الأدباء وأمثالهم قد تلقوا تعليما حريديا تتصدره دراسة أدب الشريعة والتفاسير الدينية والمدراشيم.

وتختفي تلك الآداب تماما من العالم الروحاني لمعظم المبدعين الإسرائيليين وجمهورهم، تماما مثلما أنها تختفي من العالم الروحاني لمعظم اليهود الذين ينتمون إلى تيارات الأغلبية اليهودية الدينية أو العلمانية في العالم.

وعلى خلفية تلك التطورات عاد التناخ ليكون الأساس المشترك للثقافة اليهودية في إسرائيل – وبخاصة بين الأغلبية المتحررة من الديانة وبين الحركات الدينية الصهيونية. ولايزال بين الأقليات الحريدية فحسب أدب التلمود والمدراشيم والقبالاه والتفاسير الدينية مشكلا لمعظم مواد الدراسة ورموز اليهودية. ولم يعد التناخ يستخدم في اليهودية المتحررة كمادة أولية لتفسير ديني متحرر من ترجمة معتمدة للمعنى الظاهر. وعاد التناخ ليكون أنتولوجيا أدبية يفهم لغته متحدثو العبرية ويقرأون إبداعاته بلغتها. ولم يعد يستخدم التناخ في حياتهم ككتاب ديني، وفقراته أو بعض فقراته غير معروفة لهم كمستندات لشرائع ولدعاوي لا علاقة لها بالأصل الأدبي. ففي نظرهم يكون من الغريب والسخيف استنتاج شر "عيسو" وتعدد أخطائه من الفقرة التي تصف عودته متعبا من الحقل، كما فى أحد التفاسير والتي ترى أن هذه الفقرة وصف لأخطاء كثيرة قد ارتكبها "عيسو" عند مقدمه متعبا من الحقل –

فتضم قتل (لأنه مكتوب في سفر إرميا نفس متعبه للقتلة) واغتصاب امرأة مخطوبة (لأنه يوجد حكم بأن الاغتصاب في الحقل أفدح من الاغتصاب في المدينة ففيها تستطيع المغتصبة الصراخ طلبا للنجدة).

وتنفصل في اليهودية المتحررة من الديانة الإبداعات التناخية عن تفاسير مُلزمة وعن تفاسير دينية قد اقترنت بها. ونطلق عليها إبداعات أدبية ووثائق تاريخية ذات مغزى ديني للمتدينين ليس لها نفس المغزى لغير المتدينين. ومثل كل إبداع أدبي – نظرى أو خيالي – تشكل أيضا إبداعات أدبية تناخية وثيقة تاريخية، تدل على الحياة في العصر الذي أُلفت فيه، وأحيانا – أيضا على العصر الذي تروى عنه.

الانتماء القومي، والإنسانية والتقاليد في اليهودية المتحررة من الديانة

بدأ التمييز بين الشعب والديانة في اليهودية استجابة للعنصرية اللاسامية(٣) في القرن الخامس عشر. وتحولت المعتقدات الإلحادية، من ناحية مغزاها واستنتاجات المؤمنين بها فيما يتعلق بأنماط حياتهم والحفاظ على فرائض الشريعة والانصياع للحاخامات وللسلطات الدينية، إلى عامل حسم في اليهودية المعاصرة، منذ التمييز بين اليهودية بوصفها ديانة واليهودية بوصفها شعبا وثقافة.

لا يعترف المؤمنون بأحد المعتقدات الإلحادية المذكورة آنفا بكيان إلهي كشخص موجود أو يعمل من جراء نفسه، وقد اختار الشعب اليهودي شعبا له. هم لا يعترفون بإله موجود يراقب ويعاقب ويتجسد ويرتبط معه الشعب اليهودي بعهد أو بأي علاقة خاصة. وتتجلى تلك المعتقدات الإلحادية والإنسانية في تشكيلة الإبداعات اليهودية التي تمثل التيارات اليهودية المعاصرة.

انتشرت معتقدات لاأدرية حلولية ومعتقدات إلحادية أخرى في اليهودية على ضوء الصدامات والتحولات في أوربا منذ القرن الخامس عشر وحتى القرن التاسع عشر. فقد انهارت طوائف يهودية بسبب اعتداءات وترحيلات، غيرت جموع يهودية ديانتها وظلت يهودية في الخفاء، وطرد يهود أسبانيا واضطهاد "النصارى

الجدد" والذين استمروا في الانتماء إلى اليهود في أسبانيا والبرتغال، وأسفر كل هذا عن رؤية جديدة لمفهوم "يهود" ونمت لاسامية جديدة في أسبانيا، عقب الردة الجماعية لليهود عن ديانتهم؛ حيث اختاروا تغيير ديانتهم وعدم الهجرة من البلد الذي ولدوا به وعاشوا فيه منذ أجيال كثيرة. ونتيجة لذلك فقد زاد عداء النصارى القدامى تجاه النصارى الجدد اليهود، الذين تسللوا، بعد تنصرهم، إلى الطبقة الحاكمة في المجتمع الأسباني وإلى دوائر الحكم والسلطات التي ترأست محاكم التفتيش.

هذا التحول في وضع من كانوا يهودا في نظر المحيطين بهم بعد تنصرهم قد غير طبيعة اللاسامية المضادة للديانة وحولتها إلى لاسامية قومية رأت أن اليهود شعب دون النظر إلى ديانتهم المعلنة. وفي رد فعل على ذلك فقد نشط بين يهود كثيرين وعي قومي غير متطابق مع الالتزام بالتمسك بفرائض الشريعة أو الإيمان بأسس التقاليد الدينية المقدسة.

وعاد "نصارى جدد" كثيرون والذين هُجروا من شبه جزيرة أيبريا إلى غرب أوربا وجنوبها، إلى اليهودية عندما سُمح لهم بهذا. وأثارت حركات مسيحانية – مثل التي قام بها هرؤبينى وشبتاي تسفي – آمال تحرر قومي ذي طابع سياسي: إقامة دولة لليهود. وشجعت خيبة الأمل نتيجة فشل تلك الحركات على انتشار معتقدات صوفية وقبالية وشكية بين مثقفين من النصارى الجدد، والذين عادوا إلى اليهودية بعد أن عرفوا عن كثب ثقافات أوربا وكانوا مندمجين في حركات النهضة الثقافية في القرن السادس عشر والسابع عشر.

بدأت تترسخ لدى الشعب اليهودي مفاهيم جديدة لليهودية بوصفها ثقافة لشعب، وظهرت به معتقدات لاأدرية وحلولية والقريبة في استنتاجاتها للإلحاد. والمشترك بين هذه المفاهيم الجديدة ما يلي: التمييز بين الديانة التشريعية والشعب اليهودي، والاعتراف بأن الإنسان يستطيع الاستمرار في أن يكون يهوديا حتى وإن لم يكن شخصا متدينا حسب تعريف المتمسكين بالفرائض، وحتى إن لم يؤمن بالإله

وبأن للإله قوة مستقلة ومراقبة، وحتى إن لم يؤمن بوجوب الحفاظ على الفرائض المنسوبة إلى الإله من قبل من يتظاهر بالتحدث باسمه.

وازدهرت بين جماعات "النصارى الجدد" العائدين إلى اليهودية (كما في طوائف أمستردام) المحافظة على التقاليد الدينية من قبل القيادة الطائفية والتي رغبت في التأكيد على أن يعترف بهم كيهود، رغم ماضيهم النصراني. وفي المقابل ظهر بين هذه الجماعات مفكرون متقفون (مثل أورئيل داكوستا وسبينوزا) والذين يشكون في الأسس المقدسة للتقاليد الدينية وفرائضها. فاتخذت قيادة الطائفة إجراءات مقاطعة وتحقير ضد كل من ينتقل من ديانة إلى أخرى ومن ثقافة إلى أخرى مما يحث الفرد على التفكير مجددا في مبادئ ديانته وقوميته اليهودية.

إن عدم التسامح الديني والفكري الذي ميز سلطات نصرانية – كاثوليكية وبروتستانتية – تتبناه أيضا طوائف يهودية. فنجد "أورئيل داكوستا" ينتحر بعد فترة قصيرة من تأسيس الطائفة اليهودية البرتغالية في أمستردام (١٦٤٠م) بعد أن تم مقاطعته وتحقيره واضطهاده بسبب آرائه ومعتقداته، كما فرضت الطائفة اليهودية مقاطعة ونددت بأحد كبار فلاسفة أوربا – باروخ سبينوزا- الذي كان حتى ذلك الحين عضوا في الطائفة اليهودية ويظهر اسمه في قائمة المساهمين في إنقاذ اليهود الذين طردتهم سلطات محاكم التفتيش من البرازيل ورست سفينتهم في ميناء نيو أمستردام – التى هى نيويورك – ولم يسمح لهم بالنزول إلى الساحل حتى تعهدت الطائفة اليهودية في أمستردام بكفالتهم اقتصاديا.

كان سبينوزا من أوائل من أرسوا رؤية نقدية للتناخ ونظر إلى التوراة على أنها شريعة شعب في زمن معين وليست شريعة دينية أبدية. ففتح الطريق للتعرف على أدب التناخ بوصفه الأدب الكلاسيكي للشعب اليهودي وليس بوصفه كلام الاله. ونظر إلى قوانين الشريعة الواردة في التناخ على أنها دستور قديم جماعة قومية والتي ستحتاج إلى سن قوانين جديدة عندما تحظى مجددا باستقلال قومي سياسي. ويتطور التمييز بين الدين وبين القومية اليهودية عن طريق عوامل مختلفة تعمل

على الوعي اليهودي في فترة الانتقال من العصور الوسطى إلى العصر الحديث. وقد أضيف إلى العامل اللاسامي العنصري الجديد والذي نما مع نجاح "النصارى الجدد" العامل المسيحاني الذي يشجع الأفراد على التفكير في الخلاص بمصطلحات قومية سياسية، مثلما في المسيرة السياسية لرؤبينى زعيم اليهود، وفي الحركة الشبتائية وفيها انفصل في نهاية الأمر مفهوم الأمة اليهودية عن الديانة التشريعية اليهودية. وأضيف إلى كل هذا العامل الفكري النقدي – على غرار سبينوزا – والذي يلقي الضوء حول تراث الشعب اليهودي بوصفه تراثا تاريخيا قوميا يعيش به يهود متدينون وغير متدينين معا.

معتقدات وقيم إنسانية غير دينية في معظم إبداعات اليهودية المعاصرة

بداية من القرن الثامن عشر يزداد عدد الإبداعات اليهودية المؤلفة خارج دائرة تأثير الديانة اليهودية وأسس الإيمان السائدة في تياراتها. وتتجلى المعتقدات التي تؤمن بأن الإنسان وليس الإله هو العامل الذي يحدد مبادئ السلوك والمسارات التاريخية في عدد كبير من الإبداعات اليهودية. وبداية من القرن التاسع عشر وبخاصة في القرن العشرين تعرض معظم مؤلفات الشعب اليهودي في إبداعات يهودية في الأدب والفكر والفنون التي تؤلف في الشتات اليهودي وفلسطين.

معظم الإبداعات التي تؤثر في اليهودية في القرنين التاسع عشر والعشرين هى إبداعات إنسانية وليست دينية؛ حيث تنصب حول موضوع الإنسان وصراعه مع مصيره وليس حول الإله أو الفرائض المنسوبة إليه. وتعد إبداعات يهودية لمبدعين يؤثرون على الثقافة المعاصرة – مثل هيانا، شالوم عليخم، فروست، كافكا، سول بلاو، بشبيس زينجر، هس، هرتسل بوبر ويشعياه برلين – هي إبداعات إنسانية وليست دينية تتركز حول معايير القيم الإنسانية، وهى تهتم بصالح الإنسان وليس بالمواعظ واالأحكام التى قالها الحاخامات باسم الإله.

تعبر غالبية الإبداعات اليهودية المعاصرة – الأدب والشعر، وفنون العرض في المسرح والسينما، والفكر والنقد – عن إيمان بالإنسان وبحريته في التصرف

برغبته في إطار الظروف المادية والاجتماعية المتاحة له. ومن هذه الناحية يظهر ارتباط الإبداعات اليهودية بالمعتقدات الإلحادية، بصورها وأشكالها المختلفة عن بعضها البعض، وبالأساس المشترك بها وهو الإيمان بأن صالح الإنسان مقدم ومفضل على كل مصلحة إلهية أو مبدأ آخر. وأن قيم الإنسانية هي معيار للتقييم والتفضيل وموجهة لصالح الإنسان وإنسانيته، وهي معيار كل الأمور. كما أنها مشتركة في مبدأ المتدينين وغير المتدينين، ولكن الإنسانيين المتدينين في اليهودية يدركون – كما كان يدرك ذلك يشعياهو ليفوفيتش – التناقض الذي بين عمومية المبادئ الإنسانية وبين سمو فرائض الشريعة.

ويحاول الإصلاحيون الحقيقيون من بين المتدينين، والذين يواصلون طريق الحاخامات الذين ألفوا التوراة الشفهية (الموجودين في كل تيارات اليهودية وليس بالذات من يلقبون بـ"إصلاحيين") التغلب على التناقض بين مبادئ وقيم إنسانية وبين فرائض وشرائع مناقضة لها. ويعيد هؤلاء الذين يعملون على تغيير فرائض معينة كتابة صيغ صلاة، ويشكلون مجددا عادات ويوفقونها مع المبادئ الإنسانية الخاصة بهم. مثل: منح حق مساواة بين الرجال والنساء في انتخابات حاخامات وقضاة أو رفض نصوص صلاة مهينة كالتى تقول "الحمد لله على أنه لم يخلقني امرأة ". ويقع الأرثوذكس، الذين يؤمنون بأنه لا يحق لهم تغيير أي شئ في الفرائض والصلوات المقدسة في نظرهم، في مشكلة ليس لها حل، مثل مشكلة ليفوفيتس.

كما يؤمن إلحاديون إنسانيون أن حقهم وواجبهم التقييم والحكم والتفضيل ورفض أي فريضة وقانون طبقا للقيم الموجهة لصالح كل البشر – نساء ورجال، في كل عمر، وجنس وعرق، حيث إن غاية الفرائض الأخلاقية هو صالح الإنسان.

يتصدر النقاش حول ماهية صالح الإنسان، الظروف والعادات القيم والقوانين التي تضمن الأفضل لمعظم البشر، موضوع الفكر الإنساني منذ حوارات سقراط. والإجابات المقترحة حول هذا السؤال هي موضوع النقاش الذي يتجلى في

إبداعات أدبية وفنية في كل جيل. ولقد ظلت القيم السامية لهليل وكانط – القائلة: "لا يفعل الإنسان بغيره ما يكرهه لنفسه، ولا ينظر الإنسان إلى الآخر على أنه وسيلة بل هو غاية، وكل مبدأ أخلاقي هو مبدأ إنساني – مبادئ أساسية للحكم على كل قيمة إنسانية وكل سلوك، واتضح في عصرنا أنه بدون إخلاص لتلك القيم السامية فلا احتمال لوجود مجتمع إنساني يحسن إلى الأفراد الموجودين به، حتى وإن كانت مفاهيم "ما هو صالح للإنسان" من شأنها أن تتغير من جيل لجيل.

الحفاظ على الفرائض الدينية أمر له ما يبرره في نظر الملحدين طالما أنها لا تتعارض مع القيم الإنسانية. والفريضة التي تتساوى مع القيم الإنسانية – مثل الفرائض الموجودة في الوصايا (العشر) أو النابعة من مطالب الصدق والعدل يتقبلها إنسانيون إلحاديون ومتدينون على حد سواء. والفرائض التي تتعارض مع تلك القيم – مثل الفريضة التي تستوجب ظلما للنساء في المحكمة فتمنح لهن الحق في أن يكن ماثلات أمام المحكمة وألا يكن قاضيات – فهي مرفوضة في نظرهم ويجب إلغائها.

تحيا الثقافة الدينية – شريعة، صلوات، أشعار دينية، تفاسير، قصص، أعياد، شعائر– في الثقافة العلمانية المتحررة من الديانة. وتعترف المعتقدات الإلحادية بأدب الشريعة الموجود في التلمود بوصفه إبداعا متميزا من النقاشات والخلافات والفتاوى والتي أصبحت فرائض في نظر المؤمنين المتدينين. ويوجد اهتمام كبير بهذا الأدب بوصفه وثائق تاريخية وإبداعات بلاغية وفكرية، إلا أن القوانين والفرائض الواردة به خاضعة للتغيير والإلغاء أو التجديد حسب الضرورات والظروف المتغيرة شريطة أن تخدم مصلحة الإنسان، وتتيح معتقدات الإلحاديين لهم اختيار الفرائض والشرائع التي تلائم قيمهم، وإلغاء أو تجاهل فرائض وشرائع ليس لها صلة بقيم عقيدتهم ومناقضة لها. ويمتنع الإلحاديون عن التوجه إلى الإله بالدعاء أو الطلب أو الصلاة والتي يبدو أنه لا طائل منها في نظرهم، أو مناقضة لعقيدتهم والتي طبقا لها لا يطلب الإنسان أو يصلي أو يدعو شيئًا لا يؤمن بوجوده ككيان منفصل لا تفيده الصلاة ولا تفيد المصلي.

إن المؤمنين بأن الإله هو ابتكار إنساني متغير ومتطور ويعيد البشر تشكيله في الثقافات والعصور المختلفة لا يصلون له، ولا يدعونه، ولايعتبرونه خـالقهم أو مراقبا ومؤثرا في مصيرهم.

لا تمنع المعتقدات الإلحادية أصحابها البهجة واستخدام كل إبداع شعري أو فني يوجد به اسم الإله أو شخصيته كما في أشعار دينية وعلمانية، وصور وتماثيل تصور الإله، وقصص وتفاسير وأشعار الميثولوجيا طالما يوجد لتلك الإبداعات قيمة شعرية انطباعية مستقلة أو دور مبهج في الشعائر وفي الاحتفال، ويستخدمها يهـود ملحدون. وقد يستخدم اليهودي العلماني أشعارا دينية من سـفر المزاميـر بجانـب أشعار علمانية من سفر نشيد الأناشيد. وتُوظف أشعار ونصوص دينية من التنـاخ والقصة التقليدية في احتفال الفصح لدى العلمانيين بجانب أشعار علمانية لعميحاي أو لنعمي شيمر، لألترمان أو إيرا جرشفين. وتلعب إبداعات نموذجية حول موضوعات دينية، مثل أناشيد مزامير معينة، دراما فلسفية مثل سفر أيوب، "طي سيستينا" لميكل انجلو"، دورا في الحياة الروحية لأبناء ثقافة دينية وعلمانية على حد سواء، يهـود وغير يهود.

ويلعب الإبداع الشعري الموجود في الأدب والإبداعاتِ الفنية الأخرى دورا حيويا في الحياة الروحية لكل البشر – متدينين وغير متدينين معا. وتحتاج كل ديانة إلى إبداعات فنية وأدبية لكي تشكل إلهها والشعائر التي من خلالها تحتفل بارتباطها بها، وأعيادها الجماعية والشخصية.

يحتاج الإلحاديون، مثل كل البشر، إلى شعائر في احتفالاتهم – سواء فـي الأعياد القومية التقليدية أو في الاحتفالات الشخصية لدورة الحياة. وكانت الشـعائر والطقوس من هذا النوع دينية طالما كانت الثقافة دينية، ولكن في الجماعات العلمانية يبحث أفرادها عن سبل لتجديد الشعائر وتوفيقها مع معتقداتهم واحتياجاتهم الثقافية. وابتكرت في الثقافة اليهودية غير الدينية قصص جديدة للفصح وسيناريوهات شعائر جديدة لكل عيد واحتفال، ومدرجة بها نصوص مـن الأدب ومـن الفـن الـديني

والعلماني معا، مثلما في طقوس استقبال السبت وإنهائه لدى الأسر العلمانية، وفي احتفالات الحانوكا وإيقاد شموع لدى علمانيين وفي طقوس الاحتفال بسن التكليف بالوصايا عند أبناء العلمانيين. وفي طقوس كتلك يوظفون نصوصا وإبداعات شعرية من كل عصور اليهودية وتياراتها – دينية وغير دينية على السواء . وقد تؤدي أشعار معينة لبيالك وتشيرنحوفسكي وأوري تسفي جرينبرج وهيانا ومانجعر وألترمان، دورا في احتفالات كتلك بجانب أشعار دينية بارزة مثل أناشيد المزامير، والشعر الديني من العصور الوسطى أو من أدب القبالاه.

إن أحد الإسهامات المهمة للجماعات العلمانية الأولى التي نشأت في فلسطين عن الحركة الكيبوتسية هو الجهد المنظم لخلق الشعائر اليهودية التقليدية مجددا في شكل يلائم نمط حياة وأفراد تلك الجماعات وثقافتهم. ويعد نشوء وتجربة تلك الإبداعات الشعبية بين عشرات الطوائف العلمانية في فلسطين وإسرائيل منشأ لتقاليد العيد ومراسمه التى ضمت إبداعات قديمة وجديدة.

وصار جزء من تلك التقاليد أساسا لاستهلال شعائر ومجموعات نصوص جديدة في المعابد العلمانية بالولايات المتحدة، جمع بعضها وبدأ يُبحث – كما في أرشيفات الأعياد الكبيرة للأدب والأعياد في منطقة "بيت هشيطا" وفي "رمات يوحنان" . وتوجد اليوم جماعات علمانية لا تضم اسم الإله في الاحتفالات وفي الطقوس (مثل طائفة بيرمنجهام تمبل في ديترويت) إلى جانب جماعات وأسر علمانية كثيرة تختار نصوصا من الأدب الديني والعلماني على حد سواء.

الفصل الرابع

أسس التعليم الإنسانى لليهودية بوصفها ثقافة

تعليم من أجل إضفاء الطابع الإنساني وتعليم معاد للإنسانية

إن الإنسان فقط هو القادر على أن يسلك سلوكا آدميا أو غير آدمى مثل القتلة النازيين أو سجانى الجولاج أو الشيوعيين الكمبوديين الذين قتلوا قسما كبيرا من أبناء شعبهم. وتحقق كل الحيوانات الأخرى ،باستثناء الإنسان، القدرة الجينية لأبناء جنسها. ولقد تحدث فيكو دلا ميراندولا (١٤٨٦م) عن هذا الأمر وأوضحه فى خطابه حول كرامة الإنسان: "وهب الإنسان تكوينا مضاعفا ناجما عن إمكانية الخيار التى منحت له. حيث إن كل مخلوق له نطفة تحدد خواصه، لكن الإنسان فقط هو الذى يستطيع أن يشبه الحيوان فى خلقه، والملاك فى رشاده ، والنبات فى فتوره، والإله فى فهمه للعالم وفهم نفسه وفى طهارة صفاته.

وتحمل الإنسانية مجمل المعتقدات التى تنظر إلى إضفاء الطابع الإنساني على أنه قيمة عليا ومعيار سام لتقييم وتفضيل كل قيمة وسلوك أو نظام حكم يحدد وفق الشكل والمدى اللذين من خلالهما تطور الأنظمة مسارات الإنسانية أو تئدها. ومن هنا يأتى تقييم وتفضيل أنظمة الديمقراطية على الأنظمة الدكتاتورية، وتفضيل المبادئ السلوكية التى تنظر إلى الغير على أنه غاية وليس وسيلة، وتفضيل القوانين التى تضمن حقوق الإنسان والمساواة والحرية على تلك التى تخضع جزءا من البشر للغير. حيث يؤدى القهر والجور إلى لاإنسانية المُضطهِدين والمضطَهَدين على حد سواء.

وتزدهر مسارات إنسانية الفرد –تهيئته للمجتمع وتثقيفه وتطوير شخصيته النقدية والمستقلة– فى الديمقراطية وتضمحل فى عكسها. ولقد تم إرساؤها عن طريق المعتقدات الإنسانية التى توجه القيم الإنسانية والتى تؤمن بأن الإنسان آدميا

وأنه يؤمن مثل "هليل" و"كانط" بالمبادئ الأخلاقية التى تقول: "لا يفعل الفرد بغيره ما يكرهه لنفسه، وألا ينظر الإنسان إلى غيره على أنه وسيلة بل هو غاية، وألا يطبق قانون أخلاقى ما على جماعة واحدة من السكان فقط.

تعليم ــ تأهيل للمجتمع ، تعليم للتثقيف والاستقلال الشخصى

يقول أرسموس "إن الفرد لا يولد إنسانا، فهو يصير إنسانا من خلال تطور النقاش وبخضوعه لسلطة المجتمع وهذا شرط لفرديته.

وهذان الاتجاهان متناقضان لأول وهلة، ولكنهما يعملان بالتنسيق مع مسارات العملية الإنسانية التى غايتها التعليم الإنسانى:

١ - اتجاه تهيئة الفرد للمجتمع وتثقيفه - تكيفه مع المجتمع وثقافته، وجعله يلم بمسلماته، وواجباته وحقوقه فى المجتمع.

٢ - اتجاه تطوير النقد واستقلال الشخصية وهذا يشجع الاستقلال الروحانى للفرد، والقدرة والتعود على نقد وتمحيص كل ما اكتسب فى مسار التهيئة للمجتمع والتثقيف، والقدرة على الإبداع والنشاط الذى يعبر عن تميزه وقدرة تحقيق القوى الكامنة والفردية لديه.

وتتحقق تلك المسارات فى الأسرة والطائفة والمجتمع والمتبنين الثقافة القومية من خلال التعرض لوسائل الإعلام الدولية والثقافات القومية الأخرى.

نحن فى عصرنا شهود على ظهور ثقافة إعلامية وترفيهية دولية مشتركة بين ثقافات قومية كثيرة فى حضارة واحدة. وتتطور على خلفية تلك التطورات حركات تهتم بالخصوصية القومية، وتسعى لحفظ وتطوير اللغة القومية وثقافتها، وتحاول تأكيد استقلالها للكيان القومى، فى أطر فيدرالية أو فى دول متعددة القوميات.

إن معظم الحروب التى دارت رحاها منذ الحرب العالمية الثانية نتجت عن صراعات بين كيانات قومية عرقية أو قبلية فى أوربا وأسيا وأفريقيا. ويشجع الانتشار الكبير والمتزايد لشبكات الاتصالات الدولية الوعى بالانتماء القومى وخصوصيته، فى مقابل اتجاه دولى لمنتجات استهلاكية ولمنتجات ترفيهية دولية

إعلامية وثقافية -، مثل موسيقى البوب، صناعه المعلومات المحوسبة أو أفلام إثارة ورعب دولية مترجمة عن لغات قومية .

تنمية الجوانب الإنسانية فى الثقافة القومية

إن العملية الإنسانية هى عملية تثقيف الإنسان فى المجتمع وفى الثقافة القومية التى نشأ بها. ولا يوجد فى العالم بيئة ثقافية ليست قومية (عرقية أو قبلية). وتتميز كل ثقافة قومية عن الثقافات القومية الأخرى باللغة وبمنظومة المفاهيم وتداعى المعانى الخاصة بها، وبإدراك للتراث التاريخى والثقافى، وبالعادات والشعائر، وبالمعتقدات السائدة بها، وبالنظرة إلى الكيان القومى وتباينة عن المجتمعات التابعة لثقافات قومية أخرى. وتنمو فى الحضارة الواحدة ثقافات قومية متميزة ومختلفة عن بعضها البعض كما فى الحضارة الأوربية فى القرن العشرين.

وبكلمة "حضاره" نلقب إجمالى الوسائل والأدوات التكنولوجية والتنظيمية التى تمد الاحتياجات الجسدية والاجتماعية للفرد.

أما "الثقافة" فهى اسم لمجمل الظواهر والإبداعات التى تشكل البيئة الروحانية التى ينشأ بها الفرد. ووفقا لكلام بوبر (فى كتاب وجه إنسان) فإن :الحضارة -هى تشكيل عقلى لنظام علمى، عملى ونفعى. ويكون تحقيق وتطبيق هذا النظام عن طريق أنظمة وأدوات. لكن "الثقافة" هى رصد لحركة حياة الإنسان بهدف التعبير عنها وعن تطلعها ومحاولتها كسب شكل ماهيتها – على نقيض هذه الحركة فكل شىء موجود ليس إلا مادة لتشكيل صورة إبداعاتها -غير المتكررة، ورموز اعتبرت كحقيقة للنفس.

وعلى نقيض الحضارة فإن الثقافة لا تتراكم بل يجب ابتكارها مجددا فى كل جيل، وإبداعات الثقافة ليست وسيلة لغاية بل هى غاية فى حد ذاتها، لها دلالتها الشخصية الواضحة بداخلها.

تندرج فى الثقافة الأنماط التى بها يشكل الإنسان نفسه بمواد وتقاليد متاحة له من خلال المجتمع الذى يعيش فيه.

ونجد فى الإبداعات النموذجية التى تمثل ثقافة معينة تعبيرا عن تفرد وتميز مبدعيها والإنسان. ويعد الإبداع والتقليد هما وجها الثقافة ـــ ولكلايها معا قيمة ثقافية.

اعتراف بهوية يهودية وعربية فى إسرائيل

يعيش اليهود فى الشتات وينشأون فى ظل الثقافة القومية لبلدهم، وبمدى يتضائل فى ثقافة طائفتهم اليهودية. وتختلف الهوية اليهودية لليهود الأمريكان عن الهوية اليهودية لليهود الفرنسيين، تماما مثلما أن الهوية الفرنسية أو الأمريكية لهؤلاء اليهود مختلفة عن الهوية الفرنسية والأمريكية لغير اليهود الذين يعيشون فى بلدانهم. وتستمر خصوصية الهوية اليهودية، فى كثير من الحالات، بالرغم من مسارات الاندماج الثقافى المتزايدة بين يهود الشتات، حيث ينفصل كثيرون منهم عن طوائفهم اليهودية ويعيشون فى مجتمع غير يهودى مفتوح يشجع إندماج اليهود فى أسر وفى جماعات غير يهودية وفى الحياة الثقافية القومية لبلدهم.

يعيش اليهود بإسرائيل فى ظل الثقافة القومية الإسرائيلية اليهودية، فتتميز ثقافتهم وهويتهم اليهودية وتختلف عن الهوية اليهودية ليهود أمريكا أو فرنسا، وهى تتطور فى بيئة ثقافية يهودية فى جوهرها باللغة العبرية، وبنظم تعليم يهودية والتى تؤكد على التعرف على تراث تاريخى وثقافى يهودى وإبداعات التناخ ونخبة من إبداعات يهودية أخرى.

وتنمو الثقافة اليهودية فى إسرائيل بجانب الثقافة الفلسطينية العربية، حيث يشكل الفلسطينيون خمس سكان الدولة اليهودية. وهذه الثقافة مشتركة بين العرب الذين يعيشون فى إسرائيل وفى فلسطين و بلدان عربية أخرى. كما تبرز أيضا فى الثقافة العربية الإسرائيلية علامات مميزة من ثقافات عربية أخرى ، مثل ثنائية اللغة، والتعرض لوسائل الإعلام الإسرائيلية، وتعابير الصراع من أجل مساواة حقوق الأقلية العربية بإسرائيل وإبداعات متميزة فى البحث واللغة والتعليم .

أصبحت الثقافتان –الإسرائيلية اليهودية والإسرائيلية الفلسطينية متأثرتين، مثل كل ثقافات الشعوب، بعوامل ثقافية دولية عندما تحافظان وتؤكدان على تميزهما :

فى اللغة، وفى النظرة إلى التراث التاريخى والثقافى، وفى الأعيـاد، والإبـداعات السائدة بينهما، والعادات، والتقاليد، والنظرة إلى الديانة وإلى العلمانية، والنظرة إلى الأرض وأبناء شعبها فى بلدان أخرى، وفى النظرة إلى أبناء الشعوب الأخرى.

وتتطور فى كل ثقافة من هاتين الثقافتين بإسرائيل حركـات إنسـانية تشـجع إضفاء الطابع الإنساني، وتسعى لتحسين ماهية الحياة، وتتصـارع مـع معـاداة الإنسانية والتى ترعاها أيديولوجيات وحركات متعصبة قوميا وعنصريا.

يسعى التعليم الإنسانى الإسرائيلى إلى تطوير وعى اليهود والعرب تجـاه ثقافـاتهم الخاصة، وتطوير الإبداع والتعليم فى كل ثقافة مـن هـاتين الثقـافتين، وتطـوير ارتباطها بثقافات شعبهم فى كل البلدان، وفى المقابل -الاهتمام بالعلاقات الثقافيـة المتبادلة واللقاء الاجتماعى والتعاون فى كل مجالات النشاط الحضارى والسياسى.

ويوجد للتعليم الإنسانى فى كلتا الثقافتين أهداف مشتركة كثيرة فى مجـال إضفاء الطابع الإنساني والصراع ضد العنصرية بأنواعها، تماما مثلما يوجـد لـه أهداف مشتركة فى الاهتمام بخصوصية كل ثقافة من هاتين الثقافتين القوميتين فـى نظم التعليم الخاص بهما، وفى أطر اجتماعية وطائفية، خلال لقاءات مشتركة بـين الذين يعيشون فى الثقافتين وفى دولة واحدة .

ولقاء مثل هذا بين ثقافات قومية مختلفة مألوف فـى دول كثيـرة ، مثـل: سويسرا، بلجيكا، كندا، نيجريا، الصين وأندونسيا. وتساعد السياسة التـى تعتـرف بالاختلاف والخصوصية الثقافية القومية على حوار مثمر بين الذين يعيشـون فـى الثقافات المختلفة فى كيان سياسى واحد.

وفى إسرائيل يتم التركيز على دراسة أساليب اللقاء بين الثقافتين وعلى إلمـام الدارسين والمعلمين فى كل ثقافة منها بمصادرها، وبالإبداعات النموذجية التى ألفت بها، وتراثها التاريخى، وتطور اللغة القومية وعالم المفاهيم الخاصة بها، والعلاقات الثقافية بين أبناء الشعب اليهودى والعربى فى إسرائيل وأبناء شـعوبهم فـى دول أخرى، والعلاقات بين الديانة والعلمانية فى كل ثقافة من هاتين الثقافتين، ومبـادئ

الإنسانية وحركات حقوق الإنسان وصدامها مع معارضيها وإمكانيات التعاون بين الحركات الإنسانية فى كلا الشعبين .

تعليم يهدف إلى ترسيخ قيم المساواة وضمان حقوق الفرد والمجتمع

يشمل التعليم الإنسانى – فى اليهودية وفى كل الثقافات القومية الأخرى– تعليما للديمقراطية بوصفها النظام الوحيد الذى يستطيع ضمان الدفاع عن حقوق الأفراد والأقليات فى المجتمع. ويضمن مثل هذا المجتمع الظروف المثلى لمسار إنسانية الأفراد، وتحقيق الحد الاقصى من القدرات الخاصة الكامنة فى كل واحد منها، ومساواة حقوق الأفراد فى المجتمع والمساواة فى تأدية واجبات الأفراد تجاهه.

ويسمح المجتمع الديمقراطى لكل أقلية تعليم الدارسين بها بأسلوبها الخاص طالما أنهم يؤدون واجباتهم تجاه المجتمع ويضمون فى تعليمهم الإلمام بالديمقراطية، والدستور والوجبات التى يفرضها والحقوق التى يكسبها لكل فرد – رجال ونساء. وآداء واجبات الأفراد تجاه المجتمع هو شرط حيوى لوجود المجتمع الديمقراطى وقدرته على المنح والدفاع عن حقوق كل فرد وأقلية به. ومن أجل ضمان حقوق الأفراد فعلى المناهج الدراسية لكل أقلية – دينية أو علمانية – أن تشمل إكساب مهارات لغوية تاريخية للشعب والعالم والإعداد لدراسات العلوم والتكنولوجيا.

ويشمل الاعتراف بمشروعية الخلاف الاعتراف بعدم المشروعية الشمولية التى تعيق كل خلاف. ويبرز التعليم الإنسانى تفضيل الديمقراطية على كل بدائلها بكونها النظام الوحيد الذى يتيح تحقيق الحد الأقصى من مبادىء المساواة فى مجتمع إنسانى. ويمحص التعليم الإنسانى من أجل الديمقراطية والمساواة حقوق فى اليهودية علاقة المصادر فى اليهودية بهذه القضية.

ويتناول "حاييم كوهين" قضية المساواة والاختلاف فى المصادر اليهودية القديمة، وذلك فى كتابه الذى يضم محاضراته المذاعه حول حقوق الإنسان فى المقرا والتلمود:

"هذه لغة البند الأول للتصريح العالمى للأمم المتحدة بشأن حقوق الإنسان. ولد كل الناس أحرارا متساوين فى الحقوق والكرامة. ولا تعد هذه المساواة بين الناس والتصريح بأنهم جميعا ولدوا متساوين وأحرارا، اختراع أصحاب هذا التصريح ومصدره؛ حيث إن معظم الحقوق الأساسية للإنسان كامنه فى المصادر اليهودية "

وتشير المقرا إلى أن الإله خلق الإنسان على هيئته وشبهه (على هيئة الإله خلقه ذكرا وأنثى خلقهم) كل إنسان خلق على هيئة الإله وكل الناس متساوون فى هذا. وذكر الفرق الواحد والوحيد بينهم فى الفقرة نفسها، وهو الفرق بين الذكر والأنثى. ولكن قد ذكرت أيضا الفروق بين الجنسين فى نفس السياق ليؤكد المساواة التى بينهما، فكما خلق الذكر على هيئة الإله فقد خلقت المرأة كذلك على هيئة الإله. حيث لا يوجد جنس للإله (على أية حال لا توجد ضرورة ليكون له جنس) ولكن الحقيقة أنه يوجد فرق جسدى فسيولوجى بين الذكر والأنثى، ولا يضر هذا بالمساواة الشخصية والأخلاقية والشرعية بينهما. لأن كل إنسان خلق على هيئته، كل إنسان مساو لغيره، ولا يحق لفرد القول لغيره أنا أعظم منك، ودمى أحمر من دمك.

كان الحاخامان منقسمان فى رأيهما حول ماهو أعظم مبدأ فى التوراة، فيقول الحاخام عقيبا: "أعظم مبدأ فى التوراة هو "أحب لأخيك كما تحب لنفسك" أما "بن عزاى" الذى كان ابن عمه وتلميذه، يختلف معه ويقول:"إن أعظم ما فى التوراة هو "أنها تعد كتاب تاريخ الإنسان يوم أن خلقه الإله على هيئته، وقد خلقه ذكرا وأنثى.

ما هو الفرق بين رأى الحاخام عقيبا ورأى بن عزاى؟ يقول أحدهما لا يمكن أن نطلب من كل إنسان أن يحب كل الناس بمقدار متساو. فلا تستطيع أن تحب إنسانا غريبا عنك لا تعرفه ولا تفهمه. ويكفيك أن تحب قريبك والمنتمى إلى شعبك. أما "بن عزاى" فيقول إن كل إنسان قد خُلق على هيئة الإله، وكما أنك مُلزم بحب الإله، كذلك فأعظم مبدأ فى التوراة هو الالتزام بالتعامل مع كل إنسان معاملة متساوية. وما يهمنا هو المساواة الجوهرية بين البشر والملزمين بالتعامل مع كل

واحد منهم بوصفه مخلوقا على هيئة الإله، وهو أعظم مبدأ تقوم عليه توراة إسرائيل (حاييم كوهين "حقوق الإنسان فى المقرا والتلمود").

يتفانى التعليم الإنسانى اليهودى من أجل ترسيخ الاعتراف بحقوق وواجبات كل فرد وأقلية فى المجتمع، وبمساواة الحقوق والواجبات والتى يجب أن يعترف بها المجتمع، وبضرورة الدفاع عن المجتمع ضد الذين يبغون تقويضه من خلال إلغاء الديمقراطية التى تضمن هذه الحقوق. ويسعى التعليم الإنسانى اليهودى لتحقيق المعتقدات المذكورة آنفا، ويبقى أن يتشرب دارسوه بمعارضة كل محاولة لإلغاء حقوق المساواة بين الشعوب، بين الرجال والنساء أو بين تيارات اليهودية (الأرثوذكس والإصلاحيين والمحافظين والعلمانيين) داخل المجتمع اليهودى الإسرائيلى.

التعليم ذو النزعة القومية خطر على الإنسانية

يرفض الإنسانيون -متدينون وعلمانيون- النظرية النسبية والتى تتعامل بتسامح وتفهم ومنح حقوق للتعصب القومى والعنصرى، لأنهم جزء من ثقافة المؤمنين بها. وتتيح هذه الرؤية موارد لتعليم يروج المعاداة للسامية أو رفض حقوق شعب عن طريق شعب آخر.

ويؤدى التعليم وترويج التعصب القومى والعنصرى إلى اللاإنسانية. حيث إنها تتسبب فى أن ينظر الإنسان إلى نفسه على أنه شعب مختار أو عرق أو جنس سام. وفى دور كهذا هم يسمحون لأنفسهم أن يفعلوا بغيرهم ما يكرهوه لأنفسهم، وأن يتعاملوا مع غيرهم على أنهم وسيلة وليس غاية، وتطبيق مبادئ أخلاقية على أبناء الجنس أو الجماعة التى ينتمون اليها فقط.

التعليم المتعصب قوميا وعنصريا هو من أسباب اللاإنسانية لأنه يعمل على نقيض الثلاث قيم السامية للإنسانية والتى تؤكد الإنسانية، كماصاغها هليل وكانط وهى:

- لايفعل الإنسان بغيره ما يبغضه لنفسه .

- لا ينظر الفرد إلى غيره على أنه وسيلة بل غاية فى حد ذاتها.
- المبدأ الأخلاقى غير العالمى لا يعد أخلاقيا.

يؤدى التعليم الإنسانى إلى إضفاء الطابع الإنساني عن طريق استيعاب تلك القيم، والتى تؤكد على الإيمان بمساواة فى الحقوق لكل إنسان وشعب وعرق وجنس. ويكسب التعليم النفعى بأنواعه -المتعصب قوميا وعنصريا- إيمانا بعدم المساواة : فهو يبرر على سبيل المثال تحقير النساء فى الصلاة اليومية (بمقوله الحمد الله أنه لم يخلقنى امرأة) وامتهانهن من خلال إبعادهن إلى المقصورة النسائية (فى الأتوبيس أو فى المعبد)، وهضم حقوقهن فى القوانين وفى نظم المحاكم (مسموح لهن أن يكن ماثلات أمام المحكمة وألا يكن قاضيات).

وعلى هذا النحو يرسخ التعليم العنصرى بأنواعه الاعتقاد المختلق بأفضلية الرجل على المرأة، وبسمو الأرى على اليهودى وبأفضلية اليهودى على غير اليهودى.

وتشوه معتقدات كتلك فى وعى المؤمنين بها صورة الواقع وتقلل من آدمية الإنسان المؤمن بها لأنها تقوض وتلغى صلاحية القيم الإنسانية.

ويتواجد المجتمع الديمقراطى الذى يعلم الإنسانية بفضل آداء واجباتنا تجاهه ومن خلال الدفاع عن حقوق الإنسان من أجل المساواة والحرية والاحترام المتبادل. ويعد الدفاع عن وجود مجتمع كهذا أمام أيديولوجيات عنصرية ونفعية ضروريا للعملية الإنسانية ولاستمرار وجود المجتمع كمجتمع متطور ومستقر.

إن التعليم الهادف إلى التعددية يرفض النسبية التى تمنح مشروعية وحقوقا متساوية لكل تعليم ينادى بالتعصب القومي والعنصري، ويضطهد أنصار الديمقراطية وزعماءها. ولامبرر لتعليم يرسخ معتقدات كتلك حتى وإن كانت "صحيحة" أو تنمو فى البيئة الثقافية التقليدية.

قيم إنسانية ــ معايير لتقييم ونقد الفرائض والشرائع

تعد القيم هى ،كما أسلفنا، معايير تقييم وتفضيل لفرائض الشريعة أو لقوانيين الدولة. ويؤدى التعليم الإنسانى إلى نقد الفرائض والقوانين حسب معايير القيم الإنسانية. ويمنح الاعتقاد بأن الإنسان هو مبتكر القيم وماهية حياته هو غايتها، وللبشر حق تقييم القوانين والفرائض التى تفيد فى تطوير حياة الإنسان، ورفض القوانين والفرائض التى تضر بماهية حياته .

ويقوم التعليم الإنسانى اليهودى على تلك المعتقدات وليس على الاعتقاد بأن فرائض الشريعة مصدرها الإله وأن هدف السلوك الإنسانى هو إرضاء الإله عن طريق طاعه أوامر الذين يتظاهرون بالتحدث باسمه. ويلغى الإيمان بالمصدر الإلهى للفرائض حق الإنسان فى نقدها وتقييم وتفضيل ورفض فرائض وقوانين معينة، أو تمحيصها لمعرفة الافادة التى تجلبها للإنسان .

واعترف أيضا مفكرون عقلانيون فى اليهودية الدينية - مثل سعديا وموسى بن ميمون- بأنه توجد فرائض لايدرك مبررها، فليس لها مبرر، ولا منفعة للبشر. وعلى ذلك قال موسى بن ميمون أنه توجد فرائض وقتية - فرائض تبطل عبر الزمن- مثل فرائض تقديم القرابين التى ظلت خلال سنوات كثيرة فقط لأن اليهود كانوا معتادين على تقديم قرابين أثناء عبادتهم لآلهة كثيرة أخرى وصعب على البشر الانقطاع مرة واحدة عن تعودهم وعاداتهم .

ويشرح التعليم الإنسانى اليهوية بوصفها ثقافة متطورة ويؤكد على السمة الوقتية للفرائض حيث إن فرائض الشريعة لا تتطابق مع قيم اليهودية، تماما مثلما أن واجب تقديم قرابين لم يشكل قيمة كهذه. وفرائض تقديم قرابين، مثل كل الفرائض الأخرى هى تعليمات الوقت التى كانت سارية المفعول فقط فى نظر المؤمنين بصلاحيتها لمبرر ما، وعندما توقفوا عن الإيمان بذلك توقفوا عن الحفاظ على تلك الفرائض، كما توقفوا عن تقديم قرابين.

ويعتنى التعليم الإنسانى بالنقد وبالتقييم واستنتاج النتائج العملية للتشريع الذى يرسخ أو يلغى قوانين و فرائض مناقضة للقيم الأخلاقية، حتى وإن قيلت صراحة فى المقرا أو قالها رجال دين لاحقون مثل: الوصية التى تطالب بقتل كل شعب "عماليق" أو الفرائض التى تقضى بقتل الخارجين على قوانين يوم السبت، أو الفرائض التى تضطهد النساء. وعلى ضوء إعادة نقد وتقييم كل الفرائض والقوانين طبقا لمعايير فائدتها للبشر فسوف يتوقف كثيرون من دارسى التعليم الإنسانى عن التمسك بفرائض الشريعة التى لافائدة منها حسب رأيهم، أو بتلك التى عفا عليها الزمن، حتى وإن لم تكن مناقضة لمبادئ الأخلاق مثل : فرائض الطعام الحلال، وفرائض الامتناع عن ملامسة المرأة خلال أيام كثيرة كل شهر، فرائض الامتناع عن مشاهدة التليفزيون يوم السبت أو فى كل الأيام الأخرى وغيرها.

تقدست فى اليهودية ،كما فى كل الثقافات الدينية، تقاليد وشرائع قديمة مناقضة للقيم الإنسانية مثل: واجب الضرر البدنى بالأطفال وبأعضائهم الجنسية، تحريم تحديد النسل (أحد الأسباب الأساسية فى الانفجار السكانى وانتشار المجاعة والتخلف فى مناطق الفقر فى العالم) فرض شرائع دينية على غير متدينين وغيرها. ويشجع التعليم الإنسانى إعادة تمحيص وتقييم كل القوانين والفرائض مجددا بهدف إلغاء كل قانون وفريضة تضر الناس أكثر مما تنفعهم.

قال "يشعياهو ليفوفيتس":لست إنسانا (فى محاضرته التى نشرها فى كتاب "اليهودية المتحررة والديانة فى إسرائيل" ١٩٩٩) حيث عارض كل تغيير فى فرائض الشريعة. ورأى أنها ذات فاعلية متساوية، لاتخضع للتقويض، بما فى ذلك ، كما قال فى محاضرة أخرى، المساواة بين فرائض الحفاظ على السبت وفرائض الإبادة الجماعية لشعب عماليق. وستضم دراسة اليهودية بوصفها ثقافة تقييمات وتفضيلات وليس فقط وصفا أنثربولوجيا موضوعيا يقارن بين العادات لكى يصنفها بشكل علمى. وتؤكد دراسة اليهودية بوصفها ثقافة متطورة، على سبيل المثال، الميزة الأخلاقية للإصلاح فى الديانة اليهودية والتى ألغت الصلوات التى تهين

النساء، وألغت المقصورة النسائية، وألغت الحق الخاص بالرجال في اختيار حاخامات أو مرتلين أو قضاة للشؤن الدينية، وألغت شرائع يوم السبت التى تعطل حرية التنقل (بما فيها الانتقال إلى المعبد ومنه) والاستمتاع بيوم الراحة والفراغ.

وينظر إلى تلك التغيرات البارزة فى الديانة اليهودية فى عصرنا ليس فقط بوصفها ظاهرة تاريخية متعددة الدلالة بل أيضا من ناحية الفائدة التى جلبتها لليهود المتدينين الذين يرغبون الانتقال إلى المعبد فى أيام السبت وفى الأعياد، ولليهود العلمانيين الذين يرغبون قضاء السبت بعيدا عن بيتهم.

ويشجع التعليم الإنسانى إلغاء النظرة إلى الفرائض والشرائع على أنها مقدسة بسبب مصدرها الإلهى أو بسبب أنها جزء من تقليد قديم.

إن تقييم عادات وتقاليد ثقافية بما فيها شعائر الأعياد والمناسبات فى حياة الفرد والجماعة، ناجم عن تقييم إسهاماتهم لماهية حياة الفرد ولشعور الانتماء الذى يمنحونه له تجاه الجماعة الثقافية التى يعيش بها، ولتنوع الحياة وإثرائها من خلال عادات العيد وعنصر التسلية الذى يشارك الحاضرون به فى احتفال كل عام.

يعمق التعلم الإنسانى هذه المعرفة ويمزجها برؤية نقدية لتقييم وتفضيل كل عادة، و فريضة وقانون، على ضوء الإفادة أو الضرر الذى قد يسببونه للبشر.

تعليم إنسانى مشروط بثقافة واسعة ونشاط اجتماعى

الثقافة :

يكسب التعليم الإنسانى اليهودى دراسيه التعرف على اليهودية بوصفها ثقافة الشعب والشعوب من خلال نظم ثقافة واسعة، تساعد الدارس على معرفة انفتاح الثقافة اليهودية على تأثيرات ثقافات الشعوب وتأثيرها عليهم، والقواسم المشتركة لثقافات الغرب المعاصر ودور القيم الإنسانية فى تطورها.

وتضم ثقافة كتلك إلماما انطباعيا وفكريا بالإبداعات التى تمثل الثقافات اليهودية المختلفة التى تعيش بجانب بعضها البعض فى اليهودية، وثقافات الطوائف والتيارات الدينية. وتساعد الثقافة المنهجية الموجهة للإلمام بالإبداعات الكلاسيكية

على استيعاب قيم تضامن إنسانى، وترسيخ قيمة مساواة حقوق البشر فـى العـالم، وتفهم مشاكل الإنسانية عامة والتى تتجلى فى الإبداعات الكلاسكية لكل الشعوب.

والتعليم الإنسانى مشروط بثقافة تؤدى بالإنسان إلى معرفة إنجازات البشر ليس فقط فى مجالات الحضارة، بل أيضا فى مجالات الثقافة كما حددها بوبر.

ويعد مستوى الثقافة والتعرض لتنويعه الإبداعات التى تمثل الثقافة القومية وثقافة الشعوب أحد أسباب إثراء أو ضـعف الحيـاة الروحيـة ومسـتوى تنـوع موضوعات الحوار فى الأسرة وفى دائرة الأصدقاء. وماهية الحياة المشروطة بنوع النشاط الروحانى الذى يتكيف معه الإنسان ويندمج به.

وثقافة كهذه هى جزء لا يتجزأ من كل تعليم يهدف إلى تكيـف اجتمـاعى ومشاركة فى الثقافة القومية والدولية التى يعيش بها دارسوها. ويحقق تعليم كهـذا أهدافه عندما تمتزج الثقافة التى يمنحها بالتعلم وبالاندماج فى النشـاط الاجتمـاعى وبتشجيع النقد والإبداع المستقل.

نشاط اجتماعى :

إن الأداء الاجتماعى فى التعلم الإنسانى للأطفال والكبار الذين يأخذون على عاتقهم مسئولية ومهاما داخل إطار الأسرة والجماعة، يلقى المسئولية على الفـرد. ويمنحه شعورا بأنه يؤدى دورا له مغزى فى حياته، ويعرض أمامه مشاكل تطبيق القيم والمبادئ الأخلاقية، والتى تؤثر على حياة الناس فى المجتمع الذى يعيش بـه. ويمكن جلب نماذج على ذلك من نشاط أطفال وشباب يعملون مـن أجـل حقـوق أطفال، ومن أجل مساواة سكان مضطهدين، ومن أجل الطائفة ونشاط تعليمى ومن أجل شباب منهم، ومن أجل اندماج فى حركات احتجاج على الحرب النوويه وعلى إتلاف البيئة وعلى التعصب القومى والعنصرى وغيره.

مثال : إن مشاركة قسم كبير من شباب اليهود على أرض فلسـطين فـى نشـاط حركات شبابية وأطر الدفاع استعدادا لإقامة الدولة، والمشاركة السياسية والعمل فى نشاط تهجير اليهود سرا من أوربا عقب الحدث النازى، قد أثروا تـأثيرا تربويـا

حاسما فى ترسيخ قيم تضامن قومى وإنسانى لدى أجيال إسرائيليين. ولقد أضر فقدان أطر ووهن التعليم بأداء النشاط التطوعى للأطفال والشباب الهادف إلى حقوق أطفال ومساواة حقوق النساء والأقليات القومية كما أضر بمسارات التعليم الذى يهدف إلى ترسيخ قيم إنسانية بين الشباب الإسرائيلى. وامتزجت مشاعر التضامن مع أناس فى الأسرة وفى الطائفة بين دوائر فى الجمهور الإسرائيلى بمشاعر تضامن مع أناس فى الشعب اليهودى فى كل مكان يعانون فيه من ضائقة بسبب كونهم يهودا ، كما فى روسيا السوفيتيه أو فى أثيوبيا.

ويوجب التعليم الإنسانى اليهودى، مثل كل تعليم إنسانى قومى غير متعصب، توسيعا دائما لدائرة التضامن والمسئولية ويعمق هذا التوسع الاعتراف بضرورة آداء الوظائف التى من خلالها يستطيع الأفراد التأثير على مصير المجتمع القومى والإنسانى وترسيخ قيم تضامن قومية تمتزج مع مشاعر تضامن عامة إنسانية. وتتعزز هذه عن طريق إندماج شباب فى نشاط اجتماعى وسياسى لضمان حقوق المساواة، مثل نضال ومخاطرة شباب أمريكى يهود و"بيض" أخرين من أجل ضمان حقوق مساواة "للأمريكان الأفارقة " فى الولايات المتحدة فى الستينيات والسبعينيات.

يشمل التعليم الإنسانى تعليما يهدف لإندماج سياسى نشط من أجل حقوق الإنسان فى كل عمر وجنس وقوم. ومن أجل ذلك يجب أن تشمل خطة ثقافة التعليم الإنسانى الاعتراف بالمشاكل الاجتماعية والفكرية التى تواجهها، ومواثيق حقوق الإنسان والتى تطالب بالتأكيد على تلك الحقوق، بما فى مصادرها فى الأدب الكلاسيكى، واليونانى واليهودى، وفى الفكر والإبداع الإنسانى الأوربى، وتصريحات حقوق الإنسان فى الثورات الأمريكية والفرنسية، وحتى مواثيق حقوق الإنسان والطفل للأمم المتحدة.

ويختلط التمرس فى نشاط اجتماعى، وثقافة منهجية واسعة لمعرفة الثقافة والإبداعات التى تمثلها، وتشجيع النقد والإبداع لدى الأفراد، بنشاط تعليمى إنسانى

يزيد الوعى بالقيم، وينتقد على ضوئها القوانين والفـرائض والتقاليـد الموجـودة، ويسعى لتحول اجتماعى من أجل تحسين حياة البشر وإثرائها.

الدور التعليمى لإبداعات كلاسيكية يخطئ أبطالها أخلاقيا

يطلق على الإبداعات الكلاسيكية (والتى تسمى أيضا إبداعات نموذجيـة) هذا المسمى بسبب الدور الذى تلعبة فى الحياة الثقافية للجماعة والفـرد، وتسـمى كذلك طالما أنها تؤدى هذا الدور .

يقوم كل تعلم انسانى على معرفة منهجية من الدارس للإبداعات الكلاسيكية لثقافته، وللقواسم المشتركة لكل تياراتها ولتأثير تلك الإبداعات على الإبداع الثقافى فى العصور المختلفة.

و"الإبداعات الكلاسيكية" فى الأدب هى الإبداعات التى تمثل ثقافة شعب أو مجموعة شعوب، إنها إبداعات "مستدامة" تمنح انطباعا وتثير اهتماما فى عصـور مختلفة وبعيدة عن تلك التى ألفت بها، كما أنها إبداعات تدل على العصر الذى ألفت به وتؤثر فى ثقافة قرائها فى كل عصر، وتبرز مشاكل ومعضلات إنسانية عامة فى شكل متميز، وكأنها مشكلة شخصية لأبطالها (مثل: يعقوب، يوسف، أيوب، مـداه، لير، دون كيشوط، فاوست وغيرهم).

ويقيم الإبداعات الكلاسيكية مفكرون ونقاد فى العصور المختلفة بوصـفها إبداعات نموذجية بالشكل الذى ألفت به، ومؤثرة فى التعليم والإبداع فـى ثقافتهـا. ويعد الإلمام بالإبداعات النموذجية هو مفتاح معرفة الثقافة التى تحصى بها، مثـل إبداعات هوميروس فى الثقافة اليونانية القديمة وإبداعات التناخ فى الثقافة اليهودية، والتى تحولت كلتاهما إلى إبداعات كلاسيكية للثقافة الغربية كلها. ولقد أضيف على كل هذا فى عصور لاحقة إبداعات قد تحولت إلى كلاسيكية فى نظر قرائهـا فـى فترات مختلفة فى تاريخ الثقافة، مثل: التراجيدات اليونانية التى قد تطور الاعتراف بها بوصفها إبداعات كلاسيكية للثقافة الغربية بالتدريج منذ عصر النهضة الأوربية،

أو إبداعات فيلون وفيلافيوس والذى قد تطور الاعتراف بها بوصفها جـزءا مـن الإبداعات الكلاسيكية للثقافة اليهودية القديمة فى عصرنا فقط.

وتؤدى "الإبداعات الكلاسيكية " - فى الفن والأدب والفكر- إلـى انطبـاع وجدانى وفكرى لمستوعبيها. وذلك مثل إبداعات كثيرة فى التناخ والتى تستمر فـى أداء دور بوصفها إبداعات كلاسيكية فى الثقافة اليهودية المعاصرة، وتؤثر فى الحياة الروحية والإبداع فى كل تيارات اليهودية - العلمانية والدينية.

وتتحول الإبداعات لتكون إبداعات كلاسيكية أولا وفقا للتحول الـذى طـرأ على الدور الذى تؤديه فى المجتمع والثقافة، مثل: توقـف الإبـداعات الكلاسـيكية اليونانية عن آداء دور الإبداعات الكلاسيكية فى أوربا، بعد العصر الهيلينى خـلال قرون كثيرة، وبدأت تلعب هذا الدورمنذ أن عرفت مجددا لدى كثيرين وأدخلت إلى مناهج التدريس فى أطر التعليم الإنسانى الغربى.

ولعبت معظم إبداعات التلمود والمدراش دور الإبداعات الكلاسـيكية فـى الثقافة اليهودية بالعصور الوسطى بجانب إبداعات التناخ، لكنها توقفت عن آداء هذا الدور فى معظم التيارات اليهودية فى القرن العشرين عقب التحول الذى طرأ فـى ثقافة الشعب اليهودى نتيجة لمسارات الثقافة والعلمنة ولانقسام اليهودية الدينية إلـى تيارات إصلاحية وأرثوذكسية، وللتحول المفرط الذى حل علىالتعليم اليهودى الذى يتلقاه معظم الشباب اليهودى - من التعليم الذى يقوم على دراسة التلمود إلى تعلـيم يهودى يقوم على دراسة التناخ ويدمج اليهودية بثقافة الشعوب.

وتواصل إبداعات التلمود والمدارش، مثل إبداعات فى القبالاه، والشـريعة والتفاسير الدينية، آداء دور إبداعات كلاسيكية بين تيارات يهودية أرثوذكسية لكنها لم تعد تؤدى ذلك الدور بين معظم اليهودية الدينية والعلمانية فى العالم. وتواصـل إبداعات من أدب التلمود والقبالاه والشريعة أداء دور بوصفها جزءا من "مصـادر اليهودية "، وتمثل عصورا تاريخية وتيارات دينية فى تاريخها، لكنها لاتؤثر تأثيرا بارزا على الإبداع وعلى الحياة الثقافية لغالبية اليهود العلمانيين.

وفى كل تيار من تيارات اليهودية يتعرف دارسوه على الإبداعات الكلاسيكية لثقافتها، وعلى مستويات مختلفة من المعرفة والتجربة. وتواصل فى اليهودية العلمانية إبداعات التناخ العمل بوصفها إبداعات كلاسيكية، بجانب إبداعات كلاسيكية من ثقافات الشعوب الغربية. وتستمر فى ثقافات شعوب الغرب إبداعات التناخ العمل بوصفها إبداعات كلاسيكية، كجزء من الإبداعات الكلاسيكية المشتركة لها وبجانب الإبداعات الكلاسيكية لكل ثقافة من تلك الثقافات القومية.

إسهام إبداعات الأدب الكلاسيكى الذى يخطئ أبطاله فى التعليم الإنسانى

منذ أفلاطون يتخبط معلمون ومفكرون فى مشكلة القيمة التربوية للإبداعات الكلاسيكية والتى يحق لأبطالها الخطأ وتخطى القوانين أو مبادئ الأخلاق - من إبراهيم حتى داود، من أجمنون حتى مداه، من مكبث حتى فاوست.

لا يُستخدم فى الإبداعات الكلاسكية أبطال الأدب نموذجا لسلوك جدير بالتقليد. فلن يرغب إنسان أن يتصرف ابنه أو تلميذه كما تصرف إبراهيم مع ابنه، أو كما فعل يعقوب مع أبيه العجوز الأعمى، أو كما فعل يهوا بتحريمه المعرفة والفضيلة. وتعد أفعال أبطال معظم تلك الإبداعات الكلاسيكية هى آثام من وجهة نظر القيم الأخلاقية.

من أى ناحية تسهم إبداعات كتلك فى التعليم الإنسانى الذى يهدف إلى ترسيخ قيم أخلاقية ونقدية؟.

حقيقة إنسانية وحقيقة وجدانية

لاتكمن القيمة التربوية لإبداعات الأدب الكلاسيكى فى عرض نماذج السلوك الجديرة بالمحاكاة، بل فى كشف حقيقة إنسانية (كما يقول تولستوى) وعن طريق الحقيقة الوجدانية المدركة من خلال الانطباع أثناء استيعابها (كما يقول أرسطو)، وبالمواجهه مع ما يخص الجنس البشرى الذى ليس له تعريف إلا فى الإبداع الأدبى والفنى العظيم (كما فى إبداعات شكسبير).

تدل حقائق إنسانية ووجدانية مثل تلك على القوة الكامنة فى الإنسان وهى أقوى من الحقائق التاريخية، والتى تتغير مع تقدم البحث التاريخى والأثرى وفك شفرة دلالاته. وتميط الحقائق الوجدانية التى تكشف ، كما يقول ارسطو، ما يمكن أن يحدث وليس ما قد حدث، اللثام عن قدرات المواجهة الإنسانية مع مشاكل عامة إنسانية، وتكشف إبداعات كلاسيكية فى الأدب ،بكل أنواعه،عن واقع إنسانى عام والذى يعبرعن مواجهه بين كل إنسان وبين فشله. وتعد مواجهة معضلات ومشاكل بدون حل هى جزء من الشرط الإنسانى وشرط إنسانية الفرد. وكلما كان العمل حساسا ومتصفا بالكشف الذاتى كلما واجه أبطاله ومستوعبوه معضلات بدون حل، مثل معضلة هملت، ومعضلة أوديب، ومعضلة يعقوب ويوسف أو معضلة حواء التى خالفت قانونا غير أخلاقى بوضوح، القانون الذى يحظر التمييز بين الخير والشر.

تعرض المشكلات الإنسانية فى الأدب العظيم من خلال مخالفة قوانين ومن خلال آثام أبطاله الأخلاقية. وتكشف من خلال تشكيليهم الأدبى فى الإبداعات النموذجية القدرة الإنسانية على الشر (مثل داود الذى يقتل أوريا) ومواجهة الشر (مثل إرميا الذى يخاطر بحياته من أجل السلام) والبؤس والغضب على الإله والمصير(كما فى سفر أيوب) واليأس من فقدان الهدف (مثلما فى سفر الجامعة) والحب (مثل شولاميت فى نشيد الاناشيد)

ويعد كشف الحقائق الإنسانية من خلال حقائق وجدانية أمرا موجودا فى كل الإبداعات الكلاسيكية، فى كل الآداب المعروفة لنا. حيث لا يتصرف أبطالهم الأساسيين على أنهم ضحايا يثيرون الشفقه بل على أنهم أبطال يواجهون مصيرهم وأنفسهم. ولايوجد فى واقع إبداعات الأدب الكلاسيكى صديقين خالصين أو نهايات سعيدة، ولايوجد عبرة أخلاقية لاتقبل التأويل، بل يوجد فقط كشف لخصوصية القدرة الإنسانية ولعظم تأثرها، وللتعمق فى الفكر وللتعبير السامى، وللغوص فى أعماق

الفشل والعناء الإنسانى ومواجتها (كما فى إبداعات اوريفيدس، وشكسبير، وديستوفسكى وبريموليفى).

إن كشف حقائق وجدانية من خلال تجربة القراءة فى إبداعات كلاسيكية تؤدى إلى إحساس يقينى نادر بأن ماقد انكشف هو حقيقة غير مرهونة بدليل واقعى. ويمتعنا نمط وشكل الإبداع متعة وجدانية وروحانية رغم الصدمة من جراء الإثم والشر اللذين يظهران فى الإبداع. والانطباع عن الإبداع الأدبى والفنى عظيم فى نظرنا، فيخلط الإثارة بالمتعة من خلال الشكل والمضمون، ومن خلال اللقاء مع شخصيات أبطال الأدب ومع مبدعيها، ومع أشكال التعبير وخصوصيتها ومع مقدرة كل هؤلاء على التعبير عن حقائق وجدانية وإنسانية.

وأحد أهم إسهامات التعليم الإنسانى للإثراء الروحانى ولماهية الحياة هو الاهتمام بالقدرة على التعبير عن انطباعات وجدانية كتلك من الإبداعات الكلاسيكية فى الأدب والفن.

والتعلم الذى يهدف الى قيم هو أيضا تعليم يهدف إلى سرعه تأثر بالاشتراط الإنسانى. ولا يشمل ترسيخ قيم إنسانية اعترافا بمبادئ العدل فقط بل أيضا سرعه تأثر بالصدق، والحكم عليه طبقا لمبادئ نابعة عن مبادئ سامية أخلاقية. لمقولة أحد حاخامات التلمود: خربت القدس بسبب أنهم طبقوا بها حكم التوراة ــ وليس أى حكم غيره.

يكشف الأدب الثرى الآثام ويشجبها ولا يحاكم أبطاله وفق معيار الحكم. ويقيم قراؤه مجددا القيم التى طبقا لها نحدد أفعالا مثل إثم أو ذنب ونتحير فى القدرة التى نكشف بها سرعة التأثر والتعاطف مع الأبطال المخطئين.

إن مشاعرنا تجاه أبطال الأدب الثرى ليست مشاعر شفقه بل مشاعر ارتباط وتعاطف حيال القدرات المشتركة لنا ولهم. والارتباط بين القارئ والبطل الأدبى غير مرهون باستقامة البطل بل بالثراء الإنسانى الذى يظهره المبدع بوصفة له؛ فالملك لير أقرب إلينا من ابنته، "ورسكو لديكوف" أقرب إلينا من "سوننا" الطيبة،

ويوسف أقرب إلينا من يهودا لذى أراد التضحية بنفسه لكى لا يحزن أبوهما، وداود أقرب إلينا من أبشلوهم الذى انتقم من والده لعدم مبالاته لاغتصاب اخته "تامار".

حواء وبرومثاوس

تعد حواء في الأسطورة اليهودية وبرومثاوس فى الأسطورة اليونانية همـا بطلتان أدبيتان تتحولان إلى رموز للإنسانية فى ثقافة الغرب. وترمزان إلى تحرر البشر من الخضوع الملزم للطبيعة، وإلى التمرد على قوانين مستبدة والتى تهـدف إلى قهر الإنسان وحرمانه من حرية الإبداع المرهون بتقدم الحضارة، مثل اختراع النار والتى وهبتها برومثاوس للإنسانية، وتطور المعرفة والتمييز وتفضيل الخيـر على الشر، وظروف تطور الخليقة والإبداع.

وماكانت لتتحقق إنسانية كل البشر لو تركوا فى الغابات مثل الجنـة التـى بعدن، خاضعين للطبيعة أو للإله، يعانون عدم المعرفة وعدم التمييز بـين الخيـر والشر، بدون خجل، والتى هى ناجمة عن المعرفة والمحرك للضمير.

فى عصرنا تهدد حقيقة نسبية ما بعد الحداثه أسس التعليم الإنسانى، وذلـك عندما يتحول التعليم فى أماكن كثيرة إلى تأهيل مهنى يهتم باختصاص ضيق ويهمل تطور إنسانية دارسيه، وزادت خطورة العودة إلى جنة عدن التـى تمثـل الجهـل الثقافى وعدم التمييز بين الخير والشر.

وعلى التعليم الإنسانى أن يثير مجددا القضية ومواجهـة تلـك المشـاكل الأساسية لإنسانيتنا عن طريق إبداعات كلاسيكية مثل قصة حـواء فـى التكـوين ومسرحية برومثاوس المكبلة لأيسخيلوس.

تطوير قدرة الانطباع الوجدانى فى التعليم الإنسانى

يعد الأدب والفن الكلاسيكى أمرين ضروريين فى التعليم الإنسـانى للفـرد بكونها عاملين حيويين فى تنمية قدرة تمييز لما هو نافع وخير فى الإبداع الإنسانى. ومعظم منتجات الترفيه التى تتعرض لها – التمثيليات والأفلام وبرامج التليفزيـون والراديو، وهى أعمال ترفيهيه تؤدى إلى انفعال معاكس (مثـل أفـلام المطـاردة

والجنس والحرب والجريمة). وتواصل من نواح كثيرة إبداعات العرض الخاصة بالصراعات العنيفة والفتاكة تقليد عرض معارك المصارعين فى العالم القديم.

إن العروض والكتب التى تثير الغرائز، والرعب والإثارة، بدون إحساس وتفكير، تمنح فى أحيانا نادرة انطباعا وجدانيا يشمل استجابة لشكل متميز ولمغزى الإبداع. ويتكون الانطباع الوجدانى من عوامل إنفعال (انعكاسيه) وشعور (عاطفة) مُثارة إزاء أشكال ومضامين الابداع الفنى.

وتُثار المشاعر والأفكار بمواجهة مشاكل إنسانية معروضة فى الإبداع، فى غضون الانبهار بشكله المتميز.

يحتاج الناس إلى عوامل إثارة - إثارة وضحك وشفقة ورعب - تحدث لهم فى التخيلات والأحلام، وعروض المسرح والسينما والألعاب وفى الأقنعة والتنكر فى المسابقات وغيرها. وتتظاهر مسببات الإثارة تلك بأنها واقعية، لكن المشاهد يدرك أنها نتاج خيال ولاتستطيع الإضرار بجسده.

وتنتشر مثل تلك الألعاب بين الصغار والكبار على حد سواء. فهى تؤدى دورا مختلفا عن ذلك الانطباع الوجدانى الناجم عن إبداع له شكل ودلالة متميزة. وتسبب انطباعا متميزا يُدعى "انطباع وجدانى" على اسم الإبداعات الوجدانية والتى يحددها الانطباع.

نعتاد على تسمية الانطباعات على اسم المسبب لها حتى بدون القدرة على تعريفها بالكلمات مثل : انطباع جنسى ،انطباع غذائى ، انطباع جمالى وانطباع وجدانى...إلخ .

علاقة تطوير قدرة الانطباع الفنى وتعلم اليهودية

يكشف التعرض للإبداعات الوجدانية التى تسبب انطباعات عاطفيه للدارس عالما مبهجا يثرى نفسه وحياته الروحانية. وتواصل الإبداعات التى تسبب تلك الانطباعات العيش فى ذاكرتنا، وتربطنا بالذاكرة الجماعية للثقافة التى نعيش بها.

وبفضل تلك الانطباعات تتنوع وتتعمق الرابطة الوجدانية والادراكية لدى الإنسان تجاه الثقافة المعروضة فى الإبداعات الوجدانية التى تسبب له تلك الانطباعات.

إن الانطباع الوجدانى الناجم عن إبداعات فنية مثل: سفر الجامعة ونشيد الاناشيد، رواية الآباء والأمهات وقصيدة الخلق وأشعار من المزامير، والإبداعات النثرية والشعرية اليهودية، دينية وعلمانية، قد تطورت خلال ألفى سنه منذ اختتام التناخ يُعرّض دارسى التعليم الإنسانى اليهودى لإبداعات وجدانية متميزة فى ثقافتهم.

ويمتزج تطويرقدرة الانطباع الوجدانى أثناء التعرض لإبداعات كلاسيكية يهودية وأخرى فى كل العصور بتطوير الوعى بالتراث التاريخى والثقافى للشعب اليهودى وللشعوب التى يعيش بينها. ويقوى الاستمتاع بصورة التعبير وبناء الإبداع، وبالإثارة، وبالاحساس وبالفكر، الارتباط بالإبداعات التى تعرض عصورا وتيارات فى الثقافة اليهودية.

لا يحظى معظم الناس فى عصرنا بتعليم إنسانى منهجى. ولذلك فهم معتادون على الاكتفاء بإبداعات ترفيه، وإثارة وانفعال، والتى تنسى بمجرد استيعابها ولا تتجمع فى الوعى الثقافى للفرد. وفى معظم الحالات لا يحاول نظام التعليم مواجهة الفقر الروحانى لهؤلاء الذين كل غذائهم الروحانى هو إبداعات تؤدى إلى ردود فعل إنعكاسية بدون تحديات، وإحساس وتفكير، وبدون تقييم لشكل متميز أو لشخصية المبدع وأسلوبه.

تولد الحياة الثقافية المصنوعة فقط من إبداعات ترفيه وإثارة إحساس فراغ خطير، وألما للأعضاء الروحانية والوجدانية المعطلة عن العمل. وتماثل الحياة النفسية لمستهلكى الترفيه المثير فقط الحياة النفسية للأفراد الذين يقبلون على الإشباع الجنسى لكنهم لا يحظون بإحساس الحب. ويمتزج التعليم الإنسانى الذى يهدف إلى ترسيخ قيم أخلاقية وتطوير ثقافة وجدانية بتعليم إنسانى يهدف إلى تطوير قدرة الانطباع الفنى. ويوسع تعليم كهذا المعرفة ويعضد تمييز وتقييم الإبداعات التى

تسبب انطباعات كتلك، وبواسطتها يلتقى الفرد مع ثقافة الشعب الذى يعيش به ومع ثقافات الشعوب التى يعيش بينها شعبه. ويخلــق التعــرض المنهجـــى لإبـــداعات كلاسيكية فنية وأدبية قادرة على أن تسبب انطباعات وجدانية، فى ســن الشـــباب، احتياجات روحانية يواصل الإنسان إشباعها طوال حياتـــه. ويـــتم إشـــباع تلـــك الاحتياجات عبر لقاءات متواصلة للإنسان مع إبداعات تمثل ثقافته.

لا يولد إنسان متعطشا إلى إبداعات وجدانية متميزة أو سامية، ولكن يمكـــن أن ينمو لدى الإنسان الشوق والاستمتاع بإبداعات نموذجية فى الأدب والموســيقى وفن التصوير والنحت وفنون العرض.

ويحدث الاهتمام بكفاءة النقد والاستقلال الروحانى فى غضـــون التعـــرض لإبداعات نموذجية أدبية وفنية وخلال تطوير ملاحظة تميـــز الإبـــداع، والصـــفات المشتركة له مع الإبداعات الأخرى، عوامل الانطباع الوجدانى أو عوامل مشـــاعر الرفض التى يسببها الإبداع.

وتخضع الإبداعات النموذجية فى نظر الطبقة المثقفة التى تقـــوم بتثقيـــف جماعة معينة خلال أجيال كثيرة للاختبار مجددا فى كل جيل. وتتحول الإبـــداعات التى تقبل بوصفها إبداعات نموذجية لدى جيل المثقفين الجدد إلى جزء من نظام القيم الجمالية التى تساعد على تطوير قدرة النقد وترعى قدرة الاستمتاع بإبداعات أدبية وفنية.

التعامل مع الغير والارتباط بالمخاطب والمخاطبة فى التعليم الإنسانى

ميز بوبر بين التعامل مع الغير بوصفه "مخاطبا" حيث نظر إلى "الغير" على أنه وسيلة تخدم احتياجاتنا، بسبب وظيفته فهو يقوم بالخدمات، مثل العلاقـــة بـــين المعلم والتلميذ، وبين الطبيب والمريض، وبين الحاكم والمحكوم.. إلـــخ. ويظهـــر "المخاطب" و"المخاطبة" تجاه الغير، عندما نعرفه كشخصية متميـــزة بعيـــدة عـــن الوظيفة الذى يؤديها هو أو هى .

تتطور فى الحب وفى الفن وفـــى العقيـدة العلاقــات تجــاه "المخاطــب" و"المخاطبة" أى "الغير". فنحن نطور العلاقة بشخصيات متميزة تظهر لنـا الحـب والصداقة، فى الإبداعات الفنية والأدبية الكبيرة، وفى الإخلاص الذى نشعر به تجاه الإنسان أو الإله. وبفضلهم يثرى العالم الذى نعيش به بكيانات كثيرة والتى تعـيش فى روحنا عبر ما يدرك بالحواس والواقع، مثل أحبائنا الذين يعيشون معنا حتى بعد موتهم، ومثل الإله فى وعى المؤمنين به.

يهتم التعلم الإنساني ،الذى يسعى إلى تطوير رقه الاحساس تجـاه الغيـر بوصفه شخصية مستقلة، بالتعرف على إبداعات فنية وأدبيه كبيرة يتصدرها الإنسان بوصفه مبدعا وبوصفه شخصية قد ابتكرها ويميز بينها وبين الإبداعات التى تعرض الغير بوصفه "الآخر" - وبوصفه وسيلة، وبوصفه كيانا يتلخص فى الوظيفة التـى يؤديها فى حبكة القصة، فى الشخصية المشكله فى الرسم، والتى ليست فقط بقعـة لون لها شكل يؤدى دورًا فى تكوين الصورة.

وعن طريق تطوير قدرة التمييز هذه تتطور رقة الاحساس تجاه الغير حتى خارج الإبداع الأدبى، وتمتزج بمسار ترسيخ القيم الأخلاقية، فى غضون تنمية قدرة الاستمتاع والانطباع الوجدانى، والنقد والتمييز بين القصور والانجازات للإبداعات الأدبية والفنية.

ويصطدم الإحساس بالتعاطف مع البطل الأدبى ويختلط بنظرتنـا النقديـة لصفاته وأفعاله. وتعد تلك المشاعر جزءا من مكونات الانطباع الوجـدانى وأحـد عوامل التقارب الذى نشعر به تجاه المبدعين وأبطال الأدب. ويتحول اللقـاء مـع المبدع من خلال العمل والشخصيات المشكله به إلى حدث روحانى يلقى الضـوء على مسلمات برؤية جديدة تجعلنا نلتقى مع أنفسنا.

فى أحيان نادرة يجد الإنسان شجاعة أو فرصة للوقوف أمام نفسه ويعـرب عن التناقضات التى بداخله بشكل مدرك.

وكثيرًا ما يجسد أبطال الإبداعات الوجدانية تلك التناقضات حيث تعـرض تشكيلتهم الأدبية الصراعات الداخلية التى فى أنفسنا - مثل هملت أو دون كشـوط لفاوست أو أيوب وسفر الجامعة. بانعكاس شخصيتنا فى شخصية البطـل الأدبـى مواجهة الأنا مع نفسه.

يساهم إدراكنا بتميز الأبطال والمبدعين فى الأدب والفن فى تطور إدراكنا بالفردية بوصفها أحد سمات الإنسانية. وينمى الإدراك بتمييز كل فرد لقدرة التسامح تجاه الآخر وتجاه نفسه.

يسهم التعليم الإنسانى الذى يضم تعرضا منهجيا ونقديا للإبداعات الكلاسيكية للثقافة التى نحيا بها، فى تنمية إدراك الفرد لنفسه ولاستقلاله بوصفه شخصية تفكر وتعبر عن آراء تثرى عالمنا الروحانى وعلاقنا بالغير.

تعليم فى الثقافة القومية وفى ثقافات الشعوب

يشمل التعليم الإنسانى الكلاسيكى تعرضـا للموسـيقى والفنـون ولـلأدب والفلسفة، لفنون الحديث والحوار، وللثقافة البدنية والعناية بحب الجمـال، وللعلـوم والرياضة. وكلما نما الإدراك بثقافة إنسانية عامة (فى الهلينية وفى الإمبراطوريـة الرومانية) فإن التعليم فى الثقافة القومية يتحول إلى جزء من تعليم ثقافات الشعوب التى تعيش الأمة بينها. ودرس يهود كثيرون فى العصر الهيلينستى تاريخ الشعوب والأدب الكلاسيكى، بجانب دراسة ثقافة اليونان وإبداعاتها الكلاسـيكية والفلسـفية والأدبية والفنية. ومنذ ذلك الحين وحتى اليوم ينشط فى اليهودية، كما فـى ثقافـات قومية أخرى، اتجاه الانفتاح على ثقافات الشعوب ودمجه فى تعليم ثقافى قـومى - مثلما فى العصور الوسطى فى مناطق تأثير الإسلام والمسيحية، ومثلما فى عصـر النهضة الأوربية والتنوير اليهودى فى مناطق وسط وغرب أوربـا، ومثلمـا فـى عصرنا - فى إسرائيل وكل البلدان التى يعيش بها اليهود خارج فلسطين.

إن فقراء الروح الذين يدرسون الفقر الروحانى عن طريق تعليم منغلق فى قطاع واحد لليهودية متجاهلا ثراءها وتنوعها وإبداعها المعاصر يتجاهلون أيضـا

ثقافات الشعوب. وتُكسب نظم التعليم التى تحولت إلى نظم تأهيل مهنى أو علمى فقط الجهل وتتجاهل التراث الثقافى الذى يعرض فى إبداعات كلاسيكية للثقافة القومية والإنسانية العامة. حيث يتعرض دارسوها فقط أو بوجه خاص لإبداعات الترفية التى فى الموضة، وطالما هى فى الموضة، فتلك إبداعات إثارة إنعكاسية، تفقد بالتدريج ميزتها كإبداعات ثقافة قومية معينة أو كإبداعات تعبر عن شخصية متميزة.

وبدون التعليم الإنسانى فإن نظم التعليم المهنى والتخصص ترعى محترفين أكفاء "مخلوقات ذات رأس مفكر وجسد حيوان" كما أطلق عليهم أحد علماء الجريمة فى نهاية القرن العشرين. فالتعليم الإنسانى ضروري لإقامة مجتمع إنسانى، ويقول أرسيموس "لايولد الإنسان إنسانا بل يصير إنسانا" (من خلال عملية النقاش: فالفردية هى نتاج الخضوع لسلطة المجتمع) ويقول "فيكو دالا ميراندولا" (١٤٨٦) فى خطابه حول كرامة الإنسان :"وُهب الإنسان تكوين وراثى مضاعف ناجم عن إمكانية الخيار التى منحت له. فلكل مخلوق نطفة تحدد خواصه، لكن الإنسان فقط هو القادر على أن يشبه الحيوان فى خلقه، والملاك فى رشاده، والبنات فى فتوره، والإله فى فهمه للعالم، وفهمه لنفسه وطهارة صفاته.

والبشر هم المخلوقات الوحيدة التى تحتاج إلى تعليم منهجى لكى تحقق الخاصية التى تميزهم - ليكونوا بشرا. وتعمل باقى الحيونات وفقا للنظم الوراثية والغريزية الممنوحة لها منذ ميلادها. وتلك النظم لاتجبر الإنسان على أن يكون آدميا، فهى تتيح له التحول ليكون آدميا. وتتيح النظم الوراثية والغريزية التى تدفع تطور الإنسان بوصفه مخلوقا بيولوجيا له بنفس المعيار ليكون أيضا غير آدمي. وإنسانية الفرد متعلقه بعملية الإنسانية أو اللاإنسانية التى فى التعليم.

يتحول التعليم الذى يتجاهل الهدف الإنسانى والعناية الروحانية والشخصية للفرد إلى أحد عوامل تقويض المجتمع الإنسانى حيث تقوض أزمة الهوية التى يعانيها كثيرين من دارسى نظم التعليم فى عصرنا، التمييز بين الخير والشر،

وواجبات الفرد تجاه المجتمع وتجاه الغير، وإدراكه للحقوق التى يجب على المجتمع منحه لها.

يتصرف أطفال مجرمون وقتلة، لا تمنعهم أزمه اقتصادية أو طبقية، مثل السيكوباتين فلا يميزون بين الخير والشر، مجردين من المشاعر تجاه الغير ولا يعتبرونه شخصية متميزة لها حقوق. وتعد هذه أحد الظواهر الخطيرة للغاية على المجتمع والتى تظهر فى غياب التعلم الانسانى.

والتعلم الإنسانى الذى يرسخ التزامات الفرد تجاه الغير والمجتمع الذى يعيش به، يعضد الوعى بحقوق كل فرد فى المجتمع وهذا هو شرط لتعايش أفراد معا فى مجتمع إنسانى قادر على حماية نفسه من التقويض الداخلى.

تعليم الديمقراطية ومصادرها فى اليهودية

يشمل التعليم الإنسانى تعلم الديمقراطية ليس فقط بوصفها النظام الأفضل من أى بديل من ناحية اقتصادية وأمنية، بل بوصفها النظام الإنسانى الوحيد الذى يدافع عن الأقلية وعن الفرد وعن حرية الابداع الثقافى والتعليمى.

ويشمل التعليم الإنسانى التمرس فى إجراءات ديمقراطية فى كل سن، وفى الإلمام بمعتقدات وآراء قد طورت الديمقراطية فى الشعوب وفى العصور التى تطورت بها.

ويتيح بحث إبداعات كتلك ودراستها مواجهة فكرية مع مشاكل مثارة بسبب التناقضات الداخلية التى تظهر فى مسارات الديمقراطية المنبثقة عن أسسها، مثال لذلك مبدأ حكم الأغلبية الذى اتخذه حاخامات فى التلمود، تأثرا بأسس الديمقراطية اليونانية، والذى اعتمد على ما يقال فى التناخ: الميل نحو الأكثرية. وتكشف تكملة هذه الفقرة فى التناخ -"وليس نحو الأكثرية الشريرة" الصعوبات فى تقبل مبادئ الديمقراطية وحكم الأغلبية بوصفه مبدأ ليس له استثناء. ويرتبط الأمر بقبول رأى الأغلبية والانصياع له بتحذير من الانسياق وراء أغلبية عندما تكون غير محقة،

وقرارتها سيئة وتسىء (مثل صعود النازيين إلى الحكم فى إجراء ديمقرطى بألمانيا).

واستنتاج حاخامات كثيرين فى التلمود: يجب الانصياع للأغلبية مع الحفاظ على رأى الأقلية لئلا يُنصف فى المستقبل (الحاخام عقيبا)، لكن بأى حال لا يجب منح حق اتخاذ القرار للفرد، حتى وإن كان هو الإله (كما يُفهم من قصة موقد عخناى)

على أساس هذه الرؤى فى اليهودية أمكن تطوير ديمقراطية بين طوائف يهودية كثيرة أُختير بها زعماء الطائفة واستؤجر حاخامات عن طريق الطائفة، التى يحق لها إبدالهم بحاخامات آخرين، كما هو متبع لدى غالبية الطوائف اليهودية الدينية فى العالم حتى هذا اليوم.

وعلى أساس تلك المبادئ أمكن قيام دولة إسرائيل كديقراطية بمشاركة زعماء وحركات علمانيه ودينية معا. وظهرت فى مرحلة لاحقة للغاية فقط التناقضات بين الرؤى ومطالب بعض الحركات الدينية وبين أسس الديمقراطية.

يقوم التعليم الديمقراطى على التجربة المتجمعة فى الديمقراطيات الكبيرة لشعوب الغرب منذ ظهور الديمقراطية اليونانية، وهو يشمل الانتماء إلى مظاهرها فى اليهودية وإلى الإبداعات الفكرية والنقدية التى تنتمى إليها فى ثقافتنا.

منذ التلمود لم يؤمن معظم مفكري اليهودية أنه يوجد إنسان يتحدث باسم الإله، أو أن مكانة إنسان فى جماعة الحاخامات أو فى التقاليد الدينية تجعله لا يخطىء (مثل البابا)، أو أنه دائما على صواب فى كلامه وآرائه. ولم يتردد اليهود فى الاعتراض على أقوال مفكرين وحاخامات كانت تبجلهم دوائر واسعة للغاية وترى أنهم عظماء الجيل. حتى أنه اعترض كثيرون أيضا على كتاب "مشنه توراه" (تثنية التوراة) لموسى بن ميمون ولم يتقبلوه كدستور ملزم لمعظم دوائر اليهودية فى العالم. ولم يتردد موسى بن ميمون نفسه فى إدانة أقوال حاخامات تلموديين عندما اعتبرهم كذبة يحثون على الشعوذة؛ مثلما فى خطابه إلى طائفة "مونبليا"، والذى

يدين فيه التنجيم بوصفه كذبا، لكن يذكر فيه أن بعض حاخامات التلمود آمنوا بأنه يمكن حساب مصير الإنسان من خلال مسار الكواكب يوم ولادته.

بالطبع توجد فى اليهودية أيضا رؤى معادية للديمقراطية واضحة والتى تكسب الأفراد خاصية - "كبارعلماء التوراة" إصدار أحكام فى كل أمر شخصى أو سياسى، تشريعى أو قانونى، ولازال كثير من اليهود المتدينين يعيشون فى عصرنا فى أطر معادية للديمقراطية سواء من ناحية التنازل عن رأى الأغلبية أو من ناحية تجاهل حقوق الإنسان. وتحولت رؤى معاداة الديمقراطية تلك إلى إرث أقلية تتضائل فى اليهودية.

تقوم الدولة اليهودية على الأسس الديمقراطية والتى تجلت فى وثيقة الاستقلال الخاصة بدولة إسرائيل والتى تلائم مبادئ إعلان استقلال الولايات المتحدة وميثاق حقوق الإنسان الخاص بالأمم المتحدة.

ويساعد التعليم الإنسانى دارسيه على الإلمام بمبادئ الديمقراطية، والقيم الإنسانية العامة، والأفكار التى تنسب إليها فى اليهودية، والإبداعات اليهودية وإبداعات شعوب أخرى والتى تعبر عن أسس الديمقراطية والتى تصارع الذين يريدون تقويضها.

أحد أهداف التعليم الإنسانى هو تعميق الوعى بالقيم الاخلاقية التى تكمن فى أسس الديمقراطية. ويعتبر البحث والتفكير فى المشاكل والتناقضات الداخلية التى تظهر فى الديمقراطية من القيم الإنسانية بوصفها معيارا لتقييم وتفضيل قوانين وأساليب مواجهة تلك التناقضات. ونماذج لذلك مشكلة حدود حرية الحديث والتعليم والتى تحث على التعصب القومى والعنصرى وتقويض الديمقراطية، ومشكلة إعفاء المعارضين لحرب ما بدافع الضمير من واجب التجنيد للدفاع عن الدولة عندما تُهاجم، مشكلة حرية الانضمام إلى جماعات صوفية وغيرها والتى يتزعمها بشكل غير ديمقراطى زعماء يجب أن ينصاع الجميع لهم، ومشكلة تحكم المرأة فى جسدها

وحرية الإجهاض، ومشكلة حرية الإنسان فى الحياة أو الموت برغبته فى ديمقراطية تحرم القتل بدافع الرحمة.

تنمية القدرة اللغوية

يعتنى التعليم الإنسانى بتفوق الإنسان على كل حى فى الطبيعة - وبالقدرة اللغويه التى أنعم عليه بها وقدرته على الاتصال بواسطة رموز لفظية تتغير دلالتها طبقا للسياق وإتفاق المستخدمين لها.

وتبدأ تنمية القدرة اللغوية من اكتساب لغة الأم والأب فـى إطـار الثقافـة القومية التى يعيشون بها. وتتطور القدرة اللغوية لدى يهود الشتات منذ سن مبكـرة للغاية بسبب تعرض الأطفال لعدة لغات علاوة على لغة الأم والأب - منها لغـات يهودية (كالعبرية، واليديشية، واللادينو، والموغرابية والطاطيت ولهجـات للغـات أخرى تحدثها اليهود فقط) ومنها لغات شعوب أخرى عاش بينها اليهود.

وتتطور القدرة اللغوية كلما زاد التعرض لإبداعات أدبية، ومسرحية وإذاعية وسينمائية لغتها ثرية ومتعددة الأساليب، وبنسبة هذا التعـرض لإبـداعات لفظيـة مندمجة فى تطور قدرة الحديث: الحوار والسرد، وتنظيم الفكر اللفظى لتعبير مُركز وواضح. ومن أجل ذلك فعلى التعليم الإنسانى العودة إلى جذوره وعليه أن يشمل فى نظامه الدراسى بلاغة فعلية - وعقد محاضرات ومشاركة فى نقاشات ومجـادلات منذ سن مبكرة، مع الاعتماد على إبداعات أدبية من كل الأنواع.

تنمية القدرات اللغوية ليست موجهة لتنمية الاتصال بين الناس بل لأهـداف عمل أو بدائل. والقدرة اللغوية المتطورة هى أحد الشروط الجوهرية لتحقيق حقوق الفرد وواجباته فى الديمقراطية وقدرته على الإنصات والنقد والتعبير عـن الـرأى والتأثير على ناخبين ومنتخبين على حد سواء.

وتساعد تنمية القدرة اللغوية والثروة اللغوية الفـرد علـى إثـراء عالمـه الروحانى بتجارب استيعاب لإبداعات جديدة وقديمة وفهمها والحـديث عنهـا مـع أصدقائه وأقاربه. ويساعده ذلك على إبراز ماهية حياته، بإضافة مسـتوى نشـاط

علاوة على مستويات النشاط اليومى والتى تسعى لإشباع احتياجات أو ممارسة مهنية.

وتشمل اللغة الإنسانية - على نقيض نظام رموز الاتصال بين حيوانات أخرى - نظاما لمفاهيم تشير إلى ما وراء المحسوس. وتتحول تلك المفاهيم وتمثل "كائنات" موجودة وراء حدود الحاضر الذى يحدث - فى الماضى وفى المستقبل. وهى تضم المفاهيم التى تعبر عن رغبات، وأسس تقييم وتفضيل (قيم) ونماذج وعوامل خوف.

وتبتكر كل الابداعات اللغوية - المفاهيم، والفكر، والحوار، وعلم الأخلاق، والمعرفة والأدب بأنواعه- فى بيئة ثقافية قومية، أثناء لقاء مع ثقافات شعوب أخرى.

كما تشكل تنمية القدرة اللغوية - باللغة القومية وباللغات الأخرى - أحد الأساليب الرئيسية فى التعليم الإنسانى لتحقيق القدرة الإنسانية ولمعرفة الثقافة التى يعيش فيها الفرد ويتعلم.

الهوامش

١ - الشعب اليهودى : مفهوم صهيونى ينطلق من تصور وحدة الاقليات اليهودية فى انجاء العالم وعبر التاريخ ومن الإيمان بأن هذه الأقليات تكون قومية متكاملة أو على الأقل عنـــدها كـــل مقومات القومية. وهذا التصور هو أحد أسس الفكرة الصهيونية التى ليس لها أى ســـند فـــى الواقع فالأقليات اليهودية لم تكن مطلقا داخل بناء تاريخى يهودى مستقل وإنما كانت موجوده داخل أبنية تاريخية متباينة تتفاعل معها وتساهم فيها وترقى برقيها وتتخلف بتخلفها فاليهودى فى روسيا كان روسيا وفى اليمن كان يمنيا وهو أمريكى فى الولايات المتحدة .

وعندما تم اغتصاب فلسطين هاجرت اليها أقليات يهودية من جميع دول العالم لايربط بينهـــا أى رابط تاريخى أو ثقافى أوعرقى ومن هنا ينبغى رفض الادعاء الصهيونى الكاذب فاليهود لـــم يكونوا أبدا شعبا له تاريخ وحضارة قومية مثل أى شعب آخر .

٢ - لفظ تناخ إحدى تسميات كتاب اليهود المقدس وهى النسخة الأكثر شهرة وهـــذه التســـمية مأخوذه من الحرف الأول من كل كلمة من أقسام كتاب اليهود المقدس فالتاء تشير إلى لفـــظ التوراة ،والنون تشير إلى الانبياء ، والخاء تشير إلى المكتوبات أى أن هذه التسمية اختصار لأقسام العهد القديم الثلاثة .

٣ - الحسيدية: حركة دينية اجتماعية أسسها إسرائيل بعل شيم طوف (١٦٩٩ــ ١٧٦١) ومن أهم تعاليم بعل شيم طوف أن الجميع متساوون أمام الله وأن طهارة القلب أفضل من التعليم، وحث على الصلاة والعبادة والزهد. وقد لجأ إلى الحركة كل اليهود الذين تأثروا بفشـــل الحركـــات المسيحانية. وقد تبع الحركة العديد من المتعلمين والمثقفين فى لتوانيا. وقـــد لقيـــت الحركـــة معارضه شديده من السلطات اليهودية الأرثونكسية وذلك بسبب اتجاهها اللاهوتى الصـــوفى وإيمانها بوحدة الوجود واعتبر هذا من الهرطقة . ومارس الحسيديم تأثيرا ثقافيا واجتماعيـــا كبيرا بين اليهود . للمزيد انظر: محمد خليفة حسن: تاريخ الديانـــة اليهوديـــة. ص ٢١٦ ــ ٢١٨

٤ - التلمود: كتاب فقهى مقدس عند اليهود أشبه بموسوعة تضم الدين والشريعة والتاريخ والأدب والعلوم الأخرى.ويشتمل على فصول عدة فى الزراعة والصناعة والمهـــن الحـــرة والربـــا والضرائب وقوانين الملكية والرق والميراث والأعداد والفلك والتنجيم وغير ذلك .

ويوجد تلمود : تلمود بابلى وتلمود مقدسى . وقد تم تدوين التلمود المقدسى فى نهاية القـــرن الرابع مبينما التلمود البابلى الذى يعد أحدث من المقدسى فقد تم تدوينه فـــى نهايـــة القـــرن الخامس وبدايه القرن السادس الميلادى .

وقد أكسب المؤمنون بالتلمود هذا الكتاب قدسيته خاصة وجعلوه العمود الفقرى فى البنـــاء الروحانى لليهودية فى كافة صورها .

ولكن مع المكانة العظيمة التى يحتلها التلمود ومدى المعتقدين به من اليهود، فإنه هناك بعض الطوائف والفرق اليهودية الأخرى لاتؤمن به ولاتقدسه على الاطلاق بل وتهاجمه فى معظـــم الأحيان .

للمزيد انظر:مصطفى عبد المعبود سيد : التطهر فى التشريع اليهودى مـــن خـــلال المشـــنا. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة ١٩٩٩ص ٣٠ ــ٣٢

٥- التوراة الشفهية (المشنا وشروحها المعروفة بالجمارا اللذان كونا معا التلمود)

٦- الحريديين : يطلق على اليهود المتدينين المغالين فى التشدد موالـــذين يعـــادون الصـــهيونية ويكفرون الدولة ويعيشون فى عزلة، اسم الحريديم. والمفـــرد حريـــد بمعنـــى ورع متقـــى. والحريديم ليسوا كالمتدينين العادين، بل هم خلاف الجميع ، إنهم يرتدون ملابـــس ذات لـــون أسود مويرتدون غطاء أسود للرأس أسفل قبعه سوداء ويرسلون ذقونهم. ويعيش الحريديم فى جو العصور الوسطى، ويتحدثون اليديش . وهم واثقون بـــأنهم يملكـــون الحقيقـــة لفهمهـــم واطلاعهم على الكتب اليهودية المقدسة (وبصفة خاصة التلمود) وأن طريقهم هـــو الطـــرق الصائب الوحيد. ويستخدمون وسائل الاكراه الدينى والتدخل فى حياة الآخرين، وكل الوسائل لديهم مشروعة بما فى ذلك استخدام سلاح الاعتداء والمتفجرات حتى ضد اليهـــود الأخـــرين الضالين. ويشنون حربا على الثقافة العلمانية للمجتمع الإسرائيلى ويعتبرون أنفســـهم يشـــنون حربا مقدسة باسم الرب

ويرفض الحريديون الدولة قبل قدوم المسيح، والكنيست فى نظرهم تدنيس لأوامر الله وإهانة للتوراة؛ لان قوانينه تناقض شريعة موسى (عليه السلام)

للمزيد انظر: رشاد عبد الله الشامى: القوى الدينية فى إسرائيل بين تكفيـــر الدولـــة ولعبـــة السياسة.عالم المعرفة، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب. الكويت.عـــدد ١٨٦. ١٩٩٤ ص ٣٠١ ــ ٣١٣

٧ - المكابيين: لفظ اتصفت به أعضاء الأسرة اليهودية التى حملت لواء المعارضة ضد السلطة اليونانية ، وهى الأسرة التى عرفت أيضا بأسرة الحشونيين. وهناك اختلاف فى أصل هــذه التسمية وكيفية اشتقاقها؛ فالبعض يقول إنها مشتقة من لفظ "مكابى" وتعنى المطرقــة، وهــى الكلمه التى كنى بها يهوذا وهو الابن الاكبر للكاهن متتيا الحشمونى والذى قاد الثورة بعد أبيه وأنه قد كنى بها لشدة بأسه وشجاعته وحدة الضربات الساحقة التى ألحقها بأعــداء اليهــود . وفى قول آخر أن يهوذا قد لقب بهذا اللقب لأنه كان كالمطرقة التى جعلها الرب على أعدائه من اليونانيين واليهود. وهناك فريق آخر من العلماء ــ وهم الكثرة الغاليــة ــ يعتقــدون أن الأصل العبرى للفظ مكابى هو مكون من الحروف الأول للفقرة الواردة فى ســفر الخــروج (١٥/ ١١) والتى تنص "من كمثلك بين الألهة يارب " وقد أتخذ يهوذا من هذه الفقرة شعارا له ، وأصبح يلقب بالمكابى ثم انسحب اللفظ على بقية أعضاء الأسرة الذين أكملو مــا بــدأه ماتتيا ويهوذا وأصبحت تعرف باسم المكابيين، كما أصبحت تعرف أيضا بأسرة الحشــمونيين نسبة إلى الجد الأكبر لها الذى كان يدعى حشمون .

انظر : منى ناظم الدبوس : أضواء على تاريخ اليهود من القرن الخامس قبل المــيلاد إلــى القرن الثانى الميلادى. ص ٣٩، ٤٠

٨ - القبالاه: اسم لحركة تصوف يهودية ظهرت فى القرن الثالث عشر الميلادى وتبلورت هــذه الحركة فى اتجاهين: اتجاه عملى واتجاه نظرى .فقد ظهر الاتجاه العملى فى الشرق ثم انتقل إلى إيطاليا فى النصف الأول من القرن التاسع الميلادى وبعد ذلك فى ألمانيا . وتتخذ مدرسة هذا الاتجاه العملى الصلوات والابتهال والتأمل سبيلا للتقرب إلى الذات العلية، ومعرفته وحبه حبا خالصا منزها عن كل غرض وأملا فى التجلى الإلهى . أما الاتجاه النظرى فقد ازدهــر فى أسبانيا وجنوب فرنسا، واتبع علماء هذا الاتجاه المناهج الفلسفية فى الاقناع.

انظر :رشاد عبد الله الشامى: الرموز الدينية فى اليهودية . ص ١٦١

٩- المسيحانية : وهى فكرة غيبية تقوم على أساس الاعتقاد فى قدوم مســيح مخلــص وظيفتــه السياسية تحقيق الخلاص القومى لشعبه ثم أضيفت إلى هذه الوظيفة السياسية وظيفــة دينيــه تعطى للمسيح المخلص دور تحقيق الخلاص الدينى لشعبه ، ووضعت فى التراث اليهــودى شروط وعلامات للمسيح المخلص أهمها انتسابه إلى بيت داود، والقيام بأعمال بطولية خارقة. ويجمع اليهود فى القدس التى يتخذها عاصمه له . ويحكم اليهود العالم وتخضع لهم الأمم.

وقد ظهر على العصور الكثير من المسحاء الكذبة ،ومن أشهرهم ثيوداس ويهـوذا الجليلـي، وبركوففا، وإسحاق بن يعقوب عويديا، وداود الرائي، وشتبتاي تسفي الذى خلف أكبر تـأثير مسيحاني في تاريخ اليهود .

١٠- حركة التنوير اليهودية : وتسمى بالهسكالاه؛ وهى حركة الاستناره اليهودية وظهرت بـين يهود أوربا فى منتصف القرن الثامن عشر، حوالى ١٧٥٠ م واستمرت حـتى عـام ١٨٨٠ تقريبا. وكانت تنادى بأن على اليهود أن يحاولوا الحصول على حقوقهم المدنية الكاملة عـن طريق الاندماج فى المجتمعات التى يعيشون فيها، وأن يكون ولاؤهم الأوحد لهذه المجتمعات وليس لقوميتهم الدينية .

ويعتبرأدب حركة الـهسكالاه البداية الفعلية للأدب العبرى الحديث ، وأهم سـماته أنه حول الاتجاه من أدب دينى إلى دنيوى مما يعد نقطة تحول مهمة فى تاريخ الأدب العبرى ؛ كما أنه تأثر تأثراً كبيراً بالآداب الأوربية ، فقد أخذ الأدباء اليهود فى تلك الفترة على أنفسهم مهمـة تنوير يهود الجيتو اجتماعياً ودينياً وفكرياً مقلدين فى هذا اسلوب أدباء الغرب ،.وكتب أدبـاء هذه المرحلة الشعر والرواية والقصة .

١١ – مدراش: كلمة عبرية تعنى بالعربيه" دراسة ـ بحث ـ تفسير . وتشير إلى إكتشاف الأمور المدونة فى العهد القديم إضافة إلى معناها السطحى . وقد وضعه التنائيم والأمورئيم لتحديـد الشرائع المستجدة فى الحياة . وهناك مدراشان :" مـدراش هجـاداه " ويتنـاول القصـص والحكايات والأساطير اليهودية، و"مدراش هالاخاه "(مدراش التشريعات) ويختص بالشـرائع الدينية ويطلق على مدونى مدراش هجاداه اسم ربنان دأجاداتا (معلموا الهجاداه)

انطر : رشاد عبد الله الشامي: الرموز الدينية فى اليهودية . مركز الدراسات الشرقية العـدد (١١) ٢٠٠١ ص ١٦٠

١٢- من هو اليهودى: لاتوجد مسألة شغلت المجتمع الإسرائيلى منذ تأسيس دولة إسرائيل وحتى وقتنا الحاضر، مثل مسألة تعريف من هو اليهودى. فقد أثارت هذه المسـألة كـل قطاعـات المجتمع الإسرائيلى، ومست كل المستويات فخاض فيها السياسيون والحاخامات والمفكـرون على مختلف انتماءاتهم سواء كانوا داخل إسرائيل وخارجها.وشغلت المؤسسـات السياسـية والحزبية فى إسرائيل. وقد عرف اليهودى بأنه من يؤمن باليهودية كدين وتراث، والمولـود من أم يهودية، أو من تهود على يد حاخام أرثوذكسى. ولكن هذا التعريف لم يكن جامعا مانعا ذلك لأنه لاينطبق على أى يهودى فى فلسطين، فيهود الهند الذين هاجروا إلى إسـرائيل لـم

تعترف دار الحاخامية ببعضهم؛ لأنهم يمارسون الزواج المختلط، وغير ذلك من الأمثلة التى لايشملها هذا التعريف. ولم تصل دولة إسرائيل إلى تعريف جامع مانع لمن هو اليهودى .

للمزيد انظر : محمد عبد الوهاب المسيرى: موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية.مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام .القاهرة ١٩٧٤. ص ١٧٠ ــ ١٧١

١٣ – موسى بن ميمون : هو أبو عمران عبد الله موسى من ميمون ،يمثل الفكر اليهودى فى القرن الثانى عشر الميلادى وكان أثره فى الاجيال اللاحقة عظيما. ويسميه اليهود "رامبام " أى الربى موشيه بن ميمون. وقد نشأ فى بيئة عربية وأتصل بكثير من عظماء العرب فى الاندلس والمغرب . وقد ولد فى ٣٠ مارس ١١٣٥ بقرطبة وتعلم فى الفسطاط عن العرب الفيزياء والطب ومارسهما . وقد كتبت مؤلفاتة بالعربيه بحروف عبرية . ومن أشهر مؤلفاته "دلالة الحائرين" وكتب هذا الكتاب بين عام ١١٨٦و١١٩٠ وهو كتاب فلسفى مهم وقد سعى فيه إلى التوفيق بين الفلسفة والدين وإلى توضيح أن الفلسفة تساعد على إثبات مدى صحة وصدق الوحى الإلهى ، وحظى هذا العمل باهتمام كبير.

للمزيد انظر :إسرائيل ولفنسون :موسى بن ميمون ،حياته ومصنفاته مطبعه التأليف والترجمه والنشر، ط١٩٣٦،١

١٤– قانون العودة : صدر هذا القانون عام ١٩٥٠ م ،بعد أن تقدم به بن جوريون، رئيس الوزراء أنذاك ــ للكنيست وعدل عام ١٩٥٤ وعام ١٩٧٠. ونص القانون على حق كل يهودى فى الهجرة إلى إسرائيل، شريطة ألا يكون قد مارس نشاط معاديا لليهود، وألا يحمل مرضا معديا يهدد الصحة العامة، وألايكون له ماضى إجرامى، وبمقتضى هذا القانون يمنح الأشخاص الذين يدخلون إسرائيل الجنسية وحقوق المواطنة .

انظر:العنصرية الصهيونية فى الفكر والتطبيق. الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، الإدارة العامة لشئون فلسطين القاهرة ١٩٧٣ ص٧٤

١٥– الأسفار الخارجية: هو مصطلح يشير إلى الكتب التى لا يعترف اليهود بها ضمت أسفار العهد القديم "المقدسة" وتسمى أحيانا بالأبوكريفا، وهى كلمة يونانية تعنى "الخفية" أو "غير الموثوق بها" وتسمى أحيانا بالكتابات الخارجة أو الخارجية. وأشهرها أسفار المكابين الأول والثانى.

١٦- سن التكليف بالوصايا (بر متسفا):عبارة آرامية تعنى الابن المسئول عن تنفيذ الأوامر والنواهى وهى تطلق على اليهودى عند بلوغه سن النصح : الثالثة عشر ويوم بالنسبة للذكور، والثانية عشرة ويوم بالنسبة للإناث ـ بت متسفا) ويقام فى هذه االمناسبة احتفال دينى فى المعبد وأول شئ يفعله اليهودى البالغ هو قراءة التوراة وتنفيذ الوصايا، وتنص الشريعة اليهودية على أن سن الثالثة عشر هى السنة المثلى لقيام الشخص الصغير بتحمل مسئولياته الدينية والقانونية كاملة استنادا إلى أن إبراهيم عليه السلام كان فى الثالثة عشر عندما تصرف كشخص ناضج وأنكر على أبيه عبادة الأصنام

أنظر:غازى السعدى:الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود . ص ٣٦

١٧- البوند : أى الرابطة وهى اسم حزب يهودى اشتراكى ديمقراطى كان يعمل فى روسيا وبولندا وغيرها ناهضت الحركة الصهيونية ودعت إلى منح اليهود حكما ذاتيا فى الشؤون الثقافية .

١٨- أحداث النازية: يطلق اليهود عليها بالعبرية "هشوئا" والترجمة الحرفية لها النكبة النازية والمقصود بها الوقائع التى حدثت لليهود إبان الحكم النازى فى ألمانيا والدول التى وقعت تحت السيطرة النازية خلال الحرب العالمية الثانية، حيث يدعى اليهود أنهم قد تعرضوا للاضطهاد والتعذيب والمطاردات، وتم نقل أعداد كبيرة منهم إلى معسكرات الاعتقال حيث تمت إبادة أعداد كبيرة. وحسب الزعم الصهيونى يصل عدد القتلى اليهود فى هذه الأحداث إلى ستة ملايين، وعمل اليهود على ترويج هذا الادعاء لاستغلال الدول النازية وكسب عطف الدول الكبرى الأخرى. وقد ظهرت الكثير من الحقائق التاريخية والأبحاث العلمية التى تثبت كذب وزيف ادعاءات اليهود بشأن أحداث النازية .

للمزيد انظر:روجيه جارودى:الأساطير المؤسسة السياسية الإسرائيلية. ترجمه محمد هشام . دار الشروق القاهرة ١٩٩٨

١٩- المملكتين: بعد موت سليمان (عليه السلام) انقسمت مملكته إلى مملكتين: المملكة الجنوبية بيهودا وكانت تضم سبطى يهودا وبنيامين، وهما السبطان اللذان بايعا رحبعام، بينما بايعت الأسباط العشرة الباقية يربعام ملكا على الجزء الشمالى الذى سمى بمملكة إسرائيل .

٢٠- عشتروت : هى إلهة شعبية انتشرت عبادتها فى العالم القديم كله. وهى إلهه الحب والحرب معا. وقد ذكرتها أسفار العهد القديم بالصفتين معا: الأولى حيث توقع أسلحة شاؤول وأبنائه التى غنموها فى الحرب فى معبد الإلهة ووضعوا سلاحه فى بيت عشتاروت وسمروا جسده"

صموئيل الأول ٣١ : ١٠ ، وكان سليمان عليه السلام يقدسها ــ حسب ماورد فى العهد القديم ــ بالصفة الثانية وبنى لها معبدا شرق القدس فقد "أحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة فأمالت نساؤه قلبه وراءه آلهة أخرى، ولم يكن قلبه كاملا مع الرب فذهب سليمان وراء عشتاروت فغضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل .. لأنهم تركونى وسجدوا لعشتاروت " سفر" الملوك الأول ١١ : ١و٤و٥و٣٣

للمزيد انظر:جفرى بارندر:المعتقدات الدينية لدى الشعوب القديمة.ترجمة د. إمام عبدالفتاح إمام. عالم المعرفة، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب. الكويت.عدد ١٧٣. ص ١٧

٢١- أشيرا: وهو اسم الإلهة "أثرت" زوجة الإله "أل" رأس آلهة الكنعانين وقد ذكر اسمها فى التوراة باسم أشيرا. وكما زوجها "أل" خالق الخلق، فكذلك هى خالقة الآلهة. وكانت ذات كلمة مسموعة عند زوجها. وكذلك كان أصحاب الحاجات يلتمسون وساطها لديه وكانت وساطتها دائما ناجحة.

انظر:سبتينو موسكاتى :الحضارات السامية القديمة . ص ٢٤٣

٢٢- بعل : كان بعل أبرز الآلهة الكنعانية ، وكلمة بعل اسم عام الأصل معناه "سيد" ، ولهذا أمكن اطلاقه على آلهة مختلفة، ولكن بعل الأكبر كان إله العاصفه والبرق والمطر والإعصار.

انظر: سبتينوموسكاتى :الحضارات السامية القديمة. ص ١٠٠

٢٣ - مولوخ : إله كنعانى كان يعبد عن طريق تضحية الأطفال على مذبحه بتمريرهم فى النار.

٢٤- اليهودية الهلينية أو التيار الهلينستى :هو تيار ظهر بين اليهود أثناء حكم الإغريق لفلسطين ، حيث قام الملك انتيوخوس الرابع العمل على تأكيد سلطانه على كافه الولايات التابعة له. ورأى أن ذلك يتم بتوحيدها جميعا تحت راية الثقافة الهلينية؛ وذلك بإرغام الأهالى على عبادة الألهة اليونانية ،واتباع كافة العادات والتقاليد الخاصه بها .وقد لقيت دعوة انتيوخوس الرابع بإتباع الثقافة الهلينية استجابة عدد كبير من اليهود الذين رحبوا بها، وبدأوا فى عبادة الألهة اليونانية، وبناء الملاعب والمدن على نفس الطراز اليونانى، فانتشرت المدن الرياضية على الطراز اليونانى فى يهودا والقدس وكان المواطنين يقضون فيها أوقاتا طويلة وأهمل الكهان الصغار دروسهم الدينية كنتيجة طبيعيه للانصراف عنها. وأصبح الشائع هو اتباع الأسلوب اليونانى فى الملابس، وانتشر شراب الخمر، وأكل لحم االخنزير، وأصبح اليهود يسمون بأسماء يونانية .وأطلق على أصحاب هذا التيار اليهود المتأغرقون.

للمزيد انظر:منى ناظم الدبوس : أضواء على تاريخ اليهود من القرن الخامس قبل الميلاد إلى القرن الثانى الميلادى. ص ٣٦ : ٣٨

٢٥- اللاأدرية مذهب يقول بأن أصل الكون بما فى ذلك وجود الله وطبيعته لاسبيل إلى معرفته خارج مدارك الإنسان وحواسه وعقله

٢٦ - الترجمة السبعينية :تعد أهم الأحداث الدينية فى فترة الحكم اليونانى تتجسد فى ترجمة التوراة إلى اليونانية أو ما يعرف باسم "الترجمة السبعينية" ويروى ذلك المؤرخ اليهودى يوسفوس بأسلوب خيالى قائلا: "إن بطليموس الثانى الذى حكم فيما بين (٢٨٢ ــ ٢٤٧ ق.م) قد طلب من أليعاذر رئيس الكهنة اليهود أن يرسل إليه إثنان وسبعين عالما من علماء التوراة ــ ستة عن كل سبط. لترجمة أسفار موسى الخمسة إلى اليونانية، وأن بطليموس قد جعل لكل عالم مسكنا خاصا، وحظر عليهم الاجتماع فيما بينهم، وزود كل واحد منهم بكاتب حاذق فى اليونانية. وأنذرهم بالعذاب والإعدام إذا وجد إختلافا فى ترجمتهم، وبعد إنتهاء جميع الكهنة من إعداد الترجمة قام الملك بمضاهاة النسخ المختلفة فوجدها جميعا متطابقة، فابتهج وأمر لأليعاذر بجائزة عظيمة ولسائر العلماء بأموال كثيرة وأطلق أسرى كثيرين ابتهاجا بهذه المناسبة .

ومن الواضح أن رواية يوسفوس للكيفية التى تمت بها ترجمة العهد القديم إلى اليونانية لاتخرج من كونها درب من الخيال. وعلى أيه حال فإن ما نستشفه من تلك الرواية هى أن الترجمة اليونانية لأسفار التوراة قد تمت خلال القرن الثالث قبل الميلاد .

انظر:منى ناظم الدبوس : أضواء على تاريخ اليهود من القرن الخامس قبل الميلاد إلى القرن الثانى الميلادى. ص ٣٠ــ ٣٢

٢٧- عيد الميموناه أو احتفال الميموناه هو احتفال شعبى كان يقوم به يهود شمال أفرقيا فى وقت الربيع فى اليوم الثامن من عيد الفصح . والعيد هو احتفال بتجدد الطبيعة حيث يحتفل اليهود فى الحدائق، كما أنه كان مناسبة لإظهار العلاقات الودي بين اليهود والمسلمين ، وكان يعبر عنه ببساطة وتلقائية طبقا لتقاليد الفلكلور المغربى القديم.

واللفظ ميمونة قد فسر عدة تفسيرات منها أنهم يرجعون الكلمة إلى موسى بن ميمون ، الذى يقال أنه مات فى اليوم الأخير من عيد الفصح وهو توقيت الاحتفال بالميموناه. والميموناه هى العيد المغربى المحلى الوحيد الذى احتفظت به طائفة شمال أفرقيا وحملته معها إلى أماكن استقرارها الجديدة ، وأصبح له فى إسرائيل الآن طابع العيد القومى.

للمزيد انظر : سوزان السعيد يوسف: موسى بن ميمون ومهرجان الميمونة.مجلة الدراسات الشرقية ، العدد الخامس عشر يوليو ١٩٩٥

٢٨- الحاميتس : كناية عن الطعام المختمر المحظور أكله لدى اليهود فى عيد الفصح أو للآنية التى علق بها الخمير.

٢٩ - حبد : هى جماعة دينية ولهذه الجماعة حوالى مائة وأربعة وأربعين مركزا لهذه لحركة باسرائيل خصوصا فى "كفارحبد" التى تقع بين القدس وتل أبيب ،وفى القدس وحولون واللد، وكريات ملاخى وصفد، كما تدير مئات الصفوف لتعليم الأطفال اضافه إلى عشرات المؤسسات والمكتبات ونحو عشرين مدرسه دينية. وترى الحركة أن جوهر رسالتها اليوم يكمن فى الحفاظ على الوجود اليهودى من جانب، وإعداد العالم لقدوم المسيح المخلص من جانب آخر .وتتمحور نشاطات حبد حول تقدم خدمات دينية للجمهور. وعلى الرغم من كونها حركة حريدية فإنها بعكس الحريديم لم تقاطع إسرائيل وتحاول التقرب من العلمانين والعمل بينهم طمعا فى توبتهم التى تعتبر فى نظر الحركة شرطا لقدوم المسيح المنتظر. وتدعو حبد إلى سياسة حازمة تجاه العرب وهى تؤيد فكرة "أرض إسرائيل الكاملة" على الرغم من عدم وجود دليل قاطع على أن هذه الحركه تعترف بدولة إسرائيل .

للمزيد انظر: رشاد عبد الله الشامى: القوى الدينية فى إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة. ص ٢٥٨ ـــ ٢٩٠

٣٠- سيطرعلى المؤلف نظرية تأثير اليهودية فى المسيحية والإسلام ، بل ويدعى أنهما قد قامتا عليها، والحقيقة أن لكل من المسيحية والإسلام دورهما فى نقد اليهودية ومحاولة ردها إلى الطريق الصحيح والمنهج القويم الذى أراده الله لأتباع هذه الديانة قبل أن يحرفوه ويفسدوه ، أما موافقة الإسلام والمسيحية في بعض ما جاء في اليهودية، فمنشأها أن جميع المتب السماوية والرسل الذين أنزلت عليهم من عند الله فالمصدر واحد والعوة واحدة وهي الإسلام.

وحول الرد على هذه الشبهات انظر: د. محمد نبيل غنايم: شبهات حول التشريع الإسلامي، مكتبة المنار، الزرقاء - الأردن ١٩٨٣.

٣١ - الزوهر: وأفكار القبالاه يتضمها كتاب اساس شهير هو كتاب الزوهر (الضياء) ويمثل هذا الكتاب الاتجاهين العملى والنظرى وقد ظهر هذا الكتاب حوالى سنه ١٣٠٠ م . وهذا الكتاب جزء منه بالعبريه وآخر بالآراميه ،ويتكون كتاب الزوهر فى النسخة المطبوعة من ٢٠٠٠ صفحة .ويتخذ الزوهر فى تفاسيره أربعه مناهج هى .التفسير الحرفى لتفسيرات بالطغية

للتوراة ــ والرمز، والتشريع، والسرى.وقد غالى القباليون فى التفسيرات الرمزية .انظـــر : رشاد الشامى الرموز الدينية فى اليهودية. ص ١٦١

٣٢ - اللاسامية : هى ترجمة للعبارة الإنجليزية والتى نقلتها اللغة العبرية بنفس اللفظ، والمعنـــى الحرفى لـــهذه الكلمة هو ضد السامية ، وبذلك تعنى العبارة المعاداة ضـــد كـــل الأجنـــاس السامية، ولكن اليهود استخدموا هذا المصطلح ليدل على المعاداة ضد اليهود فقط ، ولتشـــير إلى كراهية اليهود فحسب. ومن المعروف أن اليهود قد اســـتغلوا هـــذا المصـــطلح لتحقيـــق أطماعهم واتخذوه ستارا لعداوة كل من يعارضهم ، وأثناء مراحـــل الصـــراع علـــى أرض فلسطين اتهم اليهود العرب بمعاداة السامية ، وكلما ازدادت مظاهر الرفض العربى للتطرف والإرهاب الصهيونى والإسرائيلى زاد اتهام اليهود للعرب بالعداء للسامية.

إصدارات المركز

اولاً السلسلة الدينية والتاريخية

العنوان	المؤلف
١- ظاهرة النبوة الإسرائيلية	تأليف أ.د / محمد خليفة حسن
٢- الحساب القومى	ترجمة أ.د / محمد محمود أبو غدير
٣- الشخصية الإسرائيلية	تأليف أ.د / محمد خليفة حسن
٤- الصهيونية الدينية	ترجمة أ.د / محمد محمود أبو غدير
٥- الحركة الصهيونية	تأليف أ.د / محمد خليفة حسن
٦- المجتمع الإسرائيلى	ترجمة د. / محمد أحمد صالح
٧- اسلام حقائق اور الزامات	ترجمة د. / يوسف عامر
٨- البعد الدينى للصراع العربى الإسرائيلى	تأليف أ.د / محمد خليفة حسن
٩- اتجاهات التراجم والتفاسير القرآنية فى اللغة الأردية	تأليف أ.د / سمير عبد الحميد إبراهيم
١٠- الجنيزا والمعابد اليهودية فى مصر	تأليف أ.د/محمد خليفة حسن والأستاذ النبوى سراج
١١- سياسة إسرائيل فى طرد السكان العرب	ترجمة وتعليق د. محمد أحمد صالح
١٢- الرموز الدينية فى اليهودية	تأليف أ.د/ رشاد عبد الله الشامى
١٣- الجمهوريات الإسلامية فى آسيا الوسطى الحاضر والمستقبل	تأليف أ.د/ أحمد فؤاد متولى ود. هويدا محمد فهمى
١٤- المشكلة الكردية	ترجمة وتعليق / أ.د محمد علاء الدين منصور
١٥- الصراع الدينى العلمانى داخل الجيش الإسرائيلى	تأليف أ.د/ محمد محمود أبو غدير
١٦- الأقليات المسلمة والصراعات فى الكومنولث	تأليف د. / هويدا محمد فهمى
١٧- مستوطنة معالية أدوميم وانتهاك حقوق الإنسان الفلسطينى	ترجمة د. / عبد الوهاب محمود وهب الله
١٨- يهود مصر «دراسة فى الموقف السياسى»	تأليف د. / محمود عبد الظاهر .
١٩- فلسفة الحرب فى الفكر الدينى الإسرائيلى	تأليف أ.د/ محمد جلاء إدريس
٢٠- التركمان بين الماضى والحاضر	ترجمة أ.د/ عبد العزيز محمد عوض الله
٢١- اليهودية	تأليف أ.د. محمد بحر عبد المجيد .
٢٢- حرب أكتوبر وأزمة المخابرات الإسرائيلية	ترجمة من العبرية أ.د. محمد محمود أبو غدير.
٢٣- مستقبل الصراع على فلسطين	تأليف د.عبد الله بن عبد الرحمن الربيعى

٢٤- الحياة الحزبية فى تركيا — تأليف أ.د. / عبد العزيز عوض

٢٥- دراسات فى جنيزا القاهرة — ترجمة أ. النبوى جبر سراج

٢٦- فيروس التعصب — ترجمة أ.د./ عبد الوهاب وهب الله

٢٧- اليهودية العلمانية — ترجمة د. / أحمد كامل راوى

٢٨- علاقة الإسلام باليهودية رؤية إسلامية فى مصادر التوراة الحالية — تأليف أ.د / محمد خليفة حسن

٢٩ - التطور الديمقراطى فى تركيا الحديثة والمعاصرة — تأليف أ.د/ الصفصافى أحمد المرسى

٣٠- المكابيون الثالث والرابع — ترجمة د./ اوفيليا فايز رياض

٣١ - انتهاكات حقوق الفلسطينيين — ترجمة د. نجلاء رأفت

ثانيا: السلسلة الادبية واللغوية

١- جامع التعريب — تحقيق وشرح نصوص أونال قره أرسلان

٢- أدب المهجر الشرقى — تأليف د. / محمد عبد الرحمن الربيّع

٣- الكلام والفكر والشىء — ترجمة د. / محمد صالح الضالع

٤- قاموس المختصرات العبرية — إعداد د. / شعـبان محمـد سـلام

٥- الموازنة بين اللغة العبرانية والعربية — نقله إلى العربية د./ أحمد محمود هويدى

٦- حكايات أيسوبوس — ترجمة ودراسة د./ صلاح محجوب

٧- المسرح الإيرانى — تأليف / د. عبد الوهاب علوب .

٨- الأدب الفارسى عند يهود إيران — ترجمة / أ.د. محمد نور الدين عبد المنعم

٩- معجم المصطلحات الفلسفية — إعداد / أ.د. محمد نور الدين عبد المنعم

١٠- الشخصية الفلسطينية فى القصة العبرية القصيرة — تأليف أ.د/ محمود على صميدة

١١- ضمير الشأن مسائله ومواطنه — تأليف : د.فاطمة عبد الرحمن رمضان حسين

١٢ - المعجم التأصيلى للفعل الناقص فى اللغات السامية — إعداد أ.د. عمر صابر عبد الجليل

١٣ - النظام الصوتى للغة العبرية دراسة وصفية — تأليف د. حامد بن أحمد بن سعد الشنبرى

١٤ - قضايا لغوية مقارنة بين الفارسية والعربية — تأليف أ.د. محمد نور الدين عبد المنعم

١٥ - النظام الصوتى فى اللغـتـين العـربيـة والعـبـرية دراسـة وصفية تطبيقية مقارنة — تأليف د. حامد بن أحمد بن سعد الشنبرى

ثالثا: فضل الإسلام على اليهود واليهودية

١- اليهود فى ظل الحضارة الإسلامية — تأليف أ.د/ عطية القوصى

٢- التأثيرات الإسلامية فى العبادة اليهودية — ترجمة أ.د/ محمد سالم الجرح

٣ - المحاضرة والمذاكرة — نقله إلى العربية أ.د/ عبد الرازق قنديل

٤- التأثيرات العربية فى البلاغة العربية — تأليف أ.د.شعبان محمد سلام

٥- الشعر العبرى الأندلسى — تأليف أ.د. عبد الرازق أحمد قنديل

٦ - الإيقاع الشعرى — تأليف أ.د. ليلى إبراهيم أبو المجد

٧- التأثير الإسلامى فى التفاسير اليهودية الوسيطة — ترجمة أ.د. أحمد هويدى مراجعة أ.د/محمد خليفة حسن

٨ - التأثير الإسلامى فى الفكر الدينى عند طائفة القرائين — تأليف أ.د. محمد جلاء إدريس

٩ - الآراء الكلامية لموسى بن ميمون والأثر الإسلامى فيها — تأليف د. حسن حسن كامل إبراهيم

١٠ - التأثيرات العربية فى كتاب الهداية لابن فاقودة — تأليف أ.د. عبد الرازق أحمد قنديل

١١ - التأثيرات العربية فى البحور والأوزان العبرية — تأليف أ.د. شعبان محمد سلام

رابعا: سلسلة قضايا إيرانية

١- قضايا إيرانية (العدد الأول) — إعداد أ.د. محمد نور الدين عبد المنعم

٢- التقرير الاستراتيجى الإيرانى (العدد الثانى) — تحرير وإشراف د. مدحت أحمد حماد

٣- بحر الخزر المشاكل السياسية والاقتصادية — إشراف / أ.د. محمد نور الدين عبد المنعم

٤- حوار الحضارات وجهة نظر إيرانية — إشراف / أ.د. محمد نور الدين عبد المنعم

٥- بحوث فى العلاقات الإيرانية الخارجية — ترجمة / أ.د. محمد نور الدين عبد المنعم

٦ - أحداث الحادى عشر من سبتمبر وجهة نظر إيرانية — إشراف أ.د. محمد نور الدين عبد المنعم

خامسا: سلسلة الحوار بين الأديان والتقاء الحضارات

١- حوار الحضارات وجهة نظر إيرانية — إشراف / أ.د. محمد نور الدين عبد المنعم

٢- المسلمون والحوار الحضارى مع الآخر : نقد إسلامى لنظرية صراع الحضارات. — تأليف / أ.د. محمد خليفة حسن

٣- علاقة الإسلام بالأديان الأخرى . — تأليف / أ.د . محمد خليفة حسن

٤ - الدور المصرى والإيرانى فى مجال حوار الحضارات — تأليف / أ.د محمد السعيد جمال الدين

سادسا: مجلة رسالة المشرق

الأعداد :

الأول ١٩٩١ حتى الثالث عشر ٢٠٠٤

رقم الايداع	٢٠٠٥/٧٨٥١

مطبعة العمرانية للأوفست
الجيزة - المنيب
ت : ٧٧٧٩٣٩٨